الجامعـــــــة الإســـلاميـــة بغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدِّراسات العليـــا
كليـــــــــة أصـــــــول الديـــــــن
ماجستيـــر التَّفسير وعلـــوم القـــــرآن

The Islamic University of Gaza
Deanship Research & Postgraduate Studies
Faculty of Ossul Eddin
Master of Interpretation & the Sciences of the Qur'an

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة فاطر

دراسة موضوعية تطبيقية

Educational Directives and Methods Derived from Surat Fater
A Study of Quranic Subjectivity

إِعدَادُ البَاحِثِ
جهاد رياض أبو عيادة

إِشراف الدكتور
إبراهيم عيسى صيدم

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الماجِسْتير فِي التَّفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

أكتوبر/٢٠٢١م– ربيع أول/١٤٤٣هـ

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة الّتي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة فاطر
دراسة موضوعية تطبيقية

Educational Directives and Methods Derived from Surat Fater
A Study of Quranic Subjectivity

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنَّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism، and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**جهاد رياض أبو عيادة**	اسم الطالب:
Signature:	جهاد رياض أبو عيادة	التوقيع:
Date:	أكتوبر، ٢٠٢١م	التاريخ:



الجامعة الإسلامية-غزة

The Islamic University of Gaza



عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

ج س غ/35/

الرقم: 2021/10/26م Ref: ....

التاريخ: .... Date: ....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **جهاد رياض داود ابو عيادة** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة فاطر
{دراسة موضوعية تطبيقية}

Educational directives and methods derived from Surat Fater
{A study of Quranic subjectivity}

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الثلاثاء 19 ربيع الأول 1443**هـ الموافق **2021/10/26**م الساعة **التاسعة صباحاً**، في **قاعة اجتماعات كلية أصول الدين** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. إبراهيم عيسى صيدم	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. محمود هاشم عنبر	**مناقشاً داخلياً**	....
د. عبد الله سالم سلامة	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. يوسف ابراهيم الجيش

ملخص الدراسة

هدف الدراسة: هدفت الدراسة إلى معرفة ما زخرت به سورة فاطر من التوجيهات القرآنية التربوية، وأساليبها المستنبطة من السورة، وتوظيفها لعلاج المشكلات الواقعة والمعاصرة.

منهج الدراسة: المنهج الاستقرائي التحليلي حسب منهجية التفسير الموضوعي.

وقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة؛ الفصل الأول بعنوان: التوجيهات التربوية العقدية، والفصل الثاني بعنوان: التوجيهات التربوية الوعظية، والفصل الثالث بعنوان: التوجيهات التربوية التعبدية، ثم أتبعت كل فصل في نهايته بالأساليب كلٌ في مبحث مستقل.

أهم نتائج الدراسة:

١. سورة فاطر من السور المكية التي تثبت مفاهيم جديدة وأفكار أصيلة تجاه مجتمع مكة ابتداءً، ثم إلى كل البشرية انتهاءً، وبرز فيها جوانب عديدة: إيمانية عقدية، وتعبدية، ووعظية، وفيها من التوجيهات التربوية والأساليب وقد بيَّنتُها، ولها محور عام جاءت لترسيخِه وهو: (بيان قدرة الله في عوالم المخلوقات، وتذكير الناس بربهم الخالق ووجوب شكره، وإزالة كل ما يحول بين الناس وبين هذه الحقائق العظيمة).

٢. تعزيز الإيمان في قلوب المؤمنين يكون بقراءة آيات الله المنظورة في الكون والمتلوَّة في القرآن الكريم، وإن النظر في كتاب الله يؤدِّي إلى التفكُّر في الكون ومعرفة الله من خلال آياتِه الكونيَّة، وكذلك التفكُّر في الآيات الكونيَّة يُعيننا على فهمِ كلام الله سبحانَه وتعالى؛ فيظهرُ التكاملُ بين القراءتين حتى نصل إلى الرؤية الصحيحة والإيمان السليم.

٣. أهميَّة استخدام الأساليب المناسبة في الخطاب بما يتناسب مع المُخاطَب، وبما تقتضيه الحكمة؛ فقد استخدمَت السورة العديد من الأساليب البيانية والبلاغية بحسب ما يقتضيه المعنى، كأسلوب التوكيد، والاستفهام، والترغيب والترهيب، والقصر، وغيرها من الأساليب.

أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث طلبة العلم والباحثين بضرورة البحث والكتابة في التوجيهات القرآنية لسور القرآن الكريم، مع تطبيق نظرية التفسير الموضوعي.

٢. يوصي الباحث القائمين على المناهج التعليمية بحشد الأدلة التي تُعزِّز الإيمان في قلوب المؤمنين وتربطهم بالله سبحانه وبالدين الإسلامي، عن طريق آيات الله المنظورة في الكون والمتلوة في القرآن الكريم، وهذا لا يختص بمادة التربية الإسلامية، بل لا بُدَّ من تعزيز ذلك في المواد الدراسية الأخرى، كالتاريخ والفيزياء والأحياء والكيمياء وغيرها؛ حتى نربط العلوم بالله سبحانه وتعالى، ونُبرِز التداخُل والتكامل بين الدين والعلم في جميع مناحي الحياة.

Abstract

The study aimed to find out what Surat Al-Fatir is abounding in of the Qur'anic educational directives, and its methods deduced from the surah, and its use to treat existing and contemporary problems.

Study Methodology: The inductive-analytical approach according to the objective interpretation methodology.

This study included an introduction, three chapters, and a conclusion. The first chapter is entitled: Doctrinal Educational Directives, the second chapter is entitled: Preaching Educational Directives, and the third chapter is entitled: Devotional Educational Directions, then I followed each chapter at the end of it with methods, each in a separate topic.

The most important results of the study:

1. Surat Al-Fatir is one of the Meccan surahs that prove new concepts and original ideas towards the community of Mecca from the beginning, and then to all of humanity at the end, and many aspects emerged in it: belief in doctrinal, devotional, and preaching. There are many and varied occasions, in which there are educational guidelines and methods and I have explained them, and they have a general axis that came to be consolidated, which is: (Explanation of God's power in the worlds of creatures, reminding people of their Lord the Creator and the obligation to thank Him, and removing everything that prevents people from these great truths).
2. Strengthening faith in the hearts of believers is by reading the visible verses of God in the universe and recited in the Noble Qur'an. Looking at the Book of God leads to contemplation of the universe and knowledge of God through its cosmic verses, as well as contemplation of cosmic verses helps us to understand the words of God Almighty; The integration between the two readings appears until we reach the correct vision and sound faith
3. The importance of using appropriate methods in speech in proportion to the addressee, and as required by wisdom; The surah has used many graphic and rhetorical methods as required by the meaning, such as the method of affirmation, questioning, encouragement and intimidation, shortening, and other methods.

Most important recommendations:

1. The researcher recommends science students and researchers the necessity of researching and writing in the Qur'anic directives for the Holy Qur'an surahs, while applying the theory of objective interpretation.
2. The researcher recommends teachers, educators, preachers and scholars to inculcate the correct and sound belief in the hearts of Muslims, and to educate them accordingly, while making use of the educational guidance contained in Surat Fatir and other Suras of the Holy Qur'an.
3. The researcher recommends those in charge of educational curricula to mobilize evidence that strengthens faith in the hearts of believers and links them to God Almighty and the Islamic religion, through the visible verses of God in the universe and recited in the Holy Qur'an. such as history, physics, biology, chemistry, etc.; So that we link the sciences to God Almighty, and highlight the overlap and complementarity between religion and science in all aspects of life.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾

[فاطر: ٣]

الإهدَاْء

إلى من كان سبباً في وجودي، إلى من أنفقَ عمرَه في تنشئتنا وتربيتنا، إلى من أخرج لنا الثمار الزكية من بين أشواك الحياة، إلى من ربَّانا على الصلاة والإيمان والأخلاق الإسلاميَّة، إلى **والدي الكريم**، الذي أحمل اسمه وأفتخر به... أمدَّ اللهُ في عمره وأحسن خاتمتَه.

إلى نبعِ الحنانِ، إلى هبةِ الرحمن، إلى فيضِ الإيمان، إلى من أمدَّتني بالحُب والعلم والإيمان، إلى من زرعت في قلبي جميل المعاني والصفات، إلى من قدَّمت كل غالٍ ونفيس في سبيل تربيتنا، إلى من هي أحقُّ الناس بصحبتي، إلى **أمي الحبيبة** حفظها الله ورعاها وبارك فيها وجعل الفردوس مثواها.

إلى رفيقة دربي، وسَنَدي في حياتي، إلى من علمتني الإخلاص في المحبَّة، إلى من كانت عوناً لي في كل خطوةٍ أخطوها في دروبي، إلى أم ولدي، إلى **زوجتي الغالية**، بارك الله فيها وولدها.

إلى من شاركوني تفاصيلَ الحياةِ منذ نعومةِ أظفاري، وعشتُ معهم أجمل أيام حياتي، **إخوتي وأخواتي**.

إلى **جدَّتاي، أعمامي، عماتي، أخوالي، خالاتي، وأبنائهم جميعاً**.

إلى عمي **الشهيد/ زياد داود أبو عيادة**، إلى **جدَّاي الحبيبين داود وسليم**

إلى **أصدقائي الشهداء محمد ومحمد ومحمود وعلاء**

إلى كل أحبابي وأقاربي وأصدقائي

إلى الشهداء والجرحى والأسرى والمجاهدين والمرابطين على ثغور العزة في فلسطين

أُهدي بحثي المتواضع،،،

شكرٌ وتقدير

الحمدُ لله على فضلِه وامتنانِه، والشكرُ له على جودِه وإحسانِه، الحمدُ لله الذي هدانا للقرآن، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأسأل اللهَ الكريم مفتقراً إليه أن يتقبل بحثي هذا، وأن يكرمني جزيلَ العطاء والثواب، كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى **أستاذي الفاضل ومشرفي القدير: فضيلة الدكتور: إبراهيم عيسى صيدم،** الذي أحسن إليَّ بتوجيهاتِه وملاحظاتِه، وأفادني بتتبُّع هذه الدراسة والتعقيبِ عليها، وتحسينها وتجويدها حتى خرجت في هذه الصورة الجميلة.

وأتقدم بالشكر كذلك من عضوي لجنة المناقشة الكريمين، **فضيلة الأستاذ الدكتور: محمود هاشم عنبر، وفضيلة الدكتور: عبد الله سالم سلامة،** لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بملاحظاتهما القيمة.

وأتوجه بالشكر الجزيل لجامعتي الحبيبة الجامعة الإسلامية العريقة، منبع الفكر الراشد، وبيت الحكمةِ والعلم، وأخص بالذكر كلية أصول الدين، وأساتذتها الرائعين، فلهم مني وافر الثناء والمودة والتقدير.

وأشكر كل من له فضلٌ عليَّ في هذه الدراسةِ، وكلَّ من له فضلٌ علي في أيام حياتي، وأسأل الله أن يجزيَهم عني خير الجزاء ويبارك فيهم وفي أعمارهم.

كما أتوجه بالشكر لعائلتي الكريمة، أبي وأمي، إخوتي وأخواتي، زوجتي وأصهاري، أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي، وكل من له حق عليّ.

وختاماً أقدِّم شكري وامتناني لكل من فضلٌ علي، لكلِّ من علَّمني حرفاً، لكل من صاحبتُه يوماً، لكل من أفادني، لكل من رجا لي الخير ودعا لي، لكل أمة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

الباحث/ جهاد رياض أبو عيادة

فهرس المحتويات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره الكافرون، وأنزل عليه كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ، أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ. وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، علّم القرآن، وجعله معجزة خاتم أنبيائه باقية ما بقي الزمان. وأشهد أنَّ سيّدنا محمداً عبد الله ورسوله، المؤيد بهذا القرآن صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً دائماً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل خاتم كتبه، على خير أنبيائه ورسله؛ ليكون كلمة الله الأخيرة للعالمين، هذا الكتاب العظيم الذي يهدي للتي هي أقوم في كل مجالات الدين والدنيا، جعله الله تبياناً وتفصيلاً لكل شيء، هدى الله به البشرية من الضلالة، وأنقذهم به من الجهالة، وأنار به الأبصار، وأحيا به الضمائر والأفكار، هذا الكتاب العظيم لم ينضب معينه على مدار الأزمان، وما يزال أهل العلم ينتفعون بهذا الكنز المكنون ويخرجون للناس منه روائع الدرر وجميل المعاني وبديع الفوائد، وما من ميدان من أمور الدين والدنيا إلا وتجد للقرآن فيه أجل وأعظم نصيب، سواء في مجال الإيمان والفقه والعقل والتربية وعلم النفس والجهاد وغيرها من الميادين والفنون.

وفي بحثنا هذا نتناول عنوانًا مهمًا، ونطرق ميدانًا فسيحًا من ميادين القرآن، وهو ميدان التوجيهات التربوية وأساليبها؛ لما له من أهمية بالغة في خدمة القرآن وخدمة دين الله سبحانه وتعالى.

ولمَّا كانت كل سورة من سور القرآن تحتوي على الكثير من التوجيهات التربوية بأساليب متعددة، كان موضوع دراستي في إحدى سور القرآن، وهي سورة فاطر، لِنسبِرَ غورها، ونستقي من عذبِ فوائدها وهداياتها.

وفي ضوء ما عرضته السورة من توجيهات تربوية عديدةٍ ومتنوعةٍ في جوانب الحياة كافَّة؛ كالجانب العقدي، والتعبُّدِي، والوعظي، بأساليب متعددة، لذا كانت دراستي بعنوان: **(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة فاطر – دراسة موضوعية تطبيقية).**

أولاً: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في نقاط عدة، أهمها:

١. أنه يتناول سورة من سور القرآن الكريم الذي هو أجل وأعظم كتاب.
٢. يكشف موضوع البحث عن التوجيهات التربوية في سورة فاطر، ومن ثم توظيفها في تربية الفرد والأسرة والمجتمع.
٣. يبين أهم ما ورد في السورة من الحِكَمِ والأحكام والعبر والعظات والهدايات التي تعدُّ أساساً من أسس التربية.
٤. بيان التوجيهات التربوية في سورة فاطر ودورها في التربية العقدية والتعبدية والوعظية للمسلمين وربطها بواقع المسلمين المعاصر.
٥. صدق هذه الدراسة في نتائجها ومخرجاتها كونها تستند إلى القرآن الكريم.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب عدة لاختيار الموضوع أبرزها:

١. المشاركة في خدمة القرآن الكريم ونشر هداياته، فأحببت أن يكون لي سهم في ذلك.
٢. ما احتوت عليه السورة من التوجيهات التربوية التي لها دور عظيم في تربية الفرد المسلم والأسرة والمجتمع.
٣. افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة محكمة حول هذا الموضوع القرآني.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:

توجد عدة أهداف لهذا البحث، منها:

١. التشرف بخدمة القرآن الكريم، من خلال البحث في موضوع من موضوعاته.
٢. علاج بعض المشكلات في الواقع المعاصر على ضوء ما تناولته سورة فاطر من هدايات وتوجيهات تربوية.
٣. إبراز مختلف القضايا التي تناولتها سورة فاطر، والتي أهمها: قضية التوحيد، وإثبات قضية البعث والرد على المنكرين والجاحدين وشبهاتهم.
٤. تعزيز الإيمان في قلوب المؤمنين عن طريق آيات الله المنظورة والمتلوة الواردة في السورة.
٥. استخراج واستلهام العبر والعظات، والحقائق والهدايات من سورة فاطر، والتي تعدُّ أساساً في بناء مجتمع قرآني.

٦. إبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وبيان انسجام محور السورة الأساس مع الموضوعات الفرعية.

٧. إثراء المكتبة الإسلامية ببحث حول التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة فاطر.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصّي للدراسات حول "**سورة فاطر**" وجدت أن هذه الدراسات تناولت السورة الكريمة من الناحية التحليلية أو الموضوعية، ولم أقف على دراسة تحقق المنهج الذي اعتمدته، وما سأحاول إظهاره في هذه الدراسة، ولعل أقرب هذه الدراسات إلى موضوع بحثنا هو **رسالة ماجستير بعنوان** " **منهجيات الإصلاح والتغيير في سور الأحزاب ، سبأ ، فاطر – دراسة موضوعية** " إعداد الباحث: مصعب أحمد أبو حلبية، إشراف الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي، وهي دراسة تتعلق بمنهجيات الإصلاح والتغيير في سورة فاطر، وهي تختلف أيضاً عن موضوع بحثنا.

علماً بأن هناك دراسات تعرضت للسورة الكريمة من نواحٍ مختلفة منها: دراسة تبحث في تحليل جملة الشرط وبيان أثرها على المعنى التفسيري، وأخرى في المناسبة بين الفواصل فيها، وثالثة حول تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر. وهذه الدراسات عبارة عن رسائل ماجستير دُرِست في قسم التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة.

وقد اعتمدت كلية أصول الدين مشروعاً علمياً لطلبة الماجستير حول التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة يحددها الباحث، ويدرسها دراسة موضوعية تطبيقية، ويأتي هذا الموضوع ضمن هذه السلسلة من الموضوعات.

خامساً: منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي حسب منهجية التفسير الموضوعي، منطلقاً من الخطوات التالية:

١. استقراء آيات سورة فاطر واستنباط التوجيهات التربوية، واستخراج الأساليب البيانية منها.

٢. تقسيم البحث إلى العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب حسب ما يتطلبه البحث.

٣. تفسير بعض الآيات تفسيراً إجمالياً، والوقوف على هداياتها وفوائدها.

٤. بيان معاني المصطلحات الواردة في البحث بالرجوع إلى مظانِّها الأصلية.

٥. توثيق الآيات القرآنية المذكورة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث بين معكوفتين.

٦. الاستشهاد بالأحاديث والآثار التي تخدم موضوع البحث وتخريجها من مظانها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت، وإن كان في غيرها سأذكر حكم العلماء عليه إن وجد.
٧. الاستدلال بأقوال العلماء والمفكرين وأصحاب الشأن ذوي العلاقة بموضوع البحث، مع التوثيق في الحاشية.
٨. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق حسب الأصول.
٩. الترجمة للأعلام المغمورين التي ترد في البحث.
١٠. خدمة البحث بالفهارس اللازمة التي يُحتاج إليها، لتسهيل الانتفاع بها.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة، ثم مجموعة فهارس، وقد جاءت الخطة على النحو التالي:

- **المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، ثم خطة البحث.
- **تمهيد (بين يدي السورة):** مصطلحات البحث وتعريف عام بالسورة:
    - **أولاً:** تعريف المصطلحات الواردة في البحث: (تعريف التوجيهات التربوية، تعريف الأساليب التربوية).
    - **ثانياً:** بين يدي سورة فاطر: (تعريف بالسورة، أسماء السورة، نوع السورة، فضل السورة، ترتيب السورة، عدد آياتها).
        - **مناسبات تتعلق بالسورة:** (مناسبة السورة لما قبلها، مناسبة السورة لما بعدها).
        - **محور السورة وأهم مقاصدها:** (محور السورة وهدفها الرئيس، أهم مقاصد السورة).
- **الفصل الأول: التوجيهات التربوية العقدية وأساليبها في ضوء سورة فاطر، ويشتمل على أربعة مباحث:**
    - **المبحث الأول: التوجيهات التربوية المتعلقة بالتوحيد ودلائله من خلال سورة فاطر: وفيه خمسة مطالب:**
        - المطلب الأول: إثبات التوحيد ولفت الأنظار إلى دلائله من الكون.
        - المطلب الثاني: كمال علمه سبحانه وقدرته وبصره وحلمه ومغفرته.
        - المطلب الثالث: تفرّد الخالق سبحانه بالرزق والعزة والهداية والخلق.
        - المطلب الرابع: مجادلة المشركين ببطلان الشريك.
        - المطلب الخامس: عجز البشر وافتقارهم إلى الله.

- **المبحث الثاني: التوجيهات التربوية المتعلقة بالغيبيات في ضوء سورة فاطر: وفيه ستة مطالب:**
  - المطلب الأول: بيان طبيعة الملائكة ووظيفتهم.
  - المطلب الثاني: تقرير كتابة المقادير في اللوح المحفوظ.
  - المطلب الثالث: تأخير الآجال لوقت معلوم.
  - المطلب الرابع: ثبوت البعث والنشور ولفت الأنظار إلى دلائله من الكون.
  - المطلب الخامس: بيان جزاء أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
- **المبحث الثالث: التوجيهات التربوية المتعلقة بالرسالات في ضوء سورة فاطر: وفيه خمسة مطالب:**
  - المطلب الأول: إرسال الرسل وبيان وظيفتهم.
  - المطلب الثاني: بيان شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية قومه.
  - المطلب الثالث: نفي الهداية والإضلال عن النبي صلى الله عليه وسلم.
  - المطلب الرابع: تسلية النبي صلى الله عليه وسلم.
  - المطلب الخامس: تصديق القرآن لما تقدمه من الكتب والرسالات.
- **المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية العقدية في ضوء سورة فاطر: وفيه ثمانية مطالب:**
  - المطلب الأول: أسلوب التوكيد
  - المطلب الثاني: أسلوب النداء
  - المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام
  - المطلب الرابع: أسلوب الأمر والنهي
  - المطلب الخامس: أسلوب التشبيه
  - المطلب السادس: أسلوب الترغيب والترهيب
  - المطلب السابع: أسلوب القصر
  - المطلب الثامن: أسلوب التقديم والتأخير

– **الفصل الثاني: التوجيهات التربوية الوعظية وأساليبها في ضوء سورة فاطر، ويشتمل على أربعة مباحث:**

- **المبحث الأول: التوجيهات التربوية المتعلقة بالترغيب والترهيب في ضوء سورة فاطر: وفيه ثمانية مطالب:**

- المطلب الأول: التحذير من الدنيا وزينتها.
- المطلب الثاني: التحذير من الشيطان ووساوسه.
- المطلب الثالث: نفي التسوية بين العمل الصالح الطالح.
- المطلب الرابع: بيان أن كل نفس بما كسبت رهينة وتقطع الأنساب يوم القيامة.
- المطلب الخامس: الترغيب في العلم وتشريف العلماء.
- المطلب السادس: تشريف حَمَلَة القرآن.
- المطلب السابع: تزكية النفس بالأعمال الصالحة واجتناب السيئات.
- المطلب الثامن: التحذير من الكفر وبيان أنه سبيل إلى غضب الله والخسران المبين.

- **المبحث الثاني: التوجيهات التربوية المتعلقة بتصنيف الناس وبيان أحوالهم في ضوء سورة فاطر: وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: أصناف الناس تجاه القرآن:
    - أولاً: ظالم لنفسه.
    - ثانياً: مقتصد.
    - ثالثاً: سابق بالخيرات بإذن الله.
  - المطلب الثاني: الناس فريقان يوم القيامة.
    - أولاً: أهل الجنة المنعّمون فيها.
    - ثانياً: أهل النار المصطرخون فيها.

- **المبحث الثالث: التوجيهات التربوية المتعلقة بسنن الله في ضوء سورة فاطر: وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: بيان أن سنة الله ثابتة لا تتغير.
  - المطلب الثاني: سنة الله جارية في إهلاك الظالمين.
  - المطلب الثالث: بيان رحمة الله تعالى بعباده في أنه لم يعاجلهم بالعقوبة.

- **المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية الوعظية في ضوء سورة فاطر: وفيه خمسة مطالب:**
  - المطلب الأول: أسلوب التوكيد.
  - المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام.
  - المطلب الثالث: أسلوب القصر.
  - المطلب الرابع: أسلوب الإيجاز والإطناب.

- المطلب الخامس: أسلوب التقديم والتأخير.

- **الفصل الثالث: التوجيهات التربوية التعبدية وأساليبها في ضوء سورة فاطر: ويشتمل على مبحثين:**
  - **المبحث الأول: التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة فاطر: وفيه ستة مطالب:**
    - المطلب الأول: وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه.
    - المطلب الثاني: تقرير أن العلم سبيل الخشية.
    - المطلب الثالث: تلاوة القرآن وإقام الصلاة والنفقات موصلة إلى فضل الله ورضوانه.
    - المطلب الرابع: وجوب العمل بالقرآن.
    - المطلب الخامس: عبادة الدعاء وصرفها لله وحده.
    - المطلب السادس: مشروعية ركوب البحر لقضاء الحاجات والانتفاع مما فيه.
  - **المبحث الثاني: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة فاطر: وفيه مطلبان:**
    - المطلب الأول: أسلوب التوكيد.
    - المطلب الثاني: أسلوب القصر.

- **الخاتمة:** ستتضمن أهم النتائج والتوصيات

- **قائمة الفهارس:**
  - فهرس الآيات القرآنية.
  - فهرس الأحاديث النبوية.
  - فهرس الأعلام والتراجم.
  - فهرس المصادر والمراجع.
  - فهرس الموضوعات، (ويكون في أول الدراسة حسب متطلبات عمادة البحث العلمي).

تمهيد

مصطلحات عنوان البحث، وتعريف عام بالسورة

تمهيد

مصطلحات عنوان البحث، وتعريف عام بالسورة

تعريف التوجيهات التربوية:

١. **التوجيهات لغةً:** أصلها من الوَجْهِ، قال الزُّبَيْدِيُّ(١): "وهو مستَقْبَلُ كلِ شيءٍ، والوَجْهُ منَ الكلامِ: السَّبيلُ المقصودُ بِهِ"(٢).

٢. **التوجيهات اصطلاحاً:** هي التعليمات والإرشادات التي تجعل الإنسان يسلك سلوكاً معيناً.

٣. **التربية لغةً:** (رَبَا) الشَّيْءُ زَادَ، وَ(الرَّابِيَةُ) مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. وَ (رَبَّاهُ تَرْبِيَةً) وَ (تَرَبَّاهُ) أَيْ: غَذَّاهُ، وَهَذَا لِكُلِّ مَا يَنْمِي كَالْوَلَدِ، وَالزَّرْعِ، وَنَحْوِهِ(٣).

٤. **التربية اصطلاحاً:** "هِيَ تَبْلِيغُ الشَّيْءِ إِلَى كَمَالِه شَيْئاً فَشَيْئاً"(٤).

ومن خلال التعريفات السابقة يرى الباحث أن التوجيهات التربوية هي: التعليمات والإرشادات التي يتبعها الإنسان المسلم، والتي توجهه لاتباع القيم العليا، سواء في الجانب العقدي، أو التعبدي، أو السلوكي، واختيار أنسب الطرق للوصول إلى الكمال البشري.

تعريف الأساليب التربوية:

١. **الأسلوب لغةً:** "يُقَالُ للسَّطْرِ مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلوبٌ. وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسلوب الأُسْلوبُ الطَّرِيقُ، والوجهُ، والمَذْهَبُ؛ يُقَالُ: أَنتم فِي أُسْلُوبِ سُوءٍ، ويُجمَعُ أَساليبَ. والأُسْلُوبُ: الطريقُ تأْخذ فِيهِ. والأُسْلوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ؛ يُقَالُ: أَخَذ فلانٌ فِي أَساليبَ مِنَ الْقَوْلِ أَي أَفانينَ مِنْه"(٥).

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) (١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م)، ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه الملوك. وتوفي بالطاعون في مصر عام (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م). انظر: (الأعلام، الزركلي، (٧/٧٠).

(٢) تاج العروس، الزبيدي، ٥٣٦/٣٦

(٣) انظر: مختار الصحاح، الحنفي الرازي، ١١٧/١

(٤) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ٣١٤/١

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ٤٧٣/١

٢. **الأسلوب اصطلاحاً**: "طريقةُ اختيارِ الألفاظِ وتأليفِها للتعبيرِ بها عن المعاني قصدَ الإيضاحِ والتأثيرِ"[١].

ويرى الباحث أن الأسلوب القرآني هو: الطريقة الفريدة التي استخدمها القرآن في إيصال معانيه في أفضل صورة، والتعبير عن علومه وفنونه في قالب قويم، من أجل هداية الإنسان ووصوله إلى سعادة الدارين.

ثانياً: تعريف عام بالسورة:

سورة فاطر من السور المُفْعَمة بالمعاني الإيمانية اللطيفة، الراقية –كما هي سور القرآن– بأساليبها البلاغية الجمالية، من السور المكية المشحونة بالتوجيهات والتعاليم المتنوعة: العقدية، والوعظية، والتعبدية التي تأخذك إلى عوالم بعيدة، وتخرجك من زحمة الحياة الدنيا إلى روائع العالم العلوي وحقائقه وأسراره، والتي تحقق لمن تحققها علماً وعملاً؛ النجاح والفلاح في الفانية والباقية.

١. **أسماء سورة فاطر:**

"سورة فاطر لها اسمان مشهوران عند العلماء، سورة فاطر، وتسمى سورة الملائكة"[٢].

ومناسبة تسميتها بسورة "فاطر" هو تفردها بالابتداء بهذا الاسم فسميت به.

ومناسبة تسميتها بسورة "الملائكة" هو ذكر وصف الملائكة في السورة بصفات لم تذكر في غيرها من السور فناسب أن تسمى بذلك[٣].

٢. **نوع السورة:**

تعد سورة فاطر من السور المكية، وعن الحسن: هي مكيَّة إلا آيتين: "إن الذين يتلون كتاب الله" الآية، "ثم أورثنا الكتاب" الآية[٤].

٣. **ترتيب السورة وعدد آياتها:**

هذه السورة هي الثالثة والأربعين في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم[٥]، وآياتها خمس وأربعون آية[٦].

٤. **فضل السورة:**

---

(١) الأسلوب، أحمد الشايب، ٤٤/١

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ٥٠٥

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤٧/٢٢

(٤) انظر: روح المعاني، الآلوسي، ١٦١/١١

(٥) التحرير والتنوير (ج٢٤٧/٢٢).

(٦) فتح القدير، الشوكاني، (٤٤٥/٤).

هي من المثاني التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان الإنجيل[١].

٥. مناسبات تتعلق بالسورة:

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها: السورة التي سبقت سورة فاطر هي سورة سبأ، وكلاهما من قسم المثاني[٢] في القرآن الكريم، والسورتان مكيتان. هناك تناسب كبير بين السورتين: فإن كلا السورتين بدأتا بالحمد، ومتقاربتان في المقدار، وكلا السورتين تحدثتا عن نعم الله سبحانه وتعالى وعن استحقاق الله تعالى للشكر، "وإذا كانت سورة سبأ قد فصّلت وبيّنت استحقاق الله عز وجل الشكر، فإن سورة فاطر فصّلت وحدّدت طريق الشكر العمليّ"[٣]. "وكذلك لما أوضحت سورة سبأ أنه سبحانه مالكُ السماواتِ والأرض ومستحقُ الحمد في الدنيا والآخرة، أوضحتْ هذه السورة أن ذلك خَلْقُه كما هو مُلْكُه وأنه الأهل للحمد والمستحِق، إذ الكل خَلْقُه ومُلْكُه، ولأن السورة الأولى تجردت لتعريف العباد بأن الكل ملكه وخلقه دارت آيها على تعريف عظيم ملكه"[٤].

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها: لما أوضحت سورة فاطر من عظيم ملك الله تعالى، وتوحده بذلك، وانفراده بالمُلك والخلق والاختراع ما تنقطع العقول دون تصور أدناه، ولا تحيط من ذلك إلا بما شاءه، وأثبتت ذلك بالبراهين والآيات؛ ذكر سبحانه في سورة يس نعمة إرسال الرسل وأثنى على من اختارهم الله لبيان الآيات والصفات الثابتة لله تعالى والتي ذكر منها في سورة فاطر[٥].

قال في الأساس: "فتكمّل معاني سورة فاطر، فسورة فاطر مثلا ذكر الله فيها **(إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)** [فاطر: ١٨]، وسورة (يس) تتحدّث عن الرسل ومهمتهم. ومما تقوله: **(إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ)** [يس: ١١]، فهي تكمّل ما بدأته سورة فاطر، وتزيده تفصيلا، إذ تتحدث عن المرسلين عامة ومهمتهم وموقف الناس"[٦].

٦. محور السورة وموضوعاتها ومقاصدها:

---

(١) انظر: الأحاديث الثابتة في فضائل سور وآيات القرآن، محمد بن رزق الطرهوني، (١/ ٣٣).

(٢) قسم المثاني: ما ولي المئين. انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٢٤٥)، وتبتدئ من أول الأحزاب وتنتهي في آخر الحجرات. انظر في رحاب القرآن (١/ ١١٦).

(٣) الأساس في التفسير، سعيد حوى، (٨/٤٥٦٠).

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر الغرناطي، (١/٢٨٦).

(٥) انظر: المصدر السابق، (١/٢٨٧).

(٦) الأساس في التفسير، سعيد حوى، (ص: ٤٦١٣)

أولاً: محور السورة وهدفها الرئيس:

أصبح من المعلوم أن كل سورة من سور القرآن الكريم لها محور وهدف رئيس، وتنقسم إلى موضوعات فرعية، ولها مقاصد تتميز بها عن غيرها من السور، وتختلف السور المدنية عن السور المكية في الموضوعات الرئيسة بشكل عام؛ حيث إن السور المكية تركز على البناء العقدي والتعبدي والأخلاقي وقضية الإيمان، في حين أن السور المدنية تجد الجانب التشريعي فيها حاضراً أكثر من غيره وتركز على بناء المجتمع المسلم بناء صحيحاً.

سورة فاطر من السور المكية التي تثبت مفاهيم جديدة وأفكار أصيلة تجاه مجتمع مكة ابتداء، ثم إلى كل البشرية انتهاء. وبرز فيها جوانب عديدة: إيمانية عقدية، وتعبدية، ووعظية، ويرى الباحث أن محور السورة الرئيس هو: **بيان قدرة الله في عوالم المخلوقات، وتذكير الناس بربهم الخالق ووجوب شكره، وإزالة كل ما يحول بين الناس وبين هذه الحقائق العظيمة.**

ثانياً: أهم مقاصد السورة:

ذكرت السورة العديد من المقاصد والتي بدورها ترتبط بالمحور الرئيس، وسنذكر أهم هذه المقاصد:

١. قدرة الله المطلقة التي لا حدود لها، والتي لا يحول بينها وبين وقوع ما أراد الله شيء.
٢. تذكير الناس بخالقهم وربهم حتى يعودوا إليه ويعبدوه ويطيعوه.
٣. تحذير الناس من الاغترار بالدنيا والشيطان وأن عاقبة ذلك هو الخسران المبين.
٤. وجوب شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه الكثيرة.
٥. تقرير حقيقة الألوهية ووجوب إفراد الله عز وجل بها، وإبطال عقيدة الشرك ونفي الألوهية عن الآلهة المزعومة.
٦. الوصول إلى خشية الله تبارك وتعالى عن طريق التفكر في نعم الله ومخلوقاته.
٧. الإيمان والعمل الصالح هو سبيل الفوز والفلاح، ونفع ذلك يعود على صاحبه.
٨. الدنيا دار عمل بلا جزاء، والآخرة دار جزاء بلا عمل.
٩. سنن الله ثابتة مطّردة لا تتغير ولا تحابي أحداً.
١٠. أهمية التفكر والاعتبار بأحوال الأمم السابقة.

الفصل الأول

التوجيهات التربوية العقدية وأساليبها في ضوء سورة فاطر

الفصل الأول

التوجيهات التربوية العقدية وأساليبها

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التوجيهات التربوية المتعلقة بالتوحيد ودلائله.**
- **المبحث الثاني: التوجيهات التربوية المتعلقة بالغيبيات.**
- **المبحث الثالث: التوجيهات التربوية المتعلقة بالرسالات.**
- **المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية العقدية.**

المبحث الأول:

التوجيهات التربوية المتعلقة بالتوحيد ودلائله من خلال سورة فاطر

المطلب الأول:

إثبات التوحيد ولفت الأنظار إلى دلائله من الكون

لو أنك نظرت إلى الكونِ الفسيح في ليلةٍ صافيةٍ، ورأيت النجومَ الكثيرةَ الهائلةَ تزينُ جدرانَ السماءِ الفسيحة، لو نظرت إلى القمرِ فوجدتَه منيراً ساطعاً جميلاً يؤنسُ ظلمةَ الليل ووحشته، ثم لو رأيت الشهبَ القواذف التي تطير هنا وهناك، ولو طلع عليك الصبحُ؛ فسمعت صوت أنفاسه الرقراقة، ورأيت الشمس تطلع فتضيء الدنيا مؤذنة بزوال الليل وطلوع النهار في تعاقبٍ حثيث، لو نظرت إلى البحر وهو في مد وجزر لطيفين، لو رأيت كائنات ذلك البحر التي تعيش في غياهِب ظلماته، لو ذهبت إلى الغابات ورأيت آلاف الكائنات التي تحيا وتروح وتأتي، وفي غير ذلك من العوالم التي نعلم والتي لا نعلم؛ لرأيت حياة مليئة بالتفاصيل؛ لرأيت شواهد على خلق جميل؛ لرأيت إبداعاً، ثم لرأيت يداً حكيمة صانعة متفردة وراء كل ذلك، لرأيت قدرة وإرادة جاءت بهذه الحياة على ذلك النحو من التقدير، فإذا بك تتعرف إلى الإله الخالق الجميل الواحد الذي أوجد كل ذلك.

إنه التوحيد الذي رُسِمَت لوحةُ الكون على أساسه، وما قامت الموجوداتُ إلا على بنائه، ولا تنطقُ الكائنات إلا بكلماته، وما جاءت الرسل وما أنزلت الكتب إلا لبيانه ولعظيم شأنه.

والقرآنُ العظيم الذي نَزَل باسم الله الواحد، تجد أن كلَ آياتِه -في المحصلة- تؤدي إلى توحيد الله جل جلاله، يقول شارح الطحاوية: "فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبَى من العذاب فهو جزاء مَن خَرَجَ عن حُكمِ التوحيد"[١].

فلذلك كان التوحيد هو أهم قضية في حياة البشر، فجاء القرآن وأعطى هذه القضية جل آياته وتعليماته في إثباته ولفت الأنظار إلى دلائله في الكونيات والعقليات والشرعيات.

---

(١) شرح الطحاوية، أبو العز الحنفي، (١/٤٣).

في ثنايا سورة فاطر يلفتُ اللهُ سبحانَه وتعالى الأنظارَ إلى دلائل التوحيد في الكون والمخلوقات، وفيها تحدثُنا الآيات عن عظيمِ مخلوقاتِ الله جل جلالُه، وسيذكر الباحث بعض هذه الدلائل في البنود التالية:

أولاً: بداية خلق الإنسان:

يقولُ تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [فاطر: ١١].

يذكر الله سبحانه وتعالى أنه ابتدأ خلقنا من تراب، يعني بذلك أنه خلق أبانا آدم من تراب؛ فجعل خلق آدم من تراب خلقاً لذريته، ثم خلق ذريته من نطفة الرجل والمرأة، ثم جعلهم أزواجاً يعني أنه زَوَّجَ منهم الأنثى من الذكر، وصار البشرُ يتناسلون ويتكاثرون[١].

قال الرازي: قال المفسرون: "خلق اللهُ تعالى آدم عليه السلام من طين، فصوَّره وتركه في الشمس أربعين سنة، فصار صَلْصَالاً كالخَزَف، ولا يدري أحدٌ ما يراد به، ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح، وحقيقة الكلام أنه تعالى خلق آدم من طين على صورة الإنسان، فجف فكانت الريح إذا مرت به سُمع له صَلْصَلَة؛ فلذلك سماه الله تعالى صلصالاً"[٢].

وهناك رأي آخر في تفسير هذه الآية يردُّ خَلْقَ الإنسان إلى التراب من النطفة دون خَلْقِ أبينا آدم. في التفسير: "أي: واللهُ خلق الناس من النطفة، والنطفة من الغذاء، والغذاء ينتهى آخراً إلى الماء والتراب، فهم من ترابٍ صار نطفةً"[٣].

وعلى أي حال فإن خلق الإنسان هي علامة عظيمة ودلالة جليلة على وحدانية الله وعظمته، فهذا الإنسان الذي أوجده الله بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، يقول تعالى: (**هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً**) [الإنسان: ١]. قدرةٌ عظيمةٌ في الإبراز من العدم إلى الوجود، وخَلْقُ الإنسان من تراب، ثم من نطفة ثم يجعلهم أزواجاً.

فما تستطيع غير القدرة القادرة أن تخلق الإنسان ابتداءً من التراب، وما تستطيع غير القدرة القادرة أن تجعل هذه النطفة الناتجة في كيان ترابي الأصل –تصبح أزواجاً ذكوراً وإناثاً يتم بينهم

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، بتصرف (٤٤٧/٢٠)

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٣٨/١٩)

(٣) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (١١٣/٢٢)

التزاوج ليخرج النسل! وليس شيء من ذلك حتمية من حتميات الخلق، ولا حتى صادراً صدوراً تلقائياً من الخلق في صورته الأولى بعد تسويته من التراب؛ إنما هي القدرة، التي تخلق كل شيء بمشيئتها، (**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**) [الرعد: ٨] (١).

وفي ضوء آية فاطر في خلق الإنسان يذكرُ سبحانَه أنه خلق الإنسان من تراب؛ ومن ذلك نستنبطُ أن الإنسانَ مخلوقٌ حادث، فظهر وجوبُ انتهاءِ الناسِ إلى إنسانٍ هو أول الناس، وهذا الإنسان الأول يكونُ مخلوقاً لا محالةَ بقدرةِ الله تعالى، والمفسرون أجمعوا على أن الإنسان الأول هو آدمُ عليه السلام، وبما أنَّ الإنسانَ حادث؛ وجبَ القطعُ بأنَّ آدمَ عليه السلام وغيره من المخلوقات الحادِثة لا بد لها جميعاً من خالق(٢).

وفي طبيعة جسم الإنسان تفاصيلُ عجيبةٌ ومتقنةٌ، وتحكُّمٌ دقيق لكل شيء في جسم الإنسان من قِبَلِ العقل، والدورةِ الدمويّة، والجهاز العَصَبي، والجهاز الهضمي، وغيرها في عمل دَؤوب، والإنسانُ في غفلةٍ وذهولٍ عن العوالِم التي تعيشُ في داخِلِه، فمن الذي يحكم عمل هذا العالم الذي بداخل الإنسان غير الله؟!

ثانياً: خلق البحار وما فيها من الأسرار:

مخلوقات الله سبحانه وتعالى متنوعة الأوصاف والأحجام والأشكال، ومن مخلوقات الله العظيمة البحار، هذا المخلوق الكبير الواسع الذي فيه من خلق الله ما فيه من الكائنات المتنوعة والمختلفة التي لا حصر لها، يقولُ تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [فاطر: ١٢]، فالبحار بحق آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

يعتبر البحر آية من آيات الله الكبيرة والعجيبة، إذ من المعلوم أن المياه تغمر حوالي ثلثي الكرة الأرضية، ثم ما تحتويه البحار من مخلوقات متنوعة عديدة مختلفة الأحجام والأشكال في إبداع عجيب في أشكالها وجمالها، وسنذكر أهم الفوائد من خلق الله للبحار وما فيها من توجيهات:

١. فيه من الكائنات المتنوعة ما هي طعامٌ ورزق مفيد لكثير من المخلوقات وأولها الإنسان. قال تعالى: "**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا**" [فاطر:١٢]، فاللهُ سبحانَه وتعالى يُبَيِّن لنا عظيمَ نعمةِ هذه المخلوقات في أنها رزق كريمٌ لنا من لدنه سبحانَه، وهذا يدفَعُنا إلى شكرِ الله وتعظيمِه.

---

(١) دراسات قرآنية، محمد قطب (ص ٢٣٣).

(٢) مفاتيح الغيب، (١٣٧/١٩). بتصرف.

٢. يعتبر البحر ثروة طبيعية إذ فيه من الأحجار الكريمة والحلل النادرة كاللؤلؤ والمرجان، أيضاً البحر ثروة في عصرنا الحاضر تعتبر البحار حاضنة للنفط والغاز الطبيعي اللَّذَيْنِ يُعتبران ذهب هذا الزمان، قال تعالى: ﴿**وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾ [فاطر: ١٢]، وفي هذا امتنانٌ آخرُ على الناس وتذكيرِهم بصاحبِ هذه النعم وموجِدها؛ ليعرفوا حقَّه فيها.

٣. سخَّرَ اللهُ البحرَ لحملِ السُّفُن بما أودع الله الأشياء في هذا الكون من خصائص، ولكثافة الماء وكثافة الأجسام التي تتكون منها السفن دخل في إمكان طوف السفن على سطح الماء وسيرها فيه[١]، وما في ذلك من النفع الكبير للإنسان في تسهيل السفر والتجارة وتبادل المنافع بين البشر قال تعالى: "**وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**" [فاطر: ١٢].

٤. إنَّ السرَّ وراء هذه الأسباب والظواهر الموجودة، هو خَلْق الكون بهذه الطبيعة وهذه النِسَب والأوضاع، التي تسمح بنشأة الحياة ونموها وتوفير الأسباب الملائمة لها، سر التدبير الدقيق الذي يَشِيْ بالقصد والاختيار، كما يَشِيْ بِوحدة التصميم ورحمة التدبير[٢].

٥. ما في البحار من هذا الأمر العجيب، وهو قوله تعالى: "**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيانِ**" [الرحمن:١٩-٢٠]، "**وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ**" [فاطر: ١٢]، ثم إنه تعالى بقدرته يحفظ البعض عن الاختلاط بالبعض، وكل ذلك يرشد العقول والألباب إلى افتقارها إلى مدبّر يدبرها ومقدّر يحفظها[٣].

٦. السفن وإن كانت من تركيب الناس إلا أنه تعالى هو الذي خلق الآلات التي بها يمكن تركيب هذه السفن، فلولا خلقه لها لما أمكن ذلك، ولولا الرياح المُعِينة على تحركها لما تكامل النفع بها[٤].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٩٣٤/٥). بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق، (١٥٣/١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (١٦٨/٤).

(٤)انظر: المصدر السابق، (١٦٨/٤).

ثالثاً: تسخير الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار:

وهذه علامة أخرى من العلامات الكثيرة الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وآية جليّة تتحدث عن جلال وعظمة وتدبير الخالق الواحد الذي له في كل شيء آية تدل عليه وترشد إليه:

وفي كل شيء له آيةٌ　　　تدل على أنَّه واحدُ[1]

هذه الآية الجليلة النفع والتي فيها من الخير العظيم للناس والحياة بجميع أصنافها، يقول تعالى: ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ [فاطر:١٣].

إذ لولا الشمس لما كانت هناك حياة ولما كان هناك معنى للقمر، ولا نعرف ما الليل وما النهار، فسبحان الذي سخر هذه المخلوقات الهائلة لنا.

فوائد هذه الآية وما فيها من توجيهات تربويَّة:

١. جعل الله الشمس ضياء للأرض ونوراً يبصر الناس معها هذا الكون الفسيح، ويروا نِعَمَ اللهِ ومخلوقاتِه الجميلة، ويتمكَّنوا من العيش في هذه معمورة، وأثبت علماء الطب أن للشمس فوائد صحية كثيرة لجسم الإنسان والتعرض لها يحمي من كثير من الأمراض.
٢. بدوران الأرض حول نفسها في مقابل الشمس يحدُث تعاقب الليل والنهار، ومن خلال ذلك تمكن الإنسان من حساب أوقات السنين، وعدد الأيام، وحساب الساعات والتواريخ وما في ذلك من الفوائد ما لا يخفى على أحد.
٣. وفي حركة الشمس تنفصل السنة إلى الفصول الأربعة، وبالفصول الأربعة تنتظم مصالح هذا العالم، وما يصحب ذلك من الفوائد للأرض والنباتات والبحار وجميع أصناف

---

(١) بيت الشعر للشاعر لبيد بن ربيعة، انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (٢/٤١٠).
لبيد بن ربيعة: ابن مالِك بن جَعفَر بن كِلاَب بن رَبيعَةَ بن عامِر بن صَعصَعَةَ الشّاعِرُ، ويُكنَى: أَبا عَقيلٍ، وَكَانَ فى الْجَاهِلِيَّة خير شَاعِر لِقَوْمِهِ يمدحهم ويرثيهم ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم، قَدِمَ عَلَى رَسول الله صَلى الله عَليه وسَلم، فَأَسلَمَ ورَجَعَ إِلَى بِلاَدِ قَومِه، وَكَانَ فَارِسًا شَاعِرًا شجاعا، عذب الْمنطق رَقِيق حواشى الْكَلَام، وَكَانَ مُسلما رجل صدق ثُمَّ هاجَرَ إِلَى الكوفَة، فَنَزَلَها ومَعَهُ بَنونَ لَهُ، وماتَ بِها لَيلَةَ نَزَلَ مُعاوِيَةُ النُّخَيلَةَ، لِمُصالَحَة الحَسَن بن عَليٍّ رَحِمَهُما الله، ولَم يَقُل لَبيدٌ في الإِسلاَم شِعرًا، وقالَ: أَبدَلَني الله بِذَلِكَ القُرآنَ. انظر: الطبقات الكبير، ابن سعد، (٨/١٥٥)، طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، (١/ ١٣٦).

الحياة، ويمكن للإنسان ترتيب معاشاته من الزراعة والحراثة وإعداد مهمات الشتاء والصيف، وبحركة القمر تحصل الشهور، وبسبب الحركة اليومية يحصل الليل والنهار، فالنهار يكون زمناً للتَّكسُّب والطلب، والليل يكون زماناً للراحة[١].

٤. إن حركة الشمس والقمر والنجوم والكواكب وانتظامها يدلُّ على أنّه سُبحانَه أودَعَ في أجْرَامِ الأفلاكِ والكواكِبِ خواصَّ معيَّنة وقوىً مخصوصةً، وباعتبارها تنتظم أمور الكون؛ إذ لو لم يكن لها آثارٌ وفوائدُ في هذا العالَم، لكانَ خَلقُهَا عبَثاً وباطلاً وغيرُ مفيدٍ، ونصوص القرآن تُنافي ذلك، فهذا يدلِّل على الخالِق الواحِد[٢].

٥. وبها يتم ضبط العبادات والمعاملات الدينية والمالية والبدنية، فقد جعل الشرع الإسلامي العام شهر الصيام وأشهر الحج وعدة الطلاق ومدة الإيلاء وغير ذلك بالحساب القمري الذي يعرفه كل أحد بالمشاهدة[٣].

إنَّ آية الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار، وما يتعلَّق بهما لهي آيات عظيمة من آياتِ الله التي تَدُلُّنا على مُلكِ الله الواسِع، وأنَّ الله سبحانَه هو المَلِك، وبيدِه مُلكُ السماواتِ والأرض، فتُقرِّرُ حقيقة الربوبيَّة، وتُبطل كل ادعاء بالشِّرك، وأن عاقبتَه الخُسران يوم القيامة[٤]، وهذا يُبين بطلانِ الشركاء من دون الله، ويُعلِّق القلوبَ بالله سبحانه تعالى ويوجُّهها إلى طاعته والخضوعِ له.

رابعاً: إنزال الماء من السماء:

الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يذكرنا كثيراً بِنَعمه وآلائه ومخلوقاته، ولهذا مقصد عظيم وكبير؛ كي يذكرنا الله بذاته العليّة، ويعرفنا بجليل صفاته وأفعاله، ويجعل عقولنا وقلوبنا تسبح بحمده وتمجده في عليائه. وهذه آية الآيات آية إنزال الماء الذي جعله الله علة كل حي، وهي آية يقف معها الإنسان طويلاً معترفاً بنعمة الله فيها، ثم متفكراً في أسرار وحكم هذه الآية، متعجباً كيف يدبر الله أمر هذه الآية. قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ [فاطر:٩]. وهي آية وعلامة قاطعة على وحدانية الله تقود العبد إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا**﴾ [فاطر:٢٧].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٠٩/١٧)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٢٨٤/١١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٢١٠/١٧).

(٣) انظر: تفسير المنار، (٢٤٨/١١).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٢٩٣٥).

التوجيهات التربوية من آية إنزال الماء من السماء في سورة فاطر:

١. في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُور**﴾ [فاطر:٩]. تُجمِلُ الآيةُ زمنَ عمليَّةِ نزولِ المطر، وكذلكَ إحياءَ الأرض بعد موتها –وهو أمرٌ يستغرقُ زمَناً ليس بيَسير– فأجمَلَتْه الآيةُ في سطرٍ، وجالَت الآيةُ بنا في رحلةٍ موجزةٍ سريعة في تلكَ الأجواء، وهو أمرٌ يدعونا إلى التفكُّرِ في مخلوقاتِ الله وشواهدِ عظمته سبحانه، والبحثِ عن أسرارِ الكون المادِّي.

٢. عمليةُ إحياءِ الأرض الموات بالماء أمرٌ يشاهده الناس ويعرفونه في حياتهم، فكما يحيي الله الأرضَ بعد موتها بالماء؛ كذلك أمرُ البعثِ وإحياءِ الناسِ بعد موتهم، فيدعونا ذلك إلى الإيمان واليقين باليوم الآخر وقدرة الله على البعث.

٣. جعل اللهُ الماءَ قوام كل المخلوقات إذ ما من مخلوق إلا والماء جزءٌ أساسيٌّ من تكوين جسمه، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُون**﴾ [الأنبياء: ٣٠]. "فيدخل فيه النبات والشّجر؛ لأنه من الماء صار نامياً وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر"[١]، ويدخل فيه الإنسان، ويدخل فيه الحيوانات البريّة والبحريّة، فهذا من الدلائل على وحدانية الله سبحانه وتعالى؛ إذ جعل من الماء الواحد سبباً لحياة سائر الأحياء.

٤. نزول المطر الذي به حياة الإنسان والنباتات والأرض والحيوانات وسائر المخلوقات. يقول العلّامة السَّعديُّ في تفسيره: "أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافياً، ثم ساقه إلى بلد ميّت قد اغبرّت أرجاؤه، وقحُط عنه ماؤه، فأمطره فيها، فاهتزت وتحركت وربَت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع، أليس ذلك دليلاً على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟"[٢].

٥. في تكوين جزيء الماء: يتكون جزيء الماء من ذرتين هيدروجين وذرّة أكسجين، ورمزه العلمي (H_2O)، والأكسجين بسببه يكون الاحتراق، وهو بدَورِهِ هذا مُكوِّن لجزيء الماء الذي يُعْتَبَر العامل الرئيسي لإطفاء النار، وفي هذا من الإعجاز في أنَّ الله يخلق الشيءَ من ضدِّه.

خامساً: تنوع أصناف وألوان الكائنات:

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، (١٩١/٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٥٢٢/١).

يذكرنا الله سبحانه وتعالى بنعمه وآلائه علينا، ويعرّفنا به وبعظيم صفاته، وهذه النعم توصل العبد إلى توحيد الله سبحانه وتعالى. وفي القرآن يأخذنا الله في جولات في كتاب الكون في صحائفه المعجبة الرائعة، المتنوعة الألوان والأنواع والأجناس، والثمار المتنوعة الألوان، والجبال الملوّنة الشعاب، والناس والدّوابّ والأنعام وألوانها المتعددة الكثيرة، هذه اللفتة العجيبة إلى تلك الصحائف الرائعة في كتاب الكون المفتوح[1]. قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ**﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]. يذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات اختلاف أصناف الثمرات وأجناسها وألوانها فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر، بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد. ثم إن اختلاف الثمرات سببه اختلاف البقاع والأراضي؛ فذكر أن اختلاف البقاع إنما هو بإرادة الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿**وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ**﴾. والجدد "جمع جُدَّة، أي: طريقة ظاهرة، من قولهم: طريق مَجْدُود، أي: مسلوك مقطوع"[2]. وفي ألوان الطرائق والصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها فمنها البِيض ومنها الحُمُر وهي مختلفة فيما بينها في درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه، وهناك طرائق وشِعاب حالكة شديدة السواد، ثم ألوان الناس وهي لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر، فكل فرد بعد ذلك متميز بين بني جنسه، وكذلك ألوان الدوابّ والأنعام. فهذه المخلوقات كما أنها في أنفسها دلائل، كذلك في اختلافها دلائل[3]، وهذه الآية تدل بقوة على وحدانية الله وقدرته.

وإن تخصيص الفعل بهَيْأته وألوانِه من أدلّة قصدِ الفاعلِ وبُرهانه، فإتقان الفِعلِ وإحكامُه شواهدُ الصُّنعِ وأعلامُه، وكذلك أيضاً الناسُ والدّوابّ والأنعام، بل جميعُ المخلوقات، مُتَجانِس الأعيانِ مختلفُ الصفات وهو دليلُ ثبوت مُنشِئها بنَعتِ الجلال[4].

(١) في ظلال القرآن، بتصرف (ص ٢٩٤١).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (١٨٨/١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٣٥/٢٦-٢٣٦)، في ظلال القرآن، (ص٢٩٤٣).

(٤) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، (٥٣٦/٤).

المطلب الثاني:
كمال علمه سبحانه وقدرته وبصره وحلمه ومغفرته

إن الكون وما فيه من عوالم وأجرام هائلة وكائنات ومخلوقات، لهو أثر لصفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى، وإن الإنسان لو تخلص قلبُه من العلائق، وعقله من الشوائب؛ لأبصر اللهَ في كل شيء، فهو سبحانه كما أوجد الكون من العدم؛ فقد أودع فيه من الأسرار والآثار والعلامات ما يدل عليه سبحانه وتعالى، لو نظرت إلى لوحة مرسومة متفحصاً فيها؛ أولاً لتساءلت: أيَّ فنان رسم هذه اللوحة؟ ثم لو كان هذا الفنان بارعاً فإنه سيودع في لوحته أسراراً وإشارات تدل على تميزه وتفرده، لله المثل الأعلى، هذا الكون لا بد للإنسان أولاً _ببداهة_أن يتسائل: مَن صانع هذا العالم الكبير العظيم؟ ثم في تفحصه في الكون سيصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى لما في الكون من آثار صفات الله العُلى؛ ما يجعلك في آخر الأمر تسجدُ للَّذي فطر السماوات والأرض، معترفاً له بعظمته وعلوّ شأنه، مُقراً له بكمال صفاته وجميل فِعاله.

أولاً: كمال علمه سبحانه وتعالى:

إن الله سبحانه وتعالى له من الصفات أعلاها وأكملها، علمه قديمٌ أزليٌّ، لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان، محيطٌ بكل شيء شاملٌ كامل، يعلم دقائق وخفايا الأمور، يعلم أعمال العباد قبل أن يخلقهم،، يعلم غيب السماوات والأرض، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؟ قال سبحانه وتعالى: **"وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"** [الأنعام: ٥٩].

وفي سورةِ فاطر يذكُرُ اللهُ طرفاً من علمه سبحانه وتعالى فيقول: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [فاطر: ١١]، فينبئنا اللهُ عز وجل عن كبيرِ وعظيمِ علمِه، فما من شيءٍ يخفى عليه سبحانَه، فما تحملُ من أنثى أو تضع حملها إلا ويعلم أدقَّ التفاصيلِ عن ذلك، وأيضاً أعمارُ العبادِ وآجالهم كل ذلك في علمِ الله محصولٌ ومكتوبٌ، قد أحصى ذلكَ كلَّه وعَلِمه قبلَ أن يخلقَه، لا يُزادُ فيما كُتِبَ له ولا ينقُص، وإحصاءُ أعمارِ خلقه عليه يسيرٌ سهل، طويلُ ذلك وقصيرُه، لا يتعذَّر عليه شيءٌ منه(١).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢٠/٤٤٩).

وما تحملُ من أُنثى ولا تضعُ إشارةٌ إلى كمالِ العلم، فإن ما في الأرحامِ قبل الانْخلاقِ بل بعدَه ما دامَ في البطن لا يعلمُ حالَه أحدٌ، كيف والأمُّ الحاملة لا تعلم منه شيئاً، فلما ذكر بقوله: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**﴾ كمالَ قُدْرَتِه بيَّن بقوله: ﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**﴾ كمالَ علمه ثم بين نفوذ إرادته بقوله: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾ فبيَّنَ أنه هو القادرُ العالِمُ المُريدُ والأصنامُ لا قدرة لها ولا علم ولا إرادة، فكيف يستحق شيء منها العبادة(١).

إن صفة العلم صفةٌ عظيمةُ القَدْرِ تُنبئُنا عن عظمةِ إلهنا وخالقِنا، وهي تثبتُ أنَّ الله سبحانه وتعالى يستحقُّ وحدَه العبادة؛ لأن من يتصف بصفاتِ الكمالِ أحقُّ بالألوهية ممن تعتريه صفاتِ النقص.

ثانياً: كمال قدرته سبحانه وتعالى:

الكون وما فيه من عوالم وحركات وسكنات، ما هو إلا أثر من آثار قدرة الله، وليس لشيء من الأشياء قدرة ذاتية يستمدها من نفسه ومن طبيعته؛ إنما قدرة الله هي التي أرادت؛ فكان أن صارت الأشياء بواسطة تلك القدرة. وقدرة الله جلَّ وعلا كاملةٌ مطلقةٌ لا يقف شيءٌ دونها، ولا يحول بينها وبين ما أراد اللهُ حائل.

والله قديرٌ على كل شيء، قوي متين، لا يؤوده خَلق ولا أمر، قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١]. يبرزُ اللهُ سبحانَه وتعالى هنا جانباً من قدرتِه في خلقِ السماواتِ والأرض وخلق الملائكة؛ فهو سبحانَه قد أوجدَ السماواتِ والأرضِ على غير مثالٍ سابق، وخَلَقهُما خَلْقاً عظيماً مُبهراً ليس فيه من تفاوت، والبشرُ لا يُحيطونَ بما في هذا الكون من سعةٍ وكائناتٍ وأجرام إلا بما شاء اللهُ لهم من ذلك، فيقفُ العقلُ صاغراً خاضعاً مُستسلماً أمام هذه القدرة، وإذ به يُعلنُ العبوديَّة لله سبحانَه صاحبِ القدرةِ المطلقة.

وفي وصفِ خَلقِ الملائكة يُطلِعنا جل جلالُه على جانبٍ من قدرتِه العظيمةِ في خَلْقِهم، وهي أنه جعل لهم أجنحةً متفاوتة في العدد والحجم، وهذا يجعلنا نتصور جمال وعِظَم هذه المخلوقات، وكذا التنوع والإبداع في خلقهم، وإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق، فيستحقُّ إذاً أن نعظمه ونطيعه فيما أمر ونهى وقد أوجدَ لنا كل هذه المخلوقات على أحسن هيئة وصفة بكمالِ قدرته وإرادته.

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٢٧).

فالله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء، وكل شيء تحت قدرته ونعمته، وكل ما في هذا الكون مسخَّرٌ بأمرِهِ سبحانَه وقد أتَته السماوات والأرض طائعتين، فيقول سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ [فاطر: ٩]، فهذه العملية التي تجري من إرسال الرياح وإثارتها وتحريكها كيف ما يشاءُ سبحانَه، وتسوقُ السحابَ إلى البلدِ الميت، فيحصل بذلك إحياءُ هذه الأرض بعد أن كانت مواتاً، ثم بكل بساطةٍ يخبرُ جل جلاله أن عملية إحياء الموتى والتي يستبعدها الجاحدون ما هي إلا كمثلِ هذه العملية الحية التي يشاهدونها ويعاينوها(١).

وقدرةُ اللهِ مطلقة ونافذة، لا يحولُ بينها وبين وقوع المقدور شيء، ولا يستطيع أحدٌ أن يمنعَ شيئاً أراده الله، وهو سبحانَه لا يُعجِزه شيءٌ في مُلكِه، كما أنه لا يؤودُه تدبيرُ شؤون خلقِه، يقول تعالى: "**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**" [فاطر: ٤٤].

وإن الغاية من خَلْقِ الخَلْقِ بهذا التكوين الهائل وهذا النظام الكامل أن يعرفنا الله بقدرته وعلمه، "**اللهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاواتٍ ومِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ وأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَا**" [الطلاق: ١٢]. فانظر إلى تلك القدرة الهائلة التي لا حدود لها، انظر في خلق السماوات السبع الشِّداد في خَلقٍ مبهِر عظيم. يقول تعالى: "**وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ**" [الأنبياء: ٣٢]. فأمر السماوات أمر عظيم في خلقها بلا عمد، وفي سعتها وكِبرها وفي العوالم التي فيها، ثم ما تحتها من عالم الكون والأجرام والمجرات والنجوم والكواكب في خلقها وانتظامها في مساراتها في أفلاكها، فكل هذا يدُلُّكَ على القدرة القادرة المُعجِزة.

ثالثاً: كمال بصره سبحانه وتعالى:

وصف الله سبحانه وتعالى نفسه في غير ما موضع في القرآن الكريم بالسمع والبصر، فقال سبحانه: "**إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**" [النساء: ٥٨]. فهي صفة ثابتة لله جل في علاه كما أثبتها لنفسه سبحانه، وهي على الوجه الذي يليق به سبحانه وصفات الله لا تشبه صفات المخلوقين، ومعنى البصير: المدرِك لجميع المرئيّات من الأشخاص والألوان مهما لطُفت أو بَعُدت، فلا تُؤَثِّر على رؤيته الحواجز والأستار(٢).

---

(١) انظر: عقيدة المسلم، الغزالي، (ص٨١).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، هراس، (٩٧/١)

الله سبحانه وتعالى يشهد كلَّ شيء، وهو يرى ما في أعماق الظلمات كالتي في وضح النهار. فما هو بحاجة إلى ضياء يبصر به الخفي، وهو سبحانه لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحرٌ ما في قعره، ولا جبلٌ ما في وعره.

في سورة فاطر يقول جل جلاله: ﴿**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [فاطر: ٣١]، يقول تعالى ذكره: إن الله بعباده لذو علمٍ وخبرة بما يعملون، بصير بما يُصلِحهم من التدبير[١]، فكان من لوازم صفة البصر لله سبحانه وتعالى علم الله بما هو أصلحُ للعبادِ في شؤون دينهم ودنياهم، مما يجعلُ العبد المسلم يؤمن بالله حق الإيمان، ويستسلم له سبحانه، و يجعله كذلك يؤمن بالقرآن الكريم الحكيم، وبما فيه من أحكام صالحة لحياة الناس في الدنيا، وكيف أنها السبيل الوحيد لنجاتهم وسعادتهم في الآخرة.

ومن لوازم صفة البصر أيضاً، إحاطته سبحانَه بأحوال العبادِ وأعمالِهم وحسناتِهم وسيِّئاتهم، وأنه يُحصيها عليهم ولا تخفى عليه منها خافية، وهذه صفةٌ عظيمة من صفات الله العظيم؛ فإن من كمال الله سبحانه في هذه الصفة أنه يبصرُ جميعَ خلقِه وأحوالِهم على اختلاف عوالمهم وأحجامهم، لا يشغلُه شيءٌ عن شيء، ولا حالٌ عن حال، ولا مخلوقٌ عن غيره، فهو مع كل كائن، من بدء الخلق إلى قيام الساعة، وما قبل ذلك وما بعد ذلك، يسمع ويرى[٢]، ثم هو يحصي ذلك كلَّه عليهم، ويحاسبهم على أعمالهم التي يعملونها إن في الدنيا وإن في الآخرة، وفي هذا يقولُ سبحانه: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا**﴾ [فاطر: ٤٥].

فلا يسع الإنسان هنا إلا الإيمان والاستسلام والتسبيح لله العظيم، فهذه أمور لا تدركها العقول ولا تحيط بها الأفهام؛ إذ أن مدركاتنا قاصرة، فنخضع لله العظيم الذي لا إله إلا هو السميع البصير، وهذه صفات العزة التي أخبر الله عنها في كتابه، بها نتعرف على خالقنا وإلهنا فنعرفه ونقدره ونعبده ونقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

رابعاً: كمال حِلمه سبحانه وتعالى:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٠/٤٦٥).

(٢) انظر: عقيدة المسلم، الغزالي، (ص٩٢)

إن كل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، هي طريق لزيادة الإيمان، وهي باب من أبواب المعرفة والتقرب من الذات العليّة ومن الأنوار القدسيّة. والعباد مهما بلغوا من المعرفة والعلم والعبادة لن يصلوا إلى كمال المعرفة بالله جل جلاله، ولن يحيط بعلم الله وكمال صفاته أحد.

ومن جميل صفات الله جلّ جلاله صفة الحِلم، هذه الصفة فيها باب رِفق وتوسعة على العباد، فالله سبحانه وتعالى يأخذ عباده بالرفق، ويسهل لهم سبيل العودة إلى الجادة المستقيمة إن حادوا عنها، وتنكبوا سبيل المؤمنين[١].

ومعنى اسم الله الحليم: "الذي لا يُعَجِّلُ بالعقوبة، بل يؤخر عقوبة الكفار والفجار"[٢].

وبآثار هذه الصفة يستطيع الإنسان أن يستمر بالعيش في هذه الحياة؛ إذ إن الإنسان من طبعه أنه يخطئ كثيراً، ويعصي، ويجترح الذنوب، في الحديث عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**"[٣]. ولمّا كان من صفات الله الحلمُ، ولمّا كان الله جلّ جلاله لا يُعَجِّل بالعقوبة، ويصبر ويحلُم على عباده، فيدخل من يشاء في رحمته منهم، ويتوب على من أراد الله له الهداية؛ وإلا لهلكنا جميعاً، ولمَا كانت حياتنا صالحةً للعيش؛ لأن من طبيعتنا الخطأ والزلل.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ [فاطر: ٤١]. من كثرة خطايا بني آدم تكاد السماوات والأرض أن تزول وتتفطر وتنشق غضباً وحنقاً عليهم، لكن الله سبحانَه بحلمه أمسكها، ولم يدعها تزول تركاً للمعاجلة في العقوبة، وكان ذلك حلماً منه جلَّ جلاله[٤].

هذا حِلمه مع الكفار والمشركين، فكيف بالمؤمنين والموحدين. ويقول تعالى: **"وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا"** [فاطر: ٤٥]. فهذا لُطف وكرم إلهي عظيم، بيد أن هذا لا يجعل الإنسان يغتر بحِلم الله عليه وعدم معاجلته بالعقوبة، والأصل أن هذا يستجلب منا مزيد حب لله وطاعة وشكر له على هذا الحِلم.

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٧٤٩/٢).

(٢) مفاتيح الغيب، (٤٢٨/٦).

(٣) سنن الترمذي، (٢٤٠/٤)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث (٢٤٩٩)، حسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير (٤٣٩١) ، والمشكاة برقم (٢٣٤١).

(٤) تفسير السمعاني، (٣٦٣/٤).

ومعرفة الله بهذه الصفة يعلق القلوب بالاتجاه إليه في كل ما تكسب وما تقول، ولبيان أنه سبحانه يأخذ عباده بالرفق، ويسهل لهم سبيل العودة إلى الجادة المستقيمة إن حادوا عنها، وتنكبوا سبيل المؤمنين(1).

خامساً: كمال مغفرته سبحانه وتعالى:

لو تصفحت القرآن الكريم، لوجدت عشرات الآيات التي تتحدث عن مغفرة الله سبحانه وتعالى، والتي فيها كثيرٌ ما يقرن الله في رؤوس الآيات بالمغفرة بالرحمة للتلازم الذي بينهما.

وصفة المغفرة من الصفات التي تبين لطف الله ورحمته ورأفته بعباده، بهذه الصفة يفتح الله باباً لا يغلق إلا بانتهاء الآجال أو نهاية الزمان، ويرجع العباد منه إلى ربهم وخالقهم، ويخرج العباد منه إلى النور من الظلمات من ظلمات المعاصي والكفر إلى نور الإيمان والطاعات، وهذه الصفة الثابتة لله لا يقف دونها ذنب مهما عظم ومهما كَبُر طالما أن الإنسان طَرَق باب التوبة وأناب إلى ربه.

وقد وردت صفة المغفرة في خمسة مواضع في سورة فاطر منها:

١. قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [فاطر: ٧].
٢. قوله تعالى: ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٣٠].
٣. قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ [فاطر: ٤١].
٤. قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[فاطر: ٢٨].
٥. قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. معرفة العباد بأن الله العظيم يتودد إليهم ويفتح لهم أبواب رحمته ويتعطّفهم كي يعودوا إليه، يجعلهم يقبلون على ربهم ومولاهم ولا يقنطوا من رحمته ولا ييئسوا من رَوْحِه، ويرجعون إليه مهما اقترفوا من الذنوب ومهما اجترحوا من الآثام.
٢. معرفةُ الله باسمِه الغفور تجعل تصوَّر العباد عن خالقهم أنَّه إلهُ رحمةٍ ولُطف، وليس إله غضبٍ وانتقامٍ؛ فهو سبحانَه يحب من عبادِه التوبة والاستغفار ويرضاهُ منهم، ولا يحب

(١) في ظلال القرآن، (٢٤٤/١)

من عبادِه الكفر ولا يرضاهُ لهم، وفي هذا التصور الصحيح نجاةٌ للإنسان في دنياه وآخرته، فتجعله يحسنُ الظنَّ بربه ويتقرَّب إليه مهما اقترف وأجرم في حق ربه.

٣. "معرفةُ زيادةِ فضلِ الله في أنَّه يغفر ذنوبَ عبادِه ما داموا يستغفرونه، ويعطيهم الكثير مقابل القليل من أعمالهم إن هم أخلصوا فيها، فرحمة الله سبقت غضبه، ولهذا يعرض الله عز وجل على المذنبين أن يستغفروا ربهم، حتى يغفر لهم، ولو شاء لأهلكهم ولم يرغبهم في التوبة"(١).

٤. في وقوعِ العبدِ في الذنوبِ فوائد منها أن الله يحبُّ التوبةَ والإنابة، "فيستجلبُ التائبُ محبة الله سبحانه، وكذلك في التوبة والإنابة يكون العبد في حالة انكسار وضعفٍ، ولهذا ابتلى آدم بالذنبِ، ليتوبَ وينيبَ وينكسر"(٢).

٥. عقيدةُ المؤمن بآثار أسماءِ الله وصفاتِه في الكون وتأثيرها في حياة البشر، فما دام رحيماً فإنه يرحم، وما دام سميعاً فإنه يسمع كل شيء ويجيب الداعي، وما دام غفوراً فإنه يغفر، وما دام يغفر فإن العباد يذنبون، فإن الغفار يستدعي مغفوراً، كما أن الرزاق يستدعي مرزوقاً. ولعل السر في هذا إظهارُ صفة الكرم والحِلم والغُفران، ولو لم يوجد لانثلم طَرَفٌ من ظهور صفات الألوهيّة، والإنسان إنما هو خليفة الله في أرضه يتجلى له بصفات الجلال والإكرام، والقهر واللُّطفِ والإنعام(٣).

٦. في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ [فاطر: ٤١]، يظهر غضبُ الكائنات والمخلوقات على بني آدم بسبب ذنوبهم وخطاياهم، ويظهر شؤم المعاصي والذنوب، ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى يُسَكِّن غضبَ هذه الكائنات عن أن تُهلكَ بني آدم بذنوبهم وجرائمهم، ويظهرُ حلمُ الله وعفوه ومغفرته لعباده مع كل ذلك البعد والانحراف؛ يا له من إله جميل؛ إنه كان حليماً غفوراً.

٧. التوبةُ والمغفرة عامةٌ في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافرٍ ومؤمن، أي إن توبة الكافر تمحو ذنوبه، وتوبة العاصي تمحو ذنبه(٤)(٥) .

---

(١) شرح رياض الصالحين، العثيمين، (٣/٣١٩).

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز النجدي، (١/١٠٧٠).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، (٤/١٦١٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (٤/٥٣٦).

(٥) الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مثل زبد البحر. إن أراد بهم الكفار فإنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، وإن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل

المطلب الثالث:
تفرّد الخالق سبحانه بالخلق والرزق والهداية والعزة

إن الإله الحق لا يمكن أن يشبه المخلوقين بوجه من الوجوه، وإن الاشتراك في بعض الألفاظ في نسبتها للخالق والمخلوق لهو اشتراك لفظي فقط، أما في حقيقة تلك الألفاظ فالبون شاسع بين نسبتها للخالق والمخلوق كالفرق بين الخالق والمخلوق، والله جلّ جلاله في صفاته وأفعاله متفرّدٌ أحدٌ لا يساميه مخلوقٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. قال تعالى: **"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد"** [الإخلاص: ١]. قال ابن كثير: "هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يُطلق هذا اللفظ على أحدٍ في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكاملُ في جميعِ صفاتِه وأفعاله"[١]. وفي هذا المطلب أربعة فروع كما يأتي:

أولاً: تفرد الخالق سبحانه بالخلق:

إن أول نداء في القرآن توجه إلى الناس، خاطب اللهُ فيه الناس وذكّرهم بأنه هو الذي خلقهم، لتكون بداية مهمة لما بعدها، فأول النعم التي أولاها اللهُ الإنسانَ هي الخَلْق.

والخلقُ إيجاد الشيء على تقدير واستواء[٢]. والله سبحانه وتعالى أوجدنا وأوجد الكائنات بعد أن لم تكن، ولم يكن شيء قبله، في الحديث: "**كان الله ولم يكن شيءٌ غيرُه، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذِّكر كلّ شيء، وخلق السماوات والأرض**"[٣]. فيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما؛ لأن كل ذلك غير الله تعالى، ويكون قوله: وكان عرشه على الماء، معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء[٤].

وسورة فاطر مليئة بالشواهد على خلقِ الله سبحانَه وتعالى: من خلقِ السماوات والأرض على غير مثالٍ سابق، وخلقِ الملائكة، وخلقِ الإنسان من تراب، وتسلسله في أطوار التكوين، وإنزال الماء من السماء، وخلق النباتات والثمار، وكذلك الجبال على اختلاف طرقها وصخورها

يخلدهم في النار، وإن أراد به العُصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. انظر: تفسير القرآن العظيم (١٠٦/٧)، وانظر: التسهيل في علوم التنزيل، ابن جُزي الغرناطي، (٢٢٤/٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥٢٨/٨).

(٢) الكشاف، الزمخشري، (٩١/١).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، بدء الخلق، ما جاء في قول الله تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده]، (١٠٥/٤)، جزء من حديث رقم ٣١٩١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، (٢٨٩/٦).

وطينتها وألوانها، وكذلك اختلاف الناس والدواب والأنعام، إلى غير ذلك من مخلوقات الله التي لا حصرَ لها، فهي سورة حشدت في ثناياها شواهد من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، تثبت لله الواحد تفرَّدَه بالخَلق والتكوين.

يقول تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١].

ويقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر: ٣].

ويقولُ تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [فاطر: ١١].

ويقول جَلَّ مِن قائل: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

ويقول أيضاً: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**﴾ [فاطر: ٤٠].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. هذه المخلوقات تعتبر شواهد وآيات على ربِّها وخالقِها، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل الكائنات، وكل ما سوى الله مخلوق، وهو الذي أوجد الكائنات من العدم وخلقها وفق تقدير سابق. والله عز وجل تفرّد بخلق المخلوقات فلم يشاركه أحد في خلق أي شيء، ولا يتصور ذلك أصلاً، ثم إنه تعالى تفرّد في إيجاد المخلوقات على الصورة التي خلقهم عليها، فإنك تجد الآلاف المؤلفة من المخلوقات في خَلْقٍ سَوِيّ بديع.
٢. عظمة المخلوق من عظمة الخالق؛ فالناظر لخَلْقِ السماوات والأرض والكون يرى العظمة والإبداع والإتقان في هذا الخلق الباهر، وكذلك في خلقِ الملائكة–وقد ذكر الله في السورة صفة خلقهم بأجنحة يزيد في خلقها ما يشاء–؛ هذا يجعلُكَ تذوبُ في عظمةِ الخالق وجبروتِه وقُوَّتِه.

٣. لم يدَّعِ أحدٌ –سوى الله– أنه خلقَ شيئاً ما، في كل ما نراه وما لانراه من عوالِم، ولو ادعى أحد أنه خلق شيئاً ما فليرِنا ماذا خلق؟ وكيف خلق؟ ومم خلق؟ وماذا يملك من السماء والأرض؟ أو نسأله قبل كل ذلك: من خلقك أنت؟ قال تعالى: **"قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا"** [فاطر: ٤٠].

٤. إذا كان الله سبحانه وتعالى هو الخالق المتفرد لكل المخلوقات، ولم يكن أحدٌ سواه إلا وهو مخلوق؛ فوجب أن يُفْرَدَ الله وحدَه بالعبادة؛ إذ كيف يُعبَدُ المخلوق، وهذا المخلوق بحاجةٍ إلى خالقِه في كل لحظةٍ وحركةٍ ونَفَسٍ؛ فوجبَ أن يتوجَّه العبادُ إلى خالِقِهم ألا وهو الله الواحد، وهذا هو توحيد الألوهية.

٥. وجود هذه العقيدة في قلب الإنسان المؤمن، وهي أن الله هو الذي خلق الكون، تُريحُه من عناءِ التيه والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة؛ لعلمه بالحكمةِ من خلقِ الكون، وعلمه بخالق الكون، فتسكُنُ ضميرَه السعادةُ والاطمئنان والراحة.

٦. علمُ الإنسان بالله الذي خَلَقَ السماوات والأرض، يجعَلُه مفتقراً إلى ربه، يكِلُ أمورَه لهذا الخالق الكبير، ويتوكل عليه في جميعِ أمورِه، ويُزيحُ عن كاهِله هموماً وأثقالاً كؤودةً إن هو لم يكل أمرها إلى اللهِ مولاه، مثل أمور الرزق، والأولاد، والأعداء، وهموم الحياة الكثيرة.

ثانياً: تفرد الخالق سبحانه بالرزق:

إن توحيد الربوبية يقوم على ثلاث ركائز، وهي الخلق، والمُلك، والتدبير، وإن ما يحدث في الكون من أفعال لا متناهية، فهي لا تكاد تخرج عن هذه الأمور الثلاثة. والرزق هو من تدبير الله سبحانه وتعالى لشؤون خلقه، فالله جل في عُلاه لمَّا خَلَقَ الخَلْق لَمْ يتركهم بلا تدبير ولا عناية، فهو لما خلقهم سوَّى خَلْقَ كل مخلوق مع الوظيفة التي خُلِقَ من أجلها، فسوَّى خلقَه تسوية، ولم يأت به متفاوتاً غير ملتئم، فهدى وقدّر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به[١].

وقدّر الله أرزاق وأقوات العباد قبل أن يخلقهم، وجعل اللهُ الكريمُ رزقَه يسع كلَّ حيٍّ من مخلوقاته فضلاً منه ورحمة، وإن الرزق المقسوم للعباد يطلبهم ولو ذهبوا إلى غياهب البحار، ولو

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، (٧٣٨/٤)

اخترقوا السماء ارتفاعاً. فعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الرِّزقَ ليطلُبُ العبدَ كما يَطْلُبُه أجلُه"(١).

ذكر الرزق في سورة فاطر والتوجيهات التربوية المستنبطة:

١. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر: ٣].

يُذَكِّرُ اللهُ سبحانه وتعالى في هذه الآيةِ عبادَه بنِعمةٍ عظيمةٍ هي نعمةُ الرزق، ويتودد إليهم بتذكيرهم بذلك، ويخبرهم أن ما يصلُ إليكم من رزقٍ من السماء بالماء أو من الأرض بالنبات وغيره هو من عند الله وحده، ويُنكر عليهم كيف يؤفكون عنه وكيف عنه يُصرفون.

يقول السعدي في تفسير الآية: "ويأمر تعالى، جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح انقيادا، فإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره"(٢).

٢. قال تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [فاطر: ١٢].

يُذَكِّر اللهُ الناسَ بمصدرٍ مهم من مصادر الرزق وهو البحر وما فيه من ثروة سمكية، وطعامه الطريُّ اللذيذ، واللحمُ الطريُّ هو الأسماكُ والحيواناتُ البحرية على اختلافها، والحلية من اللؤلؤ والمرجان، والفلك تمخر البحار والأنهار- أي تشقها- بما أودع الله الأشياء في هذا الكون من خصائص، ولكثافة الماء وكثافة الأجسام التي تتكون منها السفن دخل في إمكان طفو السفن على سطح الماء وسيرها فيه، وللرياح كذلك، وللقوى التي سخرها الله للإنسان وعرفه كيف يستخدمها كقوة البخار وقوة الكهرباء وغيرهما من القوى، وكلها من تسخير الله للإنسان، فينتفع الناس بالسفر والتجارة، والانتفاع باللحم الطري والحلي واستخدام الماء والسفن في البحار والأنهار(٣).

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الحرص وما يتعلق به، (٣١/٨) حديث رقم (٣٢٣٨)، ت شعيب الآرناؤوط، قال عنه: حديث قوي، رجاله ثقات وإسناده جيد، وقال عنه الألباني: صحيح لغيره (الصحيحة ٩٥٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (٦٨٤/١).

(٣) في ظلال القرآن، (٢٩٣٤/٥).

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. الله سبحانَه وتعالى هو المتفرِّد بالرزق لعبادِه؛ فكذلك يجب أن يُفْرَد بالعبادة، ولا يُشرَك به غيره من الأصنام والأوثان والبشر.

٢. تفضُّل الله على عباده بالرزق يوجِبُ عليهم شكر ربهم في مقابلةِ هذا الرزق، ويوجبُ عليهم أن يذكروا نِعَمَ الله عليهم، وهذا يكون بالاعتراف بأنها من عند الله، ويكون بحفظها من الكفران والغمط، ومعرفة حقها وطاعة موليها(١).

٣. "يسَّر اللهُ أسباب الشكر لعباده وجعلها حاضرةً بين أيديهم، ليُعينهم على الأداء"(٢)، ومن هذه الأسباب نعمة الانتفاع بالمطر والبحر والرزق، وبذلك ينالُ العبادُ رضى ربهم ومحبَّته، ويأخذوا وعدَ ربهم بالزيادة في النِّعَم مقابل شكرهم، ويستّحِقُّوا الجنة في الآخرة.

٤. لحكمةٍ أرادها الله سبحانه وتعالى جعل تقدير تقسيم الأرزاق خافياً على العباد مغيباً عنهم(٣)، قال تعالى: **"وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ"** [لقمان: ٣٤]. فالرزق _وإن كان للعباد نصيب في كسبه بالأسباب المؤدية إليه_ إلا أنه بيد الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يقسم الأرزاق ويوزعها بحكمته وقدرته وإرداته، ورزق كل دابة هو على الله سبحانه وتعالى **"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"** [هود: ٦].

٥. في رزق الله لجميع الكائنات والمخلوقات يظهرُ جانبٌ من عظمةِ الله سبحانَه وسعة خزائنه، فالله سبحانَه يرزق الكائنات على اختلاف أصنافِها وأنواعها، ويُعطيها أسباب البقاء، وبذلك يتجلى اسم الله الرزاق.

٦. الناظر في واقع الناس وأحوال البشر ليرى العَجَبَ العُجاب في أرزاق الناس ومعاشهم، فَكَمْ مِن أُناس سِيقَت لهم أرزاق لم يحسبوا لها حساباً ولم يبذلوا فيها جُهداً، وكم من أناس بذلوا الجهد والكد والعرق ولم يحصّلوا إلا اليسير من الرزق، بل وربما أفلس البعض منهم، صحيح أنه من الواجب الأخذ بالأسباب، لكن التوفيق هو بيد الله كما الرزق بيد الله سبحانه وتعالى. **"اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ"** [الرعد: ٢٦].

---

(١) انظر: الكشاف، (٥٩٧/٣).

(٢) في ظلال القرآن، (٢٩٣٥/٥).

(٣) انظر: البركة في الرزق والأسباب الجالبة لها في ضوء الكتاب والسنة، عبد الله السوالمة، (٢٤٩/١).

٧. معرفةُ العبدِ بأن الله وحدّه هو الرازق، يجعلُ العبدَ يُحسِن التوكل على الله وحدَه في رزقه وفي جميع شؤونه، ويُضْفي على العبدِ صفة العزة بالله، ويُكسِبُ العبدَ صفة اليقين بالله العظيم؛ لأنه يعلم ألَّا رازق له إلا الله، فلا يَخضع لغيره، ولا يذل لسِوَاه.

ثالثاً: تفرد الخالق سبحانه بالهداية:

إن ملك الملوك بيده مقاليد السماوات والأرض وما من متحرك يتحرك ولا ساكن يسكن؛ إلا بأمر الله سبحانه وعلمه، ومن ذلك قلوب العباد وأعمالهم وحركاتهم؛ فإنها كلها بيد الله العظيم، وهو وحده يملك التصرف فيها، وما من عبدٍ يدخلُ الإيمان قلبَه إلا لأن الله سبحانه هداه، ولو اجتمع كل الأنبياء والرسل والملائكة وصالحي الجن والإنس على أن يهدوا إنساناً لا يريدُ اللهُ هدايتَه فإنهم لن يجدوا إلى هدايتِه سبيلاً، فنبيُنا وحبيبُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم كان حريصاً جداً على إسلام كثير من أعيان قريش وأكابرهم، وأولهم عمه أبو طالب، ومع ذلك فإن أكثرهم لم يسلم. وكان ذلك يشق على النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، لكن الله سبحانه وتعالى أخبره أن أمر هدايتهم إليه سبحانه، وأخبره ألا يحزن لذلك ولا يتأسف عليهم، قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [فاطر: ٨].

يُخبرُ الله سبحانَه وتعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم أن هدايةَ الناس هي بيدِ الله وحدَه، وكذا ضلالَهم، وفي ذلك تسليةٌ له صلى الله عليه وسلم، ولذا قال بعده: ﴿**فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾.

إن الدور الذي قام به أبو طالب مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم به أحد من المسلمين في فترة استضعاف المسلمين في مكة، وعندما وافته المنية كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً جداً أن يقول كلمة التوحيد ويلقنه إياها عند موته، لكنه أبى وقال: على ملة عبد المطلب، وأنزل الله في أبي طالب: **"إِنَّكَ لَا تَهْدِي**(١)**مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"** [القصص: ٥٦](٢). ونجد في المقابل ناساً كانوا كفاراً لَدُودِين عاندوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم وحاربوه، لكن كتب الله لهم الهداية فدخلوا الإسلام، أمثال عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد،

---

(١) المقصود بالهداية في الآية هداية التوفيق، وشرح الصدر وهو نور يقذفه الله في القلب فيحيا به القلب، وإلا فإن النبي يهدي إلى صراط مستقيم، أي بيان الدلالة أو الدعوة إلى الجنة. انظر: مفاتيح الغيب، (٥/٢٥).

(٢) انظر: سيرة ابن إسحاق، (٢٣٨/١).

وعمرو بن العاص، وأبي سفيان رضوان الله عليهم أجمعين، وفي تاريخ البشر وفي واقعنا المعاصر كم من ناس أسلموا في حين أنهم كانوا أعداءً للإسلام والمسلمين، لكن شاء الله لهم الهداية.

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. أمرُ الهدايةِ ليس بيدِ الأنبياء والمصلحين، هو بيدِ الله سبحانَه، ووظيفةُ الأنبياء والمصلحين هي الدلالة والإرشاد والدعوة والبلاغ، والله يتولّى هدايةَ من أرادَ الله له الهداية.

٢. على المُسلم أن يطلب الهداية من الله والثبات عليها دائماً، لأن الله هو الذي منحه إياها من قبل، وهو قادرٌ على أن يسلُبَه إياها، ولذا فإن المسلمين يدعون ربهم في كل ركعة من صلاتهم أن يرزقهم الهداية إلى الصراط المستقيم؛ لأنهم يعلمون أن الهداية بيد الله سبحانه، فيقولون: **"اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"** [الفاتحة: ٦]، **وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ"**"[١].

٣. على الداعية ألا ييأس من الناسِ عندما يدعوهم إلى الله ولا يستجيبون، بل يطلب من الله لهم الهداية؛ لأن الله سبحانَه وتعالى بيدِه مفاتيح قلوب العباد وأزمَّتها.

٤. والمسلمون عندما يدخلون الجنة يكون من دعائهم: **"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"** [الأعراف: ٤٣]. فهم يحمدون الله الذي هداهم ووفقهم لدخول الجنان والفوز بالرضوان، نسأل الله باسمه الهادي أن يهديَنا إلى صراطه المستقيم ويثبتنا عليه، آمين.

رابعاً: تفرد الخالق سبحانه بالعزة:

كلُّ صفةٍ تعتبر صفة كمال فالله سبحانه أحق أن يتصف بها من المخلوقات، "فلو لم يتصف بها مع اتصاف المخلوق بها لكان المخلوق أكمل، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً"[٢].

---

(١) سنن الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، (٤/٤٤٨)، حديث رقم (٢١٤٠)، صححه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح، التبريزي، بتحقيق الشيخ الألباني، (١/٣٧).

(٢) العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (٤/١٣٧).

"والله سبحانه وتعالى له من كل صفة كمال أحسن اسم، وأكمله، وأتمّه معنى، وأبعده وأنزهه عن شائبة نقص"[١]، "وهو سبحانه لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها، وكمالها بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبر عنها بألسنتهم"[٢].

ومن صفات الكمال التي اتصف الله العظيم بها صفة العزة، ومعناها كما في لسان العرب: القوة والشدة والغلبة. والعِزّ والعزّة: الرِّفعة والامتناع، والعِزة لله؛ وفي التنزيل العزيز: **"وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ"** [المنافقون: ٨]؛ "أي له العزة والغَلَبَة سبحانه"[٣].

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي[٤]: "العزة لله جل ثناؤه، وهو من العزيز. ويقال: عز الشيء حتى يكاد لا يوجد". ويُقال العزيز: هذا الذي لا يكاد يُقدَر عليه"[٥].

فمعنى العزة يدور حول معنيين:

الأول: القوة والشِّدة والغلبة.

والثاني: من النُدرة وعدم المماثلة.

ذكر العزة في سورة فاطر والتوجيهات التربوية المستنبطة:

جاء ذكرُ العزة في سورة فاطر مرتين في آيةٍ واحدة في قوله تعالى: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾ [فاطر: ١٠].

يقول الطبري: "فمن كان يريد العزةَ فباللهِ فَلْيَتَعَزَّز، فلله العزةُ جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان"[٦].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في سرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب، (٥٥٢/١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، (٢١٢/١).

(٣) لسان العرب، (٣٧٤/٥)

(٤) الخلِيل بن أَحمد الأَزْدِيّ من فراهيد الْبَصْرَة كنيته أَبو عبد الرَّحْمن صاحب العرُوض وكتاب العين يروي المقاطيع. سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. وكان رحمه الله مُفْرِط الذكاء. وكان رحمه الله تعالى من الزهاد في الدنيا المعرضين عنها. وُلِد سنة مائة، ومات سنة بضعٍ وستين ومائة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. انظر: الثقات، ابن حبان، (٢٣٠/٨)، وانظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (٤٥/١-٤٧)، وانظر: سير أعلام النبلاء، (٩٧/٧).

(٥) مقاييس اللغة، (٣٨/٤).

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٤٤٤/٢٠).

والله سبحانه وتعالى له الكمال من صفة العزة في معنييها المذكورين، "فهو قويٌّ شديدٌ غالبٌ غلبَ وقهرَ كل شيء، وهو سبحانه عزيز غالب قد ذل له كل شيء"[1]، ثم هو سبحانه عزيز ليس كمثله شيء ولا يدانيه أحد في فعلٍ ولا صفة.

والله سبحانه وتعالى من أسمائه المُعِزّ، "وهو الذي يَهَبُ العزَّ لمن يشاء من عباده"[2].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. الله سبحانه وتعالى له من الصفات أكملها، وأحسنها اسماً، وأتمَّه معنى، وأبعدَه وأنزهه عن شائبةِ نقص.

٢. العزة هي فقط لله ولرسوله وهي الدائمة الباقية، وهي العزة الحقيقية، "والعزة التي هي للكفار هي التَّعَزُّز، وفي الحقيقة ذُلّ لأنه تَشَبُّع بما لم يُعطَه"[3].

٣. الله سبحانه وتعالى هو صاحب العزة وله العزة وحده، وهو الذي يمنح العِزة لمن يشاء من عباده، أعطى العزة لرسُلِه وللمؤمنين، وهم إنما نالوا العزة لأجل إيمانهم بالله سبحانه، ولأنهم طلبوها من ربهم جل وعلا، أما الكفار الذين تعزّزوا ولم يطلبوا العزة من الله وطلبوها من ساداتهم وكبرائهم، كما أخبر الله عن مقال السحرة مع فرعون :﴿**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ**﴾[الشعراء: ٤٤]،. فهؤلاء يطلبون السراب ولا يصلون إلى مرادهم، وتنقلب عزتهم المزيفة إلى ذلٍ وهوانٍ وهزيمة، وتبقى العزة دائماً لله سبحانه ولرسوله وللمؤمنين،﴿**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨].

٤. على المؤمن أن يطلُبَ العز من الله وحدَه؛ لأن من استغنى بالله أغناه وأعطاه وأيَّده ونصره وآواه.

٥. القربُ من الله تعالى والالتجاء به هو العزُّ كُلُّه، وهو الفضلُ كله، وهو المجدُ كله.

٦. من فقد الله لن تُغنِيَه الدنيا ولن يُغْنِيَه الاعتزاز بالعباد والمال والسلطان والجاه والشهرة والصحة والشباب؛ فكلها زائلةٌ وفانيةٌ وغاربة،﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٧].

٧. إن سر انتصار الدعوات، وغلبة أهل الحق على أهل الباطل، هو بطلب العزة من الله، فهو الذي يؤيِّد، وهو الذي ينصُر، ومَن ينصرْه اللهُ فلا غالبَ له.

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطيّة، (٣٩٩/١).

(٢) لسان العرب، (٣٧٤/٥).

(٣) تاج العروس، الزبيدي (٢٢٠/١٥).

المطلب الرابع:
مجادلة المشركين ببطلان الشريك

من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه يعرِّفهم به، ويدعوهم إلى طاعته وعبادته، ويضع الأدلةَ والبراهين على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ثم هو يُبطِل العقائد المنحرفة والكافرة وينسفها بالحجج القاطعة، والدلائل الباهرة؛ بحيث لا يبقى لأحد على الله حجة، فهو سبحانه عزيز حكيم مهيمن.

إن عقيدة الشرك هي أخطر العقائد فتكاً بالبشرية، حيث انحرفت أمم وحضارات وملايين من الناس على مدار التاريخ بسبب هذه العقيدة، ابتداءً بزمن نوح عليه السلام، مروراً بعقائد الوثنيين في الهند ومصر القديمة والإغريق، والعقائد المحرفة عند أهل الكتاب –وبخاصة النصارى–[١]، إلى ما وصل إليه العرب في الجاهلية من الشرك وعبادة الأصنام.

ولخطورة هذا الأمر فقد تحدث الله سبحانه وتعالى في القرآن عن هذه العقيدة وأقام الحجج والبراهين على بطلانها، بل وضرب الأمثلة الكثيرة التي تقارن بين الإله الحق والآلهة الباطلة، فلم يبق لأحدٍ حجة على الله، وليس لأحد على عقيدة التوحيد من سبيل، وكانت ولن تزال كلمة الله هي العليا –والحمد لله–.

وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

أولاً: الاستدلال على وحدانية الله بانفراده بالربوبية والخلق والتدبير:

يقول تعالى: ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ [فاطر: ١٣]، "الله سبحانه وتعالى يستدل على وحدانيته بما في الكون من الدلائل على بديع صنع الله في المخلوقات؛ ليتذكروا بذلك أنه الإله الواحد"[٢]، فأخبر أنه الذي خلق السماوات والأرض، وأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وأن الشمسَ والقمرَ مسخَّران بأمر الله، ثم

(١) انظر: الأساس في التفسير، (٤/٢٢٤٩).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٨١-٢٨٢).

أخبر أنه سبحانَه له الملك كله، وهو الرب دون غيره، وهو الذي له المِلك والسلطان لا لغيره، وإذا كان له الملك كله فله العبادة كلها[1].

ثانياً: تعجيز الله جلّ جلاله لآلهة المشركين:

أثبت اللهُ تعالى عجزَ آلهةِ المشركين في كثيرٍ من الآيات في سورة فاطر، وكان ذلك في عدد من الجوانب، منها:

١. نفيُ المِلْك:

قال تعالى: **"ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ"** [فاطر: ١٣]. في هذه الآية سلب الله سبحانه وتعالى عن الآلهة المزعومة صفة واحدة وهي صفة المِلْك، ويلزم من عدم المِلْك عدمُ الخلقِ لأنه لو خلق شيئاً لمَلَكه، فإذا لم يملك قطميراً –وهو قشر النواة– ما خلق قليلاً ولا كثيراً[2]، فكيف يملك المخلوقات في كون الله؟!.

٢. نفيُ القدرةِ على الخَلْق:

قال تعالى: **"قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً"** [فاطر: ٤٠] وغيرها كثير من الآيات التي تنفي قدرة تلك الآلهة المزعومة على خلق شيء حتى الذبابة، يقول فخرُ الدين الرازي تعليقاً على هذه الآية: "أعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه من العجز أو تتوهمون فيها قدرة، فإن كنتم تعلمونها عاجزةً فكيف تعبدونها؟ وإن كان وقع لكم أن لها قدرة فأروني قدرتها في أي شيء هي؟ أهي في الأرض؟ أم هي في السماوات؟ أم قدرتها في الشفاعة لكم؟ فهل معكم كتاب من الله فيه إذن لهم بالشفاعة"[3].

٣. عدم إجابة الداعي:

قال تعالى: **"إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"** [فاطر: ١٤]، أي إله هذا الذي لا يستجيب لمن يدعوه؟ فكيف إن كان لا يسمعه أصلاً؟ إن عدم إجابة الداعي دليل على أنها لا تسمع، لأن شأن العظيم

(١) مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٢٨). وللاستزادة يرجع إلى مطلب "إثبات التوحيد ولفت الأنظار إلى دلائله من الكون"، ص١٦.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٢٩).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٦/٢٤٥).

أن يستجيب لأوليائه الذين يسعون في مرضاته، فقد لزمهم إما عجزها، وإما أنها لا تفقه[1]، فثبت بطلان هذه الآلهة، وإن شأن الله العظيم أن يستجيبَ لأوليائه بل يجيب المضطر إذا دعاه حتى ولو كان كافراً، قال تعالى: **"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"** [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: **"اللَّهُ الصَّمَدُ"** [الإخلاص: ٢]، فسبحان من تصمُد له جميع الخلائق في حوائجها وتقصده في شؤونها.

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. اللهُ سبحانَه وتعالى له المُلكُ كُلُّه، وما من ذرةٍ في السماواتِ والأرض إلا وهي مِلكٌ لله العظيم، وكل ما سوى الله ما هو إلا مملوكٌ لله جل في عُلاه.

٢. الآلهة الباطلة التي عُبِدت من دون الله مسلوبة الملك تماماً؛ وبالتالي لا تستحق أن تُعبَد إطلاقاً؛ لأن الإله الحق لا بد أن يكون مالكاً حتى يستحق أن يُعبَد.

٣. الآلهة الباطلة لم تخلُقْ شيئاً في هذا الكون لا في السماوات ولا في الأرض، وهي عاجزةٌ كليلةٌ لا حول لها ولا قوة، وما عبدَها الكافرون إلا ظلماً وزوراً.

٤. كل ما عُبدَ من دون الله عُبدَ بالهوى، ولا يوجد برهان يثبت صحة عبادة آلهةٍ من دون الله، لا عقليٌ ولا نقليٌ.

٥. من شأن الله أن يستجيبَ لأوليائه، وأن يُجيبَ دعوةَ الداعي، أما الآلهة الباطلة فهي لا تسمعُ دعاءً فضلاً عن أن تفقهه، فالواجبُ على الناس أن يتركوا عبادةَ ما هو دون الله من هذه الآلهة، وأن يعبدوا الله سبحانَه ويُفردوه بالعبادة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢٨٣/٢٢).

المطلب الخامس:
عجز البشر وافتقارهم إلى الله

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأوجده بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، خلقه من تراب، ثم خلقه من نطفةٍ مهينة، ثم من علقةٍ ضعيفةٍ تَعْلَقُ في جدار الرحم تتغذى من دم الأم، ثم تصبح هذه العلقةُ مضغةً لا معالم لها تنشأُ منها بعد ذلك العظام، ثم بعد ذلك يصبح جنيناً.

وفي كل تلك المراحل لا يقوم الإنسان بنفسه لا برزقه ولا بأنفاسه ويحيى برعاية الله التامة له، ثم إذا كبر الإنسان وصار شاباً جَلِداً تراه يصول ويجول ويكسب أفعاله وينسى ربه، لو تفكر الإنسان في شؤون حياته وتفاصيلها لأيقن أنه ضعيف عاجز لا حول له ولا قوة، إن في جسمه من العوالم والعمليات والدورات ما لا تقوم به مصانعُ ضخمةٌ كبيرة، وهو في ذهول تام عنها يتحرك وينام ويأكل وفي داخله عالم من الحركة والحيوية.

"الافتقار إلى الله" في سورة فاطر:

جاء ذكرُ الافتقار إلى الله في سورة فاطر مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥].

في سياق الآيات ذكر الله سبحانَه وتعالى –قبل أن يقرر هذه القاعدة– عديداً من النعم والآيات التي أكرم اللهُ بها عبادَه: من إرسال الرياح التي تسوق السحاب، ومراحل خلقِ الإنسان وأطواره، وخلقِ البحار، ونعمتي الليل والنهار، ونفي المِلك عن الشركاء من دونه، ثم بعد ذلك يُقرر افتقار البشر إلى خالِقهم بعد أن ذكَّرهم بأنه صاحب تلك النعم ومُوليها.

والناسُ أيضاً مفتقرون إلى رحمة الله وتوفيقه في الدنيا والآخرة، وما من عبدٍ يدخلُ الجنة إلا برحمة الله حتى النبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا

نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"(١).

في جسم الإنسان تتبدل الخلايا دائماً حيث إنه بعد سبع سنوات لا تبقى خليّة في جسم الإنسان لم تتغيّر، باستثناء خلايا الدماغ فإنها لا تتغير، ولو أن خلايا الدماغ تتغيّر لنسي الإنسان كل شيء ومُحيَت ذاكرته، فينسى الإنسان اختصاصه، وحرفته، ومعارفه، وأولاده، وخبراته، وذكرياته، وتصبح مصيبة كبرى في حياة الإنسان، لكن من حكمة الله سبحانه أن خلايا الدماغ ثابتة لا تتغير وبالتالي شخصية الإنسان ثابتة(٢).

إن قَلبَ الإنسان من أعجب ما خلق الله، إنه مِضخّةٌ مزدوجةٌ تضخُّ الدم الذي يحمل الغذاءَ والوقود إلى كلّ خلية، ونسيجٍ، وعضوٍ، وجهازٍ عن طريق شبكةٍ من الأوعية يزيد طولُها على مئةٍ وخمسين كيلومتراً، يؤَمّن دوران الدم في الأعضاء، منذ أن ينبض، وحتى الموت، لا يكَلُّ ولا يملُّ، ولا يستريح، ولا يتوقف حتى نهاية الحياة(٣).

هذان فقط مثالان بسيطان على أمور تحدث في جسم الإنسان ليست داخلة في إرادة الإنسان، إنما بما أودعه الله سبحانه وتعالى من حكمة وقدرة في جسم الإنسان، ولو أراد الله لتوقفت تلك الحياة في جسم الإنسان أو تعطلت وظيفة من الوظائف، لكن رحمة الله ولطفه بنا كبير.

من هنا نرى ضعف الإنسان وعجزه، وأنه كله بيد الله سبحانه وتعالى فهو فقير ضعيف.

التوجيهات التربوية المستنبطة:

١. الله سبحانَه وتعالى يذكرنا بالنعم الموجودة في حياتنا، ويذكرنا أنه هو الذي منح هذه النعم وأوجدها لنا حتى نعود إليه ونتوب إليه ونفتقر إليه.
٢. الخَلقُ محتاجونَ إلى الله سبحانه في كل نَفَسٍ وخطوةٍ ولحظة؛ لأن وجودَهم وبقاءَهم إنما هو بالله العظيم، وهذا من لوازم قيُّومية الله على خلقه.

---

(١) صحيح مسلم، (١٩٩٤/٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (حديث ٢٥٧٧).
(٢) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، (١٢١/١).
(٣) انظر: المصدر السابق (١٤٣/١).

٣. فقرُ العبادِ إلى ربهم أمرٌ ذاتي لا ينفكُّ عنهم، وهو ثابتٌ لذواتهم وحقائقهم من كل وجه، كما أنَّ الغنى المُطْلَق ثابتٌ لذاتِه تعالى من كل وجه، وفي ذلك يقول ابنُ تيميَّة:

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً   كما أن الغنى أبدا وصف له ذاتي[1].

٤. الله سبحانه وتعالى حين يدعو الناس إلى عبادته والرجوع إليه، فهذا لا يعني أنه مفتقر إليهم محتاج لهم، فالله غني عنهم وعن عبادتهم وحمدهم، لكن الله سبحانه يمنح الناس من عنايته ورعايته، ويفيض عليهم من رحمته، فالحقيقة الواضحة أن الناس هم الفقراء المحاويج إلى الله[2].

٥. الإنسان في غمرةِ الحياة والتقدم العلمي، وفي اختراقه الآفاق، وركوبه البر والبحر والجو، يرى الإنسان نفسه، وينسى ربه، فيحتاجُ تذكيراً مُهِمَّاً أنه صغيرٌ ضعيفٌ عاجز، محتاجٌ إلى ربه في كل طرفة عين.

---

(١) التفسير القيم، ابن القيم، (٤٣٧/١)، وقائل بيت الشعر هو ابن تيمية.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٩٣٧/٥).

المبحث الثاني:

التوجيهات التربوية المتعلقة بالغيبيات في ضوء سورة فاطر

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: بيان طبيعة الملائكة ووظيفتهم.
- المطلب الثاني: تقرير كتابة المقادير في اللوح المحفوظ.
- المطلب الثالث: تأخير الآجال لوقت معلوم.
- المطلب الرابع: ثبوت البعث والنشور ولفت الأنظار إلى دلائله من الكون.
- المطلب الخامس: بيان جزاء أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

المطلب الأول:
بيان طبيعة الملائكة ووظيفتهم

عالمُ الملائكة عالمٌ غيبيٌّ سماويٌّ، وهم خَلْق كريمٌ شريفٌ من خَلقِ الله، اختصّهم الله سبحانه وتعالى بأعمال ووظائف عظيمة، وشرّفهم بجواره في سماواته الكبيرة، وأوكل إليهم كثيراً من أعمال الكون الجليلة، وخصّهم بصفات جميلة نبيلة. وفي هذا المطلب خمسة فروع كما يأتي:

أولاً: الإيمان بالملائكة والدليل على وجودهم:

الإيمان بالملائكة هو أحد أركان الإيمان الستة، ومنكر وجودهم كافر، لقوله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٣٨]. فيجب على المؤمن أن يعتقد اعتقاداً جازماً بوجودهم، وبما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه، وفي ما صح عن نبيه صلى الله عليه وسلم.

ويجب الإيمان بالملائكة الذين وردت أسماؤهم، أو أصنافهم، أو صفاتهم على التفصيل تفصيلاً، وأمّا ما ورد ذكرهم إجمالاً فيكون الإيمان بهم إجمالاً[١].

ثانياً: تعريف الملائكة:

الملائكة لغةً: أصلُها أَلَكَ، والاسم منه الأَلُوك، وهي الرسالة، وكذلك الأَلُوكَة والمَأْلَكة والمَأْلُك، والمَلَكُ مُشْتَقٌّ منهُ، وأصله مَأْلَك، ثم قُلِبَت الهمزةُ إلى موضع اللام فقيل مَلْأَك، ثم خُفِّفت الهمزة بأن أُلْقِيَت حركتُها على الساكنِ الذي قبلها فقيل مَلَك، والجمعُ ملائكة[٢].

الملائكة اصطلاحاً: عالمٌ لطيفٌ غيبيٌ غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرَك بالحواس، وهُمْ من عوالم ما وراء الطبيعة، وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة، شأنها الطاعة ومسكنها السماوات غالباً، وهم مطهّرون من الشهوات الحيوانية، ومبرَّؤون من الميول النفسيّة، ومنزّهون عن الآثام والخطايا[٣].

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، العثيمين، (١/٤٢).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٠/٣٩٤).

(٣) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، (١/١١١).

ثالثاً: بيان صفات الملائكة:

للملائكة صفات خلقهم الله تبارك وتعالى وجَبَلَهُم عليها وسنُقَسّمها إلى قسمين:

أولاً: الصفات الخَلْقية:

خلقَ اللهُ الملائكةَ من نور كما جاء في الأحاديث، وهم مخلوقاتٌ جميلةُ المنظرِ حسنةُ الهيئة، وللملائكة أجنحةٌ كما أخبر الله سبحانه وتعالى، وهم متفاوتون في الأجنحة، يقول تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١]. ولم يتوالدوا من أب واحدٍ، وإنما خلقهم الله سبحانه وتعالى على غير خلق بني آدم وسائر المخلوقات، وبالتالي فلا يوصفون بالذكورةِ ولا الأنوثة، وليسوا في حاجةٍ إلى الطعام والشراب، ولا يملُّونَ من عبادةِ الله وطاعتِه وتنفيذِ أوامره ولا يتعبون[١].

ثانياً: الصفات الخُلُقية:

تتصف الملائكة بعدد من الصفات منها أنهم كرامٌ بررة، أي: كرامٌ على ربهم، وكرامٌ عن المعاصي، ومطيعون لله، صادقونَ له في أعمالِهم، وكذلك يتَّصفون بالحياء، وخشيةِ الله وعدم مُخالفتِه، قال تعالى: ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦][٢].

رابعاً: أعمال الملائكة:

أوكل الله سبحانه وتعالى للملائكة مهامّاً عديدة وجليلة، وبالمجمل هي القيام بشؤون العالم العلوي، والقيام بشؤون العالم الأرضي، والسفارة بين الله سبحانه وتعالى وبين أنبيائه ورسله.

أهم أعمال الملائكة:

١. النزول بالوحي: أو السفارة بين الله سبحانه وبين أنبيائه ورسله، والنزول بالوحي عن طريق الملائكة هي أحد طرق الوحي بين الله العظيم وبين أنبيائه ورسله الكرام، فالنزول بالوحي تعتبر من أعمال الملائكة، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]. والروح الأمين: جبريل عليه السلام بإجماع[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن،(٥٨١/٢١)، (٤٩٩/٢٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢١٥/١٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢٤٢/٤).

٢. حمل العرش: قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. "قال ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدّتهم. وقيل: ثمانية أملاك تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة"[١].
٣. إعمار السماوات بالعبادة: قال تعالى في حق الملائكة: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. فهُم في عبادة وتسبيح دائمين لله سبحانه وتعالى، كيف لا؟ وهم بجوار العزة وحظائر القُدُس، فحُق لهم أن ينشغلوا بعبادة ربهم وذكره. وإن عبادة الملائكة متنوعة غير محصورة في عبادة معينة، فهُم بين مسبّح وساجد وراكع وقائم، وبين طائف يطوف بالبيت المعمور.
٤. تدبير شؤون الخلائق: من أعمال الملائكة الجليلة تدبير شؤون الخلائق والقيام على أمور الكون بإذن الله العظيم وأمره، من تدبير أمور السماوات الهائلة والتي لا نستطيع إدراك جزء يسير من شؤونها، ثم الكون وآفاقه ومجرّاته ونجومه وكواكبه بأقمارها ومطالعها ومشارقها ومغاربها، ثم الأرض بأرزاقها وجبالها وبحارها وأمطارها ومخلوقاتها.
٥. كتابة أعمال العباد: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. تتحدث الآيات عن الملائكة التي تحصي أعمال العباد، وتكتب ما يصدر عنهم من خير أو شر، قال مُجاهد: "وَكّل اللهُ بالإنسان معَ علمِه بأحواله مَلَكَيْن بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله، ويكتبان أثره إلزاماً للحُجّة: أحدُهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتُب السيئات"[٢].
٦. قبض أرواح العباد: "ومن أعمال الملائكة قبض الروح وردّها إلى بارئها، اختص الله بعض ملائكته بنزع أرواح العباد عندما تنتهي آجالُهم التي قدّرها الله لهم"[٣]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. والذين يقبضون الأرواح أكثر من مَلَك: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].
٧. خَزَنَة الجنة وخزَنة النار: أخبر الله العظيم أن للجنة خزَنة وللنار خزنة وهم الذين يقومون على شؤون الجنة وعلى شؤون النار.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جُزَي، (٤٠٦/٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٩/١٧).
(٣) عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، (٥٠/١).

خامساً: ورود الملائكة في سورة فاطر والتوجيهات التربوية المستنبطة

جاء ذكر الملائكة في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١].

التوجيهات التربوية المستنبطة:

١. التفكر في خلق الملائكة يعرفنا عظمتها في خلقها وفي ضبطها شؤون الكون والعوالم، وذلك يقودنا إلى معرفة الملك الجبار الذي يملك كل شيء ويقهر كل شيء ويخضع له كل شيء.
٢. الإيمان بالملائكة يورث في القلب حب الخير والرحمة للعالمين؛ لأن الملائكة هي رمز الخير في المخلوقات.
٣. علم العبد بالملائكة التي تحصي أعمال العباد يجعل الإنسان يراقبُ الله في أعماله، ويدفعه لاجتناب السيئات وفعل الحسنات، ويورثه الحياء من أن يعصي الله وهو يعلمُ أنَّه مراقَبٌ مُحاسَب.
٤. الإيمان بالملائكة يورث القلبَ محبةَ هذه المخلوقات الكريمة التي اختارها الله لأشرف المهمات وأنبل الأعمال، وقد أخبر الله في القرآن أن الملائكة تحب المؤمنين وتدافع عنهم وتستغفر لهم، وينتقمُ الله بها من أعدائه.
٥. الإيمان بالملائكة يحمي العقل من الوقوع في الخرافات، والتُّرَّهات، والعقائد المنحرفة فيما يتعلق بالكون وتدبير شؤونِه، فالإيمان الصحيح والعلم السليم وقاية من الانحرافات والشبهات العقدية والفكرية.

المطلب الثاني:
تقرير كتابة المقادير في اللوح المحفوظ

من أسماء الله سبحانه وتعالى العليم، وإن اللهَ العليمَ صفاتُه أزلية قديمة، ومنها العلم، فقد علمَ اللهُ في الأزلِ كل شيء، ثم إن الله سبحانه قدَّر المقادير وكتب كل شيء في اللوح المحفوظ على وَفق علمِه القديم، فكل ما يحدث من حوادث لا تخرج قيد أُنملةٍ عن قَدَرِ الله الجليل وعلمِه، وهذا يدل على عظمة الإله وقدرته وحكمته وإحاطته، وقُل ما شئت في ذلك فإنك لن تحيط به عِلماً، يقول تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف: ١٠٩]. فكلٌّ شيء مكتوب في الكتاب، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**﴾ [الحديد: ٢٢]، وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقَ السماوات والأرضِ بخمسينَ ألفَ سنة"[١]، وعن عبادة بن الصامت قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ أولَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، ثم قال: اكتُب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة"[٢]. وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

ما شئتَ كان وإن لم أشأْ ... وما شئتُ إن لم تشأْ لم يكُن
خلقتَ العبادَ لما قد علمْتَ ... ففي العلمِ يجزَى الفتى والمُسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ، ... وذاك أَعَنْتَ وذا لم تُعِن[٣]

فالإيمان بالقضاء والقدر من أصول العقيدة الإسلامية، ومن أنكر القدر فقد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

---

(١) صحيح مسلم، (٢٠٤٤/٤)، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٣).
(٢) مسند أحمد، (٣٧٩/٣٧)، تتمة مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت، جزء حديث رقم (٢٢٧٠٥)، طبعة الرسالة، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، في التعليق على الحديث: حديث صحيح وإسناده حسن.
(٣) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، (١٢٦/٢).

أولاً: تعريف القضاء والقدر:

القضاء لغةً: (قَضَى) يدل على إحكام أمرٍ وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ **[فصلت: ١٢]، أي أَحْكَمَ خَلْقَهن، "والقضاء: الحُكْم"[١]. "وأصله القطع والفصل"[٢].**

القضاء اصطلاحاً: "الحُكم الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد"[٣].

القَدَر لغةً: "مبلغُ الشيءِ وكُنْهُه ونهايتُه"[٤]، "والقدَر: القضاء والحُكم"[٥]، "والقدر: القضاء الموفّق، وإذا وافقَ الشيءُ الشيءَ، قلتَ: جاء قدَرُه"[٦]، "والقَدَرُ الإحاطة بمقدار الشيء تقول قدَرتُ الشيءَ إذا أحطتُ بمقداره"[٧].

القدر اصطلاحاً: "هو تعلّق علمِه وإرادته أزلاً بالكائنات كلِّها قبل وجودِها، فلا حادث إلا وقد قدّره الله تعالى، أي سبق علمُه وتقدّمت به إرادته، فكلّ حادثٍ فهو على وِفقِ ما سبق به علمُ الله ومَضَت به إرادته"[٨]، لقوله تعالى ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال ابن حجر: "والمراد أن الله تعالى علِمَ مقادير الأشياء وأزمانها قبلَ إيجادها، ثم أوجد ما سبق في عِلمِه أنه يوجَدُ، فكلّ محدَثٍ صادرٌ عن علمه وقُدرتِه وإرادتِه"[٩].

الفرق بين القضاء والقدر: للعلماء في الفرق بين القضاء والقدر قولان:

١. القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق[١٠]، يقول الجرجاني: "القضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال، والفرق بين

---

(١) مقاييس اللغة، (٩٩/٥).

(٢) لسان العرب، (١٨٦/١٥).

(٣) التعريفات، الجرجاني، (١٧٧/١).

(٤) مقاييس اللغة، (٦٢/٥).

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، (٣٧٠/١٣).

(٦) تهذيب اللغة، أبو منصور الهرويّ، (٣٧/٩).

(٧) فتح الباري، ابن حجر، (١١٨/١).

(٨) العقائد الإسلامية، ابن باديس، (٩٠/١).

(٩) فتح الباري، (١١٨/١).

(١٠) القضاء والقدر، الأشقر، (٢٤/١).

القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها"(١)، ويقول ابن حجر العسقلاني: "قال العلماء: القضاء الحُكم بالكُلّيات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل"(٢).

٢. عكس القول الأول، وهو أن القدر العلم السابق، والقضاء وقوع الخلق. فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع والخلق، كقوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ [فصلت: ١٢]، أي خلقهن(٣). يقول ابن الأثير: "فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه"(٤).

والذي يختاره الباحث من التعريفات السابقة في القضاء والقدر هو رأي ابن الأثير في أن القدر هو العلم السابق، والقضاء هو وقوع الخلق؛ لمناسبة ذلك للمعنى اللغوي لكل من القدر والقضاء.

ثانياً: درجات الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر يتضمن أربع مراتب، من أقر بها جميعاً اكتمل إيمانه بالقدر، ومن أخلّ بواحدة منها اختل إيمانه بالقدر:

- أولاً: الإيمانُ بعلمِه القديمِ المحيطِ بجميع الأشياء، وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلاً وأبداً كلَّ ما سيعملُه الخلقُ فيما لا يزالُ، وعلِم به جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاقِ والآجال، فكلّ ما يوجد من أعيانٍ وأوصافٍ ويقعُ من أفعالٍ وأحداثٍ فهو مطابقٌ لما علِمه الله عز وجل أزلاً.
- ثانياً: أنّ الله كتب ذلك كلّه وسجّله في اللوح المحفوظ، فما علِم كونه ووقوعه من مقاديرِ الخلائق وأصنافِ الموجوداتِ وما يتبعُ ذلك من الأحوالِ والأوصاف والأفعال ودقيق الأمورِ وجليلها قد أمر القلم بكتابته.

---

(١) التعريفات، (١٧٤/١).

(٢) فتح الباري، (١٤٩/١١).

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، (٦٧٥/١)، معالم السنن، الخطابي، (٣٢٣/٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٧٨/٤).

- ثالثاً: الإيمان بعموم مشيئته تعالى؛ وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في مُلكه ما لا يريد، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعةٌ بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائنٌ، سواءٌ كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا.
- رابعاً: الإيمان بأن جميع الأشياء واقعةٌ بقدرة الله تعالى، وأنها مخلوقةٌ له؛ لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها؛ كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦] (١).

ثالثاً: ورود الإيمان بالقدر في سورة فاطر والتوجيهات التربوية المستفادة:

ذكر اللهُ سبحانَه وتعالى الإيمان بالقدر في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [فاطر: ١١]. وجاء ذكرُ ذلك في سياق إثباتِ كمال علم الله وإحاطته بكل شيء، وأن كل شيءٍ مُقَدَّرٌ ومكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وهذا الأمر يسيرٌ على الله.

التوجيهات التربوية المستفادة:

يعتبر الإيمان بالقدر عقيدةً مهمةً في حياة الفرد المسلم، تتحقق بها ثمارٌ كريمةٌ، منها:

١. الاطمئنان إلى علمِ الله تعالى، وعدلِه، وحكمتِه، ورحمتِه، فإن الله تعالى عليمٌ بما قضى في خلقه من الخير والمصلحة؛ فيقضيه؛ وفق ما قدّر من مصالح العباد، فما من قضاءٍ إلا وفيه مصلحة للعباد، من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون. والله تعالى عادل في قضائه، لا يظلم مثقال ذرة؛ فما جرى على العباد من قدرٍ إلا كان عدلاً منه عز وجل. والله تعالى حكيمٌ في قضائه، فلا يضع الأمور إلا في المواضع التي ينبغي أن تكون فيه. والله تعالى هو الرحمن الرحيم، أرحمُ بعباده من الأم بولدها؛ فما من قضاءٍ قضاه إلا وفيه رحمةٌ للعباد من حيث يعلم العباد، ومن حيث لا يعلمون. فمن اطمأنّ إلى صفات الله عز وجل الأربعة؛ نجا، وسلك سبيل السلامة(٢).

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، هراس، (٢٢١-٢٢٦).

(٢) انظر: السهل في عقيدة أهل الإيمان، زكريا شحادة، (١/١٦٣-١٦٤).

٢. إضفاء الطمأنينة، والعزة، والشجاعة في قلب الإنسان المؤمن في مواجهة أعداء الإسلام، فتجعله يستصغر قوى الأرض جميعاً أمام الإيمان بقدر الله. ومن هنا نجد التفسير للأعمال العظيمة التي حققها الصحابة لما تحققت هذه العقيدة في نفوسهم(١).
٣. التنعّم بنعمة الرضا في كلّ حال، ذلك أن هذه النفس المؤمنة تعلم أن الله قدّر لها الخير أو الشر حكيم رحيم فلا تبطر بنعمة، ولا تجزع من مصيبة، فهي شاكرة في السراء، صابرة في الضراء، أمرها كلّه خير(٢).
٤. الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك؛ لأن ذلك يتضمن أن الله سبحانه متفردٌ بالربوبية والملك والتصرف في خلقه وأنه لا رب غيره ولا إله سواه؛ فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلّة التوحيد(٣).
٥. عقيدة القدر هي سر الله تظهرُ فيها قدرةُ الله وحكمتُه ومشيئتُه وإرادتُه، ويذوبُ عقلُ وقلبُ العبدِ في آفاقِ أسرارِ تلكَ الأقدار، وبذلك يلمحُ الإنسانُ طرفاً من جوانب الربوبية، ويزداد إيمانُه ويقينُه على ملك الملوك ورب السماوات.

---

(١) انظر: الإيمان، محمد نعيم ياسين، (١١٨/١).
(٢) انظر: المرجع السابق، (١٢٠/١).
(٣) انظر: شفاء العليل، ابن القيم، (ص١٧).

المطلب الثالث:
تأخير الآجال لوقت معلوم

إن الله عز وجل قدّر أقداراً، وضرب آجالاً محدودةً سمّاها في الأزل، فما من شيء إلا له وقتُه وأجلُه المحدد لا يقصُر دونَه، ولا يتجاوزه إذا بلغه، والله سبحانه وتعالى لا يُبدَّلُ القولُ لديه لما له من صفات الكمال، فهو الموجد بتمام القدرة وكمال الاختيار، فلا رادّ لقضاءٍ شاء الله سبحانه أن يمضيَه، ولا مقدّم ولا مؤخّر لأجل أقام اللهُ له موعده، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "كل ما هو آتٍ قريب، ألا إن البعيد ليس بآتٍ، لا يَعْجَل اللهُ لعجلة أحدٍ، يريد الله أمراً، ويريد الناس أمراً، ما شاء الله كان ولو كره الناس، لا مقرِّبَ لما باعَدَ اللهُ، ولا مبعِّدَ لما قرَّب الله، ولا يكون شيءٌ إلا بإذن الله"[1].

أولاً: وروده في سورة فاطر:

جاء ذكر تأخير الآجال مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا**﴾ [فاطر: ٤٥]. أي: "ولو يُعجِّلُ اللهُ العقوبة للناس بما عملوه من المعاصي، وما ارتكبوه من الآثام، لأهلك جميع أهل الأرض في الحال وما يملكون من دواب وأموال، ولكنَّه سبحانَه يؤخرهم إلى أجلٍ محدد في علمه وهو يومُ القيامة، فإذا جاءَ يوم القيامة فإن الله كان بعبادِه بصيراً لا يخفى عليه منهم شيء، فيجازيهم على أعمالهم؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر"[2].

ثانياً: التوجيهات التربوية المستنبطة والحكمة من تأخير الآجال:

١. "الوجه في إمهال الله من أمهل من عباده، إنما هو لأن الآخرة من وراء الجميع وفيه يستوفى جزاءُ كلِّ أحد"[3]، على قول أن الأجل المسمى هو يوم القيامة، فهذه الدنيا في الأصل دار ابتلاء وعمل، والآخرة دار الجزاء على تلك الأعمال، فلذلك نرى أن كثيراً من الكفار والمجرمين لا يعاقبون على أعمالهم في الدنيا.
٢. أن الله سبحانه لا يؤاخذ الناس بمجرّد الظلم، فإن الإنسان ظلومٌ جهول، وإنما يؤاخذ بالإصرار على الكفر والذنوب، وحصول اليأس عن إيمانهم، فإذا لم يبقَ فيهم من يؤمن يهلك المكذبين وينتقم منهم[4].

---

(١) جامع مَعْمَر بن راشد، (١١/١٥٩)، باب الكذب والصدق وخطبة ابن مسعود، حديث (٢٠١٩٨).
(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم، نخبة من العلماء، (١/٤٤٠).
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤/٤٤٤).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٤٩).

٣. أن الله سبحانه لا يُبدل القول لديه، فقد قضى ما هو قاضٍ ولا مبدل لقضاء الله سبحانه، فالله سبحانه يؤخر عقاب الكفار ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل حدده عنده لا يقصرون دونه ولا يتجاوزونه إذا بلغوه.
٤. بيان مدى حِلمه سبحانه ورحمته على الناس، وأنه لو أراد مؤاخذتهم لأفناهم، لكنه سبحانه لا يعجل العذاب للعصاة والكفار، وإنما يُؤَخِّرُهم ويُمْهِلُهم إلى يوم معين كي تكون لديهم فرصة، فيتداركوا تقصيرَهم، ويعدِلوا عن ظلمهم[١].
٥. لو عجّل للناس ما يستوجبونه من الثواب والعقاب، لم تَفِ أعمارهم القليلة، وما استوعبت عقولهم له، فأخر ذلك ليوم الحشر فإنه طويل، ويجازى فيه العباد على ما أسلفوا أتمَّ وأوفى الجزاء[٢].
٦. من حكم الله في تأخير الآجال، "مراعاة مصالح أمم آخرين، أو استبقاء أجيال آتين"[٣]، فربما تعلقت مصالح أقوامٍ آخرين بهؤلاء المكذّبين؛ فأخّر عذابهم وأمهلهم لأجل أولئك، وربما أراد الله أن يخرج من أصلاب هؤلاء أجيالاً تؤمن به وتعبده، كما فعل في قريش وثقيف في أنه لم يعذبهم لمّا كذّبوا نبيّه وآذوه، فأخرج من ذريتهم من يوحد الله ويعبده.

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٨٦/٢٢).
(٢) انظر: تفسير القشيري، (٣٥٤/٦).
(٣) التحرير والتنوير، (٣٣٩/٢٢).

المطلب الرابع:

ثبوت البعث والنشور ولفت الأنظار إلى دلائله من الكون

من القضايا المفصلية والمصيرية التي جاء بها دين الإسلام قضيةُ البعثِ واليومُ الآخر، حيث إنها تعتبر من الأسس المحورية في التصور الإسلامي. في الجاهلية كانت قضية البعث من المستحيلات ومن ضروب الخيال عند أهلها، بل كانوا يسفِّهون من كان يخبرهم عن البعث ويضحكون منه. فجاء القرآن وعالج هذه القضية من جميع النواحي، ووضع البراهين الإيمانية والعقلية والمنطقية، وضرب الأمثلة عليها، وجعل يعرض هذه القضية في أساليب متنوعة وفي أثواب مختلفة، حتى يُكسِّرَ المعتقدات الوثنية والشِّرْكيَّة التي ترسَّخَت على مدار سنين عديدة. وفي هذا المطلب أربعة فروع كما يأتي:

أولاً: التصور الإسلامي للبعث واليوم الآخر:

ومن الإيمانِ باليومِ الآخرِ الإيمَانُ بِكُلِّ ما أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ، فنؤمن بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وبعَذابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ، فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ في قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟ ثُمَّ بَعْدَ هّذِهِ الْفِتْنَةِ إمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الْكُبْرى، فَتُعَادُ الأَروَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ، ثم يبعث اللهُ الناسَ من قبورهم في عرصاتِ يومٍ شديدٍ عصيب، وتُبعثُ الأرواحُ والأجسادُ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهُ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ على ما قدموا في حياتهم الدنيا من أعمال، ثم في نهاية الأمر ينقسم الناسُ إلى فريقين: فريقٍ في الجنَّة، وفريقٍ في السعير[١].

ثانياً: أهمية الإيمان بالبعث والنشور:

كُنّا قد قدَّمنا في أن هذه القضية مهمة جداً، ومفصليةً، ومحوريةً في دين الإسلام؛ إذ إن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة؛ التي من أنكر إحداها فقد خرج من دائرة الإسلام. واليوم الآخر أمرٌ غيبيّ، الإيمان به يعتبر دليلاً قويّاً على دخول العبد في الإسلام، فلا يصح دخول العبد في الإسلام إلا إذا آمن إيماناً جازماً باليوم الآخر، وآمن بالبعث والنشور. "وإن أعظم قضية يجب أن ينشغلَ بها كلُّ واحدٍ منا هي: قضيةُ وجودِه وحياتِه والغاية من ذلك، وقضية مستقبله ومصيره وشقائه وسعادتِه، فلا يُقدّم الإنسان على ذلك شيئاً مهما كان، فكلّ أمرٍ دونه هيّن، وكلّ خطبٍ سواه حقير"[٢].

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية، ابن تيمية، (٩٣/١).

(٢) الإيمان بيوم القيامة وأهواله، علي الشحود، (٣/١).

ثالثاً: ورود البعث والنشور في سورة فاطر وإثباته ودلائلُه:

تكرر في القرآن الكريم ذكرُ البعثِ والنشور في مواضع كثيرة، ونَصَب الله سبحانه وتعالى العديد من الدلائل على إثباتِه ووقوعِه، واستخدم القرآنُ القياسَ كثيراً في إثبات البعث، حيث يذكُرُ شواهدَ من الكونِ في حياةِ الناس يرونها، فيستخدمها بالقياس عليها في إثباتِ البعث؛ بحيث أن من قدر على هذه يقدر على البعث، وفي هذا أكبر الدلائل على اليوم الآخر، وبذلك تقومُ الحجةُ على الناس، فضلاً عن مجرد إخبارِ اللهِ سبحانَه بوقوعِ البعث وحصولِه.

وفي سورة فاطر جاءَ ذكرُ هذه القضية في آيةٍ واحدة في قولِه تعالى: ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ [فاطر: ٩]. إن إخبارَ اللهِ سبحانَه بوقوع البعث يكفي المؤمنين لكي يؤمنوا به ويعملوا لأجل ذلك اليوم الذي سيحاسبون فيه على ما قدَّموا، ولكنَّ الله يُقيمُ الدلائل والبراهين المختلفة على هذه القضية. وهنا جاءَ الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها بالمطر على إحياء الموتى بعد موتهم، هذه آية عظيمة مطّردة في حياة الناس تحدث بكثرة وتتكرر كثيراً، لكن الناس عنها قد غفلوا، وفي أسرارها وأبعادها لم يتفكّروا، فيُذكِّرُ اللهُ النّاسَ بهذه الآية لعلَّهم يتفكَّرون فيها ويعرفون ربهم فيها، ويدركون قضية البعث من خلالها، يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**﴾ [فصلت: ٣٩]. فكما لم تعجَز قدرتُه عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى، فكان هذا دليلاً مُشَاهَداً على القدرة على إيجاد المعدوم، وإعادة البالي المحطوم(١).

---

(١) انظر: تفسير السعدي، (٧٥٠/١)، نظم الدرر، (١٩٧/١٧).

الفرع الرابع:

التوجيهات التربوية المستنبطة

١. الارتقاء بمرتبة الإنسان لكي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من عالم المادة، وهي نَقْلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كلِّه ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير[١].

٢. بحقيقة اليوم الآخر والبعث والنشور يشعر الإنسان أن وراء الكون، حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها، واستمد من وجودها وجوده، حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول[٢].

٣. صيانةُ طاقةِ الإنسانِ وفكرِهِ عن الضياع والتمزق والانشغال بما لا ينفعها في الدنيا والآخرة، فإن غياب هذا المعنى في حياة البشر يهدر كثيراً من الطاقات والجهود والأموال فيما لا طائل تحته؛ كما نرى في عالمنا المعاصِر تُصرف جهود جبارة في أمور تافهة وحقيرة، أو في دمار البشر وخرابهم وسفك دمائهم، أو في متعة الإنسان وهواه وشهوته، وكل ذلك وغيره بسبب غياب هذه العقيدة من حياة البشر.

٤. تقويم سلوك الإنسان وعمله؛ حيث إن الإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان مقبلاً على الآخرة حريصاً على تحصيل الفلاح فيها، فينضبط سلوكُه ويصبح العملُ الصالح قرينُه ويبتعد عن العمل السيء، في حين أن عدم الإيمان بالآخرة يجعل الإنسان يعيش لأجل هذه الدنيا الفانية، يجمع لها، ويفعل كل شيء لتحصيل شهواته ورغباته ولو على حساب البشرية كلها.

٥. ذكر الله سبحانه في أولِ القرآن أولَ سورة البقرةِ أن هذا القرآن هدىً للمتقين، ثم ذكر صفات المتقين الذين يهتدون بهذا القرآن، ومن صفاتهم الإيمان باليوم الآخر، فهو من أسباب تحصيل التقوى، ثم هو من أسباب الاهتداء بالقرآن.

٦. بالإيمان بالغيب يرتقي الإنسان عن عالم البهيميّة إلى عالَم الإنسانيّة الحقّة الذي تؤدّي طريقُه إلى العبوديّة لله تعالى.

٧. حقيقة الإيمان بالبعث تربط الدنيا بالآخرة، والمبدأ بالمصير، والعمل بالجزاء، وتُشعِر الإنسان أنه ليس مهملاً، وأنه لم يُخلق عبثاً، ولن يترك سدىً، وأن الحياة الحقيقية إنما

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٣٩/١).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٤٠/١).

هي هنالك، وأن العدالة المطلقة في انتظاره؛ ليطمئن قلبُه، ويفيء إلى العمل الصالح، وإلى عدل الله ورحمته في نهاية المطاف[1].

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١/٤١).

المطلب الخامس:
بيان جزاء المؤمنين وجزاء وأولياء الشيطان

خلق الله هذه الحياة الدنيا وخلق الموت؛ ليبلو الناس أيُّهم أحسنُ عملاً، وأعد لهم الجزاء على ما قدَّموا من خيرٍ أو شر يوم القيامة، فمن غير المعقول أن يستوي من آمن بالله وعمل صالحاً وقضى عمُرَه في خدمة مولاه، مع من كفر بالله وقضى عمره في اتباع هواه وإشباع شهواته ورغباته، ولما كانت هذه الدار دار ابتلاء وعمل، كانت الدار الآخرة دارَ حسابٍ وجزاءٍ، حيث أنه تجزى كل نفس بما تسعى، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [فاطر: ٧]، فإن الناس ينقسمون في الدنيا إلى قسمين: أولياءِ الرحمن، وأولياءِ الشيطان، وكل فريقٍ من هؤلاء أعدَّ اللهُ لهم جزاءً حقَّاً يوافقُ أعمالَهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.

أولاً: جزاء أولياء الرحمن:

إن الله العظيم يحبُّ أولياءَه، ويكرمهم ويحبيهم في الدنيا والآخرة، وليس أحد أجزل عطاءً ولا أكثر ثواباً من الله العظيم، لذا فإن المؤمن لا يرجو ثواب أحد إلا الله، ويكون أسمى أمانيه أن يرضى اللهُ عنه، ويتقبّل منه عمله الصالح، ويثيبه عليه الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، سنذكر جزاء أولياء الرحمن مستقرئين آيات سورة فاطر:

١. المغفرة والأجر الكبير:

من كرمِ اللهِ ولطفه مع عبادِه المؤمنين أنه وَعَدَهم على الإيمان والعمل الصالح مغفرةَ الذنوب والتكفيرَ عن السيئات، فمن المعلوم أنَّه ما من عبدٍ إلا ويقع في الذنوب والمعاصي؛ لأن البشر –سوى الأنبياء– ليسوا معصومين، فبشر الله عبادَه المؤمنين بمغفرةِ الذنوب حتى يكونوا أهلاً لدخولِ الجنة ونيلِ المقاماتِ الشريفةِ العليَّةِ الرَّضية.

بعدَ المغفرة للذنوبِ يتحصَّلُ أولياءُ الرحمن على الأجرِ العظيم ثواباً على أعمالِهم الصالحة، ويُضاعِفُ ثوابَ أعمالِهم أضعافاً كثيرة. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [فاطر: ٧]. وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ

هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً"(١). فيذكرُ في الحديث جميلَ المعاملة مع المؤمنين في مضاعفة الحسنات بعشرِ أمثالها ويزيدُ، وكتابةِ السيئات بمثلِها مع المغفرة لمن تاب وأناب.

٢. تحصيل العزة:

من جزاءِ أولياء الرحمن في الدنيا والآخرة تحصيلُ العزةِ، والنصرة، والولاية، والقرب من الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ العزة هي لله جميعاً، وهي الدائمة الباقية، وهي العزة الحقيقية، قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ [فاطر: ١٠].

٣. يوفِّيَهم أجورَهم ويزيدَهم من فضلِه:

اللهُ سبحانَه وتعالى يُعامِلُ عبادَه المؤمنين بفضلِه وكرمِه؛ فيستوفونَ جزاءَ أعمالِهم، ثم يعطيَهم فوق ذلك من فضلِه العظيم، وفي هذا ترغيبٌ لعبادِه أن يُحبُّوه ويطيعوه ويطمعوا في ثوابِه وفضلِه، قال تعالى: ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٣٠]، وفي قولِه ﴿**وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ قال ابن عطية: "قالت فرقة: هو تضعيفُ الحسنات من العشرِ إلى السبعمائة، وتوفيةُ الأجور على هذا هي المجازاة مقابلة، وقالت فرقة: إن التضعيف داخل في توفية الأجور، وأما الزيادة من فضلِه إما النظرُ إلى وجهِه تعالى، وإما أن يجعلَهم شافعين في غيرهم، كما قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦]"(٢).

٤. الفوز بجنات عدن:

إن الله سبحانه لمّا أمر عباده بالإيمان به وطاعتِه وعبادته واتباع رسلِه، كان جزاؤه سبحانه هو جنانُ النعيمِ دارُ الخلودِ، والدنيا بطولها وبعرضها لم يعِدها ربنا لعباده؛ لأنها فانيةٌ حقيرةٌ مهما تزخرفت وتزيّنت. في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: "أعددتُ لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمِعَت، ولا خَطَرَ على قلبِ بشر، فاقرءوا إن شئتُم فلا تعلم نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرّة أعينٍ"(٣). وقال تعالى في وصف أنهار الجنة وثمارها: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، (٢٠٦٨/٤)، حديث (٢٦٨٧).

(٢) المحرر الوجيز، (٤٣٨/٤).

(٣) صحيح البخاري، (١١٨/٤)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٤٤).

الثَّمَرَات﴾ [محمد: ١٥]. وقال في وصف لباسهم وحُليّهم: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [فاطر: ٣٣]. أي: "يلبسون في جنّات عدن أسورةً من ذهب، ولباسُهم في الجنّة حرير"[١]. "فنعيمُ الجنّة يفوق الوصفَ، ويَقْصُرُ دونَه الخيال، ليس لنَعيمها نظيرٌ فيما يعلَمُه أهل الدنيا، ومهما ترقّى الناسُ في دُنياهم، فسيبقى ما يبلغونَه أمراً هيّناً بالنسبة لنعيم الآخرة"[٢]، وقال تعالى في وصفِ حالِ أهل الجنَّة ومقالِهم فيها: ﴿**وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ**﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

فالجنة: هي نور يتلألأ، ورَيحانةٌ تهتز، وقصرٌ مشيد، ونهرٌ مُطّرد وفاكهةٍ نضيجةٍ، وزوجةٍ حَسناءَ جميلة، وحُلَلٌ كثيرة، في مقامٍ أبداً، في حبرةٍ ونضرة، في دورٍ عاليةٍ سليمةٍ بهيّة[٣].

ثانياً: جزاء أولياء الشيطان:

الله سبحانه وتعالى ملك الملوك له صفات الكمال والجلال كلّها، رحيم بعباده ولطيفٌ بهم، لكنه مع ذلك عدلٌ ومنتقمٌ وقويٌ عزيز، وهو سبحانه خلق السماواتِ والأرضَ بالحق، وليحاسَب الناسُ على ما عملوا في الدنيا، فلا يستوي عنده الطائعُ والعاصي، وإلا لكانت الرسالات عبَثاً، فلا بُد من العقاب لأهل الكفر وأهل المعاصي والفسوق، وسنذكر جزاء أولياء الشيطان مستقرئين آيات سورة فاطر:

١. العذاب والهلاك في الدنيا: في تاريخ الأمم الكافرة مع أنبيائها أهلكهم الله بأنواع مختلفة من العذاب، فأخذهم الله بذنوبهم، وأذاقَهم ويلات وصنوف العذاب في الدنيا، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾ [فاطر: ٢٦]، أي: "عاقبتُهم بأنواع العقوبة، فكيفَ كان إنكاري عليهم وتعذيبي لهم"[٤]. ولم يذكرِ اللهُ تفصيل أنواع العذاب التي حلَّت بالكفار حينَ أهلكهم الله لما كذَّبوا رسلهم، وجاء ذكرُ طرفٍ من ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢٠/٤٧١).

(٢) الجنة والنار، عمر سليمان الأشقر، (١/١٤٧).

(٣) سنن ابن ماجه، (٢/١٤٤٨)، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، حديث رقم (٤٣٣٢)، وأورده ابن حبان في صحيحه.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣/٨٥).

[العنكبوت: ٤٠]. فحلّ بهم عقاب الرب جل جلاله، وذاقوا بطشة انتقامه في الدنيا، وما كان ذاك إلا مقدمةً لما سيحل بهم يوم القيامة يوم العذاب المقيم.

٢. إضلال الكافرين وزوال مكرهم: مما يجازي الله به أولياء الشيطان على كفرهم وغَيّهم وضلالهم، أن يزيدهم في ضلالِهم، وأن يُقْفِلَ في وُجوهِهم سبلَ الهداية والتوبة، وأن يطبع على قلوبهم فلا يبقى فيها سبيل لدخول النور إليها؛ عقاباً من الله على إجرامهم وكفرهم وفسادهم، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا**﴾ [مريم: ٧٥].

٣. نارُ جهنَّم والعذاب الشديد: توعَّدَ اللهُ أولياء الشيطان بالعذابِ الشديد، فقال تعالى: ﴿**الذين كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ [فاطر: ٧]، أي: "فمن أجاب الشيطان حين دعاه فله عذابٌ شديد لأنه صار من حزبه"[1]، والعذابُ الشديدُ في نار جهنَّم التي أُعِدَّت للكافرين والجبّارين، والتي ترصدهم وترقبهم وتنتظرهم ؛ليكونوا من أهلها ويدخلوها، هذه الدّار التي –يتلخَّصُ– فيها عذابُ الله وانتقامُه، وتلك الدار التي كلُّ بلاءٍ دونَها عافية، فأي عذابٍ هذا الذي ينتظر أولياء الشيطان! نعوذ بالله من عذابه وسخطه والنار. كما أن نعيم الجنة لم يخطر على قلب بشر، كذلك عذاب النار لا يتصوره أحد، إن العذاب الجسدي لهو لون من ألوان العذاب في جهنم، ناهيك عن العذاب النفسي، والروحي، وغيرها من الألوان والأصناف التي لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾ [فاطر: ٣٦]، الموتُ هو خلاصٌ ونجاة وراحة مقارنةً بعذاب جهنم؛ لكن هيهات فلا يوجد ما يسمى بالموت، عذابٌ لا ينتهي وآلامٌ لا تنقطع.

٤. ويذكرُ الله حال أهل النار وهم يقاسون أنواع العذاب فقال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر: ٣٧]، يصرخون ويتصايحون ويستغيثون، فاعترفوا بذنبهم، وعرفوا أن الله عدلٌ فيهم، ولكن سألوا الرجعة في غير وقتها، فات وقتُ الإمكان، وغضب عليكم الرحيم الرحمن، واشتد عليكم عذابُ النار، ونسيَكم أهلُ الجنة، فامكثوا فيها خالدين مخلدين، وفي العذاب مهانين، ولهذا قال: ﴿**فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ**

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٧٧/٣).

نَصِير﴾ ينصرُهم فيخرِجُهم منها، أو يخفِّفُ عنهم من عذابها[1]، ويجمع هذه الأمور كلَّها غضبُ الله ومقتُه للكافرين وطردهم من رحمته.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (٦٩٠/١).

المبحث الثالث:

التوجيهات التربوية المتعلقة بالرسالات في ضوء سورة فاطر

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: إرسال الرسل وبيان وظيفتهم.**
- **المطلب الثاني: بيان شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية قومه.**
- **المطلب الثالث: نفي الهداية والإضلال عن النبي صلى الله عليه وسلم.**
- **المطلب الرابع: تسلية النبي صلى الله عليه وسلم.**
- **المطلب الخامس: تصديق القرآن لما تقدمه من الكتب والرسالات.**

المطلب الأول:
إرسال الرسل وبيان وظائفهم

إن الله سبحانه خلق الكون وجعل فيه دلائل على ربوبيته، وعلامات على توحيده وتعظيمه، فكل ما في الوجود يدلّ على خالقه، لكنّ الله سبحانه أراد أن يقيمَ الحُجّة على البشر فأرسل إليهم رُسُلاً منهم يعيشون معهم، ويعرِفونهم حقّ المعرفة، منّ الله عليهم بالرسالة، وأعطاهم السلطانَ بإذنه، فأخبروا الناس عن ربّهم وخالقهم، ونصبوا الدلائل والبراهين على صدقهم فيما أرسلوا به، فآمن من آمن وكفر من كفر.

والله سبحانه لم يترك البشر لأنفسهم وعقولهم وأهوائهم، فعلى مدار التاريخ عُلِم كم انحرفت الأمم عن سنن أنبيائهم، فكانت الحاجة ماسّةً للرسل؛ لكي ينقذوا البشر من التهاوي في مهالك الرَّدى وسُبُلِ الضلال والابتعاد عن منهج الله وصراطه المستقيم.

ولم تقتصر مهمة الرسل على تعريف الناس بخالقهم، بل كان الرُسُل يعالجون مظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي في قُراهُمُ التي بُعِثوا فيها، وبرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم طالت الإصلاحات جميع مناحي الحياة حتى السّياسية منها، فالوظيفة كبيرة وشاقّة، وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

أولاً: حاجة البشريّة إلى الرُّسل والرّسالات:

إن جوانبَ رحمةِ اللهِ سبحانه وتعالى بعبادِه لا حصرَ لها، ومن الرحمات السماوية بالعباد إرسال الرسل، وإن الله لذو فَضلٍ عظيمٍ لا يَقْدِرُ قَدْرَه الناسُ جميعاً، بأن بيّن لهم ما لا تستقلّ عقولهم بإدراكه، وأرشدهم إلى ما يَهُمّهم من أمرِ المَعاشِ والمَعاد، ورغَّبهم ورهَّبهم، وشرح لهم الأحوال وما يلقاه الحائد عن الرشاد من الأهوال[١]، فإن الرّسل وسيلةٌ إلى الله تعالى والوصول إليه عز وجلّ؛ لأن العقل لا يستقلّ بمعرفة أنواع العبادات والحدود والإلهيّات والسمعيّات، ولو كان العقلُ حجّة ما أرسلَ الله تعالى رسولاً ولاكتفى به[٢].

ولمَّا كانت الدنيا تَصْرِفُ الناس عن أمور معادهم، والشياطين تغري الناس بالانشغال بالدنيا وشهواتها وملذّاتها، ونفوس النّاس تميل إلى الدَعَة والرّاحة والتخلّص من التّكاليف، كان من الأهمية بمكان إنقاذ البشر من تلك المُهلكات، فيرسل الله الرسل ليمسكوا بدَفّة الحياة من الانحدار إلى دركات الجحيم.

---

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (١٣٥/٦).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٣٣٨/٧).

"والمقصود من إرسال الرُسل وإنزال الكُتُب صرف الخلق إلى الإقرار بالتوحيد وبالمبدأ والمعاد"[1].

إننا بحاجة إلى الرُّسل وتعاليمهم لصلاح قلوبنا، وإنارة نفوسنا، وهداية عقولنا، ونحن بحاجة إلى الرّسل؛ كي نعرف وجهتنا في الحياة، وعلاقتنا بالحياة وخالق الحياة، "ونحن بحاجة إلى الرسل كَيْلا نَنْحَرِفَ أو نزيغَ فنقع في المستنقع الآسن"[2].

ثانياً: كيفية الإيمان بالرسالات:

"يتحقق الإيمان برُسُلِ الله تعالى وأنبيائه؛ بأن نؤمن برُسُلِ الله عز وجلّ وأنبيائه الذين أرسلَهُمُ اللهُ تعالى لأهل الأرض، وننقادُ لِما جاؤوا به من ربّهم، ولا نُفَرِّقُ بين رسولٍ ورسول، فكُلّهم رُسُلٌ كرام، ومن أنكر نُبوّة نبيٍّ ثبتت في كتاب الله عزّ وجلّ؛ فهو كافر؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٣٦]"[3].

"كما يجب علينا أن نؤمن أنّ كلّ رسولٍ أرسله الله أدّى أمانته، وبلّغ رسالته على الوجه الأكمل، وبيّنها بياناً واضحاً شافياً كافياً، ويجب علينا طاعتهم، وعدم مخالفتهم، لأن ذلك من طاعة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٦٤]"[4].

"ومحمدٌ صلى الله عليه وسلّم خاتَمُ النبيّين وسيّد المرسلين، لا يصحُّ إيمان عبدٍ حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يُقْضَى بين الناس في القيامة إلا بشفاعتِه، ولا يدخُلُ الجنة أمةٌ إلا بعد دخولِ أمته، صاحب لواء الحمد، والمقامِ المحمود، والحوض المَورود، وهو إمام النبيين وخطيبُهم وصاحب شفاعتهم، أُمتُه خير الأمم وأصحابه خيرُ أصحاب الأنبياء عليهم السلام"[5].

فيجبُ على العبد أن يؤمنَ بالأنبياءِ والرسل الذينَ أرسلَهم الله للناس على سبيل الإجمال، وكذلك بالأنبياء والمرسلين الذينَ ذكرهم اللهُ في كتابه وعرَّفَنا بهم على سبيل التفصيل.

---

(١) مفاتيح الغيب، (١١٠/١٨).

(٢) الرسل والرسالات، عمر الأشقر، (٣٠/١).

(٣) السهل في عقيدة أهل الإيمان، زكريّا شحادة، (ص٨٤).

(٤) الإيمان، محمد ياسين، (ص ٤٤).

(٥) لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، (٣٥/١).

ثالثاً: وظائف الرُّسُل ومهمّاتهم والتوجيهات التربويَّة المترتِّبة على ذلك:

١. البلاغ المبين:

إنَّ الله سبحانه بعث الرُّسُل ليبلِّغوا رسالات ربهم وتعاليم خالقهم، والواجبُ على الناس الاتّباع والتصديق، وإن لم يستجِب النّاس فإن دور الرَّسول قد تمّ وهو البلاغ المبين، فليس للرسول أن يُجبِرَ النَّاس على الإيمان به، واتباع رسالته، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٥٤].

٢. الدّعوة إلى الله:

إنّ أنبلَ وظيفةٍ من وظائف الرُّسُل هي الدعوة إلى الله سبحانَه وتعالى، وهي الوظيفة الأساسيّة للرُسُل، وما أرسَلّ اللهُ الرُّسُلَ إلا لِيُعَرِّفُوا الناسَ بربِّهم الكريم، ويدعوهُم إلى توحيده وعبادتِه وطاعتِه، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣. التبشير والإنذار:

يأتي الرُّسُلُ إلى النّاس بأمرين: البشارة، والنَّذارة، تبشير المؤمنين بالخير والسعادة في الدنيا، والنجاة من النار والفوز بالجنة ورضوان الله في الآخرة، وإنذار الكافرين بالشقاء والخُسران والهلاك في الدنيا، ودخول النّار على التأبيد في الآخرة. قال تعالى: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٨-٤٩].

٤. إصلاحُ النفوس وتزكيتُها:

الرُّسُل لم يتركوا خيراً إلا ودلّوا النّاسَ عليه، وما تركوا من شرٍّ وإلا وحذّروا النّاسَ منه، ومن ذلك إصلاحُ النُّفوس وتزكيَتُها وتَطهيرُها، فدعوة الأنبياء شاملة لكل ما يُصلِح أحوال النّاس. إن تطهيرَ النُّفوس وتزكيَتَها أمرٌ سامٍ وهدفٌ نبيل كان لدعوةِ الأنبياء فيه نصيبٌ عامرٌ، وتعليمات وافرة كثيرة، يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]. والتزكية تعني: تطهير النفوس من الأخلاق الذّميمة، ونَزْعُ العادات الرَّديئة، وتعويدُها الأعمالَ الحَسَنة التي تطْبَعُ في النّفوسِ مَلَكاتِ الخير، ويُبَغِّضُ إليها القبيحةَ التي تُغْرِيها بالشرّ[١].

٥. تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة:

---

(١) تفسير المنار، (٣٨٩/١).

عندما ينتهي عصر رسولٍ ما، وتطول فترة انقطاع الرُّسل، ينحَرِفُ النّاسُ عن منهج الرّسل، وتزيغ الأهواء عن الصراط المستقيم، وتطفو على السّطح عقائدُ زائفةٌ انحرف بها النّاس عن العقيدة السليمة، وتخرُج أفكارٌ رديئةٌ ناتجةٌ عن العقائد الباطلة، أو ربّما تكون العقائدُ الباطلة هي نتاج تلك الأفكار الرديئة؛ هنا يكون النّاسُ أحوجُ ما يكونون لعملية إنقاذ عاجلة تنتشل البشريّةَ من الغرق في بحار الظلام، فتأتي الرسالاتُ رحمةً من عند الله بالنّاس، ونوراً يُنْقِذُهم من غياهِبِ ظلمات الكفرِ إلى شواطئِ الإيمان والسعادة بالخضوع لرب الأرض والسماء واتّباع هدي الرّسل والأنبياء.

وإن من وظائف الأنبياء دحض العقائدِ الباطلة، وتقويم الرؤوس المُعْوَجّة الفِكرِ والتفكير، فيقوم الرُّسل بتوضيح العقيدة السليمة للناس وتقديم الشواهد والأدلّة على صحتها وعلى بُطلان ما سواها، وأيضا يُعالِجُ الرّسل انحراف الفِكر سواءٌ كان في تصوراتِه في الكون والوجود، وفي الجانب الاجتماعي، والأخلاقي، والتشريعي، والتربوي.

إن الإسلام وضع للناس المنهجيّات السليمة والقواعد المنطقيّة في التفكير، والتي من خلالِها تنتظم حياة الناس وشؤونهم، وبتطبيقها تنفتح آفاق الكون وعلومُه وأسرارُه، إذ أن قوانين الرياضيّات والفيزياء التي قامت عليها الثورة العلمية الحديثة هي من جُملةِ النِّظام الذي وضعه الله في الكون والأحياء. وما وَصَل الغرب إلى هذه النهضة العلمية إلا بعدَ أن أكملوا مسيرةَ علماءِ الإسلام وما سبقوا إليه من علوم في الرياضيات والأحياء والفلك، فالإسلام والقرآن أطلقا العنان للتفكير السليم المنطقي عند المسلمين، وهم بدورِهم انطلقوا ونبغوا ووصلوا إلى أسرار ومعارف لم يسبقهم إليها أحد، وباحتكاك الغرب بنا وحملاتهم الاستشراقية والعسكرية، بدأ الغرب ينتقلون من التخلّف العقلي إلى التفكير العلمي السليم، فكان أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ونحن تخلَّفنا!.

٦. إقامة الحجّة:

إن الله سُبحانه لا يعذّبُ أحداً إلا بعد أن يستحق العذاب وبعد أن يقيم الحُجة عليه، وهو سبحانه أرسلَ الرسل إلى البشر ليعرفوا به وبمصيرهم، وهو بذلك أقام الحُجة عليهم، قال تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٥].

٧. سياسة الأمة:

طبيعة النّاس أنهم يحتاجون إلى من يسوسُهم ويقودُهم ويوجّههُم إلى الخير وتدبير أمورهم وشؤونهم في حياتهم ومعيشتهم، والرُّسُلُ أفضلُ من يقوم بهذه المُهمة، وأفضلُ من يقودُ الناسَ

ويسوسُهم هم الأنبياء والرُّسل؛ لأنهم معصومون ولا يوردون الناس المهالِك، وهُم لا يخونون أماناتهم التي ائتمنهم الله عليها، فكيف بسياسة الناس؟

والرُّسل يحكمون بين الناس بحُكم الله، حيث يقولُ الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾ [ص: ٢٦]. وبنو إسرائيل كانت تسوسُهم أنبياؤهم، ويحكمون بينهم بالتوراة، في الحديث: "كانت بنو إسرائيل تسوسُهم الأنبياء، كُلَّما هلك نبيٌّ خَلَفَه نبيّ"[١]، فالرُّسل وأتباعُهم من بَعدِهم يحكُمون بين الناس، ويقودون الأمة في السِّلم والحرب، ويَلونَ شؤون القضاء، ويقومون على رعايةِ مصالحِ الناس، وهُم في كلِّ ذلك عاملون بطاعة الله، وطاعتُهم في ذلك كُلِّه طاعةُ لله ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠][٢].

(١) صحيح البخاري، (١٦٩/٤)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٥).

(٢) انظر: الرسل والرسالات، الأشقر، (٥٤/١).

المطلب الثاني:

بيان شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية قومه

الله سبحانه وتعالى لما اختار الرسل، اصطفاهم على النّاس كافّة، فكانوا أفضل النّاس في جميع الصفات، ثم إن الله سبحانه فاضل بين الأنبياء، فكان أفضلُهم أولوا العزم من الرّسل، وأفضلُ أولي العزم نبيُّنا محمدٌ عليه أفضلُ الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [الحج: ٧٥]، ويذكر النبيّ محمدٌ صلى الله عليه وسلم كيف أن اللهَ الحكيمَ العليمَ اصْطَفَاهُ من البُطون والقبائل اصطفاءً بعد اصطفاء، حتى بعَثَ اللهُ سبحانه لنا أفضلَ خلقِه وهو النبيّ الكريمُ الجميلُ النبيلُ محمدٌ سيدُ الكونين والثقلين والفريقين من عُربٍ ومن عَجَمٍ صلى الله عليه وسلم، في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله اصطفى كِنانةَ من ولدِ إسماعيل، واصطفى قُرَيشاً من كنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(١). وامتاز نبيُّنا الكريمُ بكثيرٍ من الصفات النبيلة، بل إنه تَرَبّع على عرشِ كريمِ الصفاتِ وجميلِها، وسنقف هنا مع صفة من صفات الرحمة المهداة للعالمين وهي شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية قومه:

لمّا كلّف الله رسوله الكريم بالرسالة، قام النبي صلى الله عليه وسلّم يدعو قومه، وينذرهم من عذاب الله والنَّار إن لم يؤمنوا، ولم يكن همّه أن يقوم بالإنذار وحسب، بل كان شديدَ الرحمةِ والرأفةِ والشَّفَقَةِ على قومه، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: "يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ"(٢).

نرى في هذا الحديث كيف أن النبي صلى الله عليه وسلّم حريصٌ جداً على إسلام أهله، فهو مستعدٌّ لأن يضحي بماله في سبيل أن يُسلموا، ويُخبرُهم أنه لن يُغني عنهم من الله شيئاً، فنلمس في كلمات النبي صلى الله عليه وسلّم الشَّفَقَة على قومه وأهله، والنُّصحِ لهم، والحِرص على إسلامهم.

وفي مشهد آخر تَعَرَّضَ فيه لقريش كلِّها، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلّم على الصّفا،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، (١٧٨٢/٤)، حديث رقم (٢٢٧٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين"، (١٩٢/١)، حديث (٢٠٥).

فجعل ينادي: "يا بَنِي فِهْر، يا بني عَدِيّ" -لبطون قريش- حتى اجتمعوا فَجَعَل الرّجُلُ إذا لم يستطِع أن يَخْرُجَ أَرْسَلَ رسولاً لِيَنظُرَ ما هو، فجاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيش، فقال: "أَرَأَيْتَكُم لو أخبرتُكم أن خيلاً بالوادي تُرِيدُ أن تُغيرَ عليكم، أَكُنتُم مُصَدّقيّ؟" قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صِدقاً، قال: "فإني نذيرٌ لكم بين يدَيْ عذابٍ شديد" فقال أبو لهبٍ: تبّاً لك سائر اليوم، ألِهذا جَمَعْتَنا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾ [المسد: ٢][١].

من هذين الحديثين ندرك حرص النبيّ صلى الله عليه وسلم على إيمان قومه، وعلى نجاتهم من عذاب الله. ثم إنه صلى الله عليه وسلّم كان يطوف عليهم بطناً بطناً يدعوهم إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده، وترك ما هم عليه من الشرك والكفر، ويلقى في سبيل ذلك ما يلقى من الأذى والشتم، وأغرَوا برسول الله صلى الله عليه وسلّم سفهاءَهُم فكذّبوه وآذَوه ورّمَوه بالشِعْر والسِّحْر والكَهَانة والجُنون[٢]، ورسول الله صلى الله عليه وسلم صابرٌ مُحْتَسبٌ يتحمّل أَذاهُم لعلّهم يُسلِموا ويَدْخُلوا في الإسلام، ولكنَّهم ما كانوا يَزِيدُون إلا إعراضاً وأذىً.

وفي سورة فاطر يصفُ اللهُ سبحانَه وتعالى حال النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حِرصه على قومه أصابه الوَجدُ والحُزن والأسف الشديد على عدم إسلام الكثير منهم؛ لأنه صلى الله عليه وسلّم كان مُتَلَهِّفاً على إسلامهم، فقال له الله سُبْحانه وتعالى: ﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾ [فاطر: ٨]. يقول: "فلا تُهْلِك نَفْسك حُزْناً على ضلالتِهم وكُفرِهم بالله وتكذيبِهم لك"[٣].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. النبي محمد صلى الله عليه وسلم حاز من الصفات أعلاها، وتربَّعَ على عرشِ الأخلاق النبيلة، ومن هذه الصفات حب الخير والهداية لجميع الناس، وحصول الوجد والحزن والأسى منه على عدم إسلام من لم يسلم منهم.
٢. النبي محمد صلى الله عليه وسلم نال من قومه الأذى، وصَبَرَ كثيراً حتى مكَّن الله لدعوته أن تعمَّ أرجاء جزيرة العرب.
٣. من خلال قوله تعالى: ﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾، ندرك توجيه اللهِ سبحانَه وتعالى لنبيِّه الكريم، وتسديدِه في محطَّات الدعوة المختلفة، وكان لهذا الأثر البالغ على

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك}، (١١١/٦)، حديث (٤٧٧٠).

(٢) انظر: تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، (٧٩/١).

(٣) جامع البيان، (٤٤١/٢٠).

النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الدعم النفسي، ومن حيث التقويم لسلوك النبي في موقف معيَّن.

٤. ينبغي للدعاة أن يدرسوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم جيداً، ويتعلّموا أخلاق النبوّة في الدعوة إلى الله، إذ ليست الدعوة كلماتٍ تلقى على المنابر، ودروس تترى في المدارس والمكاتب فَحَسْب، إن الداعية قلبٌ ينبض بحُب الله أولاً، ثُم هو يتحمّل أمانةً عظيمة في إيصال الدين إلى الناس، وفي نفس الوقت مشحونٌ بمعاني الخير والرحمة والشفقة على الناس، فهو كالطبيب لهم يداوي جراحَهُم ويمسَحُ آلامهم ويفتح لهم سُبُل الخير والخلاص.

المطلب الثالث:

نفي الهداية والإضلال عن النبي صلى الله عليه وسلم

إن وظيفة الرسل هي البلاغ وإيصال الرسالة للبشر، ولم يكلّفهم الله سبحانه بأن يؤمن كلُّ فردٍ تصلُ إليه الدعوة، فأمر الهداية والضلال إنما بيد الله سبحانه وتعالى، له في ذلك الإرادة الكاملة والحكمة التامّة، فإنه يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [فاطر: ٨].

ويذكر الله في أمر الهداية والضلال أنهما بيده سبحانه في سياق تحسُّر النبي صلى الله عليه وسلّم على من لم يؤمن من قومه؛ فيذكرُ اللهُ له أن هذا الأمرَ ليس إليك يا محمد، إنما ذلك الأمرُ إليّ أُضِلُّ من أشاء وأهدي من أشاء، فلا تحزنْ عليهم كثيراً.

أما الهداية التي يقوم بها الأنبياء والرسل وأتباعُهم من الدعاة، فهي هدايةٌ إرشاديةٌ دلاليةٌ يرشدون الناس معها إلى الطريق الصحيح، ويَدُلُّونَهم على الخير، ويُعَرِّفونهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم. وتَبقى هداية التوفيق على الله، وهي أنْ يَسْلُكَ الله بقلب العبد لدخُولَ نور الإيمان في قلبه، ويهديَ قلبَه لقبولِ ما يأتي به الأنبياء ثم يهديَه للانقياد له، فأخبر الله أن هذا الأمر لا يملكه أحد من الناس ولا حتى الأنبياء والرُّسُل، إنما هو للمَلِكِ الذي بيده قلوب العباد يُقَلِّبُها كيف يشاء.

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. معرفةُ العبدِ أن الهدايةَ بيد الله سبحانه لا يملكُها غيرُه يجعله يطلبها من مولاه سبحانه؛ فيدعو العبدُ ربَّه أن يرزقَه الهداية، وأن ينقذه من جميع أنواع الضلالات والانحرافات، من ظُلُمَات الكُفْر والشِّرْك، ومن ظلمات الفُسوق والمعاصي، ومن ظلمات الشهوات والشبهات.

٢. تجعل العبدَ يخشى على نفسِه من الرجوع عن الهداية إلى الضلال؛ لأن القلوب تتقلب كثيراً، وقد ينقلب حال العبد في أي لحظة، وكم من أُناسٍ كانوا على طريقِ الهدايةِ ثم لم يَلْبَثُوا أن انْقَلَبوا على أعقابِهم، فحريٌّ بالعباد أن يشكروا ربَّهم على نعمة الهداية، ويلجأوا إلى ربهم أن يرزقهم الثبات على الهداية، والدوام على الطاعة والأعمال الصالحة، ولذا سُئلت أم سلمة: يا أُم المؤمنين ما كان أكثرُ دعاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عِندَكِ؟ قالت: كان أكثر دعائه: "يا مُقَلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك". قالت: قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك "يا مُقَلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك"؟ قال: "يا أُمّ سَلَمة

إنه ليس آدَميّ إلا وقلبُه بين أصبُعَين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ"[1].
ربّنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

٣. تسدُّ باب الشِّرك والالتجاء لغير الله واتخاذ أولياء من دون الله، إذ لو كانت الهداية والإضلال بيد آحاد النّاس لأصبح النّاس يتولّون بعضهم البعض من دون الله، ولانحرف كثير منهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى.

٤. هذه العقيدة تُريحُ قلبَ النبي صلى الله عليه وسلَّم والدعاة من بعدِه؛ فليسَ مطلوباً من الأنبياء والدعاة أن يُدخِلوا الهداية في قلوب البشر؛ لكن مُهمَّتُهم الدعوةُ والبلاغ فقط، ومن سنة الله في عبادِه وجود المهتدين والضالين.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، (٥/٥٣٨)، حديث رقم (٣٥٢٢)، قال الترمذي: "وهذا حديث حسن"، وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/١٢٦).

المطلب الرابع:
تسلية النبي صلى الله عليه وسلم

لاقى النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم في دعوته الكثير من الأذى والابتلاءات من قومه، فقد كذّبوه في دعوته، وسفّهوه، واتهموه بالشِّعر والكهانة والسِّحر والجنون، وأعرض أكثرهم عن الإيمان به، فكان ذلك يُحزِنُ النبيّ صلى الله عليه وسلّم، يقول تعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٣]، و"الذي يقولون" لفظٌ يعُمُّ جميع أقوالهم التي تتضمّن الردّ على النبي صلى الله عليه وسلّم والدفع في صدر نبوته، كقول بعضِهم إنه كذّاب، مُفْتَر، ساحر، وقول بعضهم إنه مجنون مسحور، وقول بعضهم به رئي من الجن ونحو هذا[١].

فكان القرآن في آيات كثيرة وقصص متنوعة ينزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيكون فيه تسليةٌ لقلبه، وتخفيف عنه بذكرِ أخبارِ الرُّسلِ مع أقوامهم، فحين ينزل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ [فاطر: ٤]. يُعَزّي اللهُ سُبحَانه نبيّه صلى الله عليه وسلّم فيقول له: وإن يُكَذّبوكَ فقد كُذبَت رسلٌ من قبلك ليتأسى بمن قَبله من الأنبياء ويَتَسَلَّى عن تكذيب كُفّار العرب له، وإن استمر هؤلاء في تكذيبك يا محمد فيما بلّغت إليهم من الحق المُبين بعد ما أقمت عليهم الحُجّة وألقمتَهم الحجرَ فتأسَّ بأولئك الرُّسلِ في المُصابرة على ما أصابهم من قِبَلِ قومهم[٢].

التوجيهات التربوية المستنبطة:

١. أن النبيّ صلى الله عليه وسلّم له فيمن قبله أسوة في الصبر والمصابرة على ما أصابهم من أقوامهم، وقد ظهر هذا جليّاً في سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: لمّا كان يومَ حُنَين، آثر النبيّ صلى الله عليه وسلّم أُناساً في القِسْمَة، فأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ مائةً من الإبِلِ، وأعطى عُيَيْنَةَ مثْلَ ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثَرَهُم يومَئذٍ في القِسمة، قال رجلٌ: والله إن هذ القِسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُرِيدَ بها وَجْهُ الله، فقُلْتُ: واللهِ لأُخْبِرَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُه، فَأَخْبَرْتُه، فقال: "فمن يَعْدِلُ إذا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ ورسولُه، رَحِمَ اللهُ موسى قدْ أُوذِيَ بأكثَرَ من هذا فصبر"[٣].

---

(١) المحرر الوجيز، (٢/٢٨٥).

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٨٨)، وانظر: تفسير أبي السعود، (٧/١٤٣).

(٣) صحيح البخاري، (٤/٩٥)، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، حديث رقم (٣١٥٠).

فقد علِم النبيّ صلى الله عليه وسلم ما أصاب موسى عليه السلام من قومه وكيف صبر عليهم، فكان الأنبياءُ أُسوةً للنبيّ صلى الله عليه وسلم.

٢. جميل القصص والأخبار المليئة بالأعاجيب والحِكم والفوائد مما يُسَرّي عن النبي صلى الله عليه وسلّم ويستريح فؤاده لها، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنه قال نهاية قصّة موسى والخضر عليهما السلام: "يَرحمُ اللهُ موسى، لَوَدِدْنَا لو صبر حتى يُقَصَّ علينا من أَمْرِهِما"[(١)]، "لأنه لو صَبَرَ لَأَبْصَرَ أَعْجَبَ الأَعَاجِيب"[(٢)]، "فأحبَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن لو صبرَ موسى عليه السلام مع العبد الصالح، ولَزِمَه مُدّةً أكثر حتى يُقَصَّ علينا أشياءُ كثيرةٌ مما وَقَعَ لهُما"[(٣)]. وفي قصّة يوسف عليه السلام من الوقائع والمحطّات الراقية ما أعجبَ النبيَّ صلى الله عليه وسلّم، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولو لبثتُ في السّجن ما لَبِثَ يوسُفُ لأجبتُ الداعي"[(٤)]. وعنه رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿**فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كُنْتُ أنا لأسرعتُ الإجابةَ، وما ابتغيتُ العُذر"[(٥)]. وفي أثرٍ آخر قال: "لقد عجِبتُ من يوسُفَ وصَبْرِهِ وكَرَمِه، واللهُ يَغْفِرُ له، حين أتاه الرسول، ولو كُنْتُ مكانَه ما أَجَبْتُهم حتى أَشتَرِطَ أن يُخْرِجوني. ولقد عجِبتُ من يوسفَ وصبره وكرمه، والله يغْفِرُ له، حين أتاه الرسول، ولو كنتُ مكانَه لبادرتُهُم الباب، ولكنّه أراد أن يكونَ له العُذْر"[(٦)]. فالنبيّ صلى الله عليه وسلّم يثني على يوسفَ عليه السلام، وفيه بيان لصبره وتَأَنّيه فلم يخرُجْ مبادراً إلى الرّاحة ومُفارقة السّجن الطويل، بل تثَبّت وتَوَقَّرَ ورَاسَلَ المَلِك في كَشْفِ أَمْرِهِ الذي سُجِنَ بسببه، ولِتظهَرَ براءتُهُ عند المَلِك وغيرِهِ ويَلقاهُ مع اعتقادِه براءَتُه مما نُسِبَ إليه، وأراد أن يخرُجَ خروجَ من له الحُجّة لا خروج من عُفيَ عنه، فبيّن النبيّ صلى الله عليه وسلم فضيلةَ يوسفَ في هذا، وقُوّةَ نَفْسِه في الخير، وكمال صبره وحُسنِ نظره، وقال

---

(١) صحيح البخاري، (٥٦/١)، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، حديث رقم (١٢٢).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، (٢١٧/١).

(٣) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم، (٢٢٤/١).

(٤) صحيح مسلم، (١٣٣/١)، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث رقم (١٥١).

(٥) مسند أحمد، (٢٢٨/١٤)، مسند أبي هريرة، حديث رقم (٨٥٥٤)، قال عنه شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٦) تفسير عبد الرزاق، (٢١٦/٢).

النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن نفسِه ما قاله تواضُعاً وإيثاراً للإبلاغ في بيانِ كمالِ فضيلةِ يوسف عليه الصلاة والسلام[١].

٣. اقتداء النبيّ صلى الله عليه وسلّم بالأنبياء في هديهِم في تبليغ الدعوة وفي شؤون حياتهم، وقد أمر الله سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بالأنبياء عموماً، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠]، فأمره أن يقتدي بالأنبياء الذين هداهُمُ الله لدينه الحقّ، وحِفْظِ ما وُكِّلوا بحفظِه من آيات كتابه والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فأمره أن يقتدي بهُداهم في العمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا [٢]، وبالتالي فإن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن وحيداً في هذه الطريق، بل له سلف فيمن سبقه من الأنبياء، يقتدي بهم، ويهتدي بهُداهم، ويستأنِسُ بخُطاهُم، ويستنير من نورهم في مشقات وآلام ومِحَن طريقِ الدعوة.

٤. في كثير من القصص في القرآن يلتفت الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن، مرة بوعده بالنصر كما نصر الأنبياء من قبل، ومرة بتأكيد أنه من المرسلين وما فيها من التسلية عنه، إلى غير ذلك من الالتفاتات الجميلة، يقول تعالى في سورة هود بعد أن انتهى من قصة نوح عليه السلام وما حصل من إهلاك قومه: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود: ٤٩]، فيأمره بالصبر ويبشره بأن العاقبة للمتقين بعد أن أراه كيف أهلك قوم ثمود وأغرقهم. وفي سورة القصص، بعد أن ذكر من أخبار موسى عليه السلام، التفت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلّم، فقال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [القصص: ٤٤-٤٦]، ولا يخفى ما في الالتفات من أثر طيب على النّفس، وإبداع في إيصال المعاني.

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١٨٥/٢)، وانظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، (٣٥٩/٣).

(٢) انظر: جامع البيان، (٥١٩/١١).

المطلب الخامس:

تصديق القرآن لما تقدمه من الكتب والرسالات

تَنَوَّعَتْ مُعجزاتُ الأنبياءِ وآياتُهم التي صدّقت رسالاتِهم ونُبُوّتَهم، لكنّها كانت مُعْجِزاتٍ ماديّةً يقتَصِرُ تأثيرُها في من يعاينُها ويُعاصِرُها، وكذلك الكُتُب السماويّة السابقة كانت خاصّة بأولئك الأقوام التي نزلَت فيهم، وذلك لأن رسالات جميع الأنبياء كانت خاصة _عدا رسالة رسولنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

فجاء القرآن مُعْجِزَةُ اللهِ الفريدة الخالدة، التي لم يُحدِثِ اللهُ مثْلَها مُعْجِزةً، ولم يُنْزِلِ اللهُ مثلَه كتاباً، لم تعْرِف البشريّةُ مثلَه في فصاحتِه، وبلاغتِه، وإعجازِه، وأخبارِه، وصدقِه، وعَدلِه، جاء ليُناسب هذه الرسالة العامة.

جمع بين أن يكون كتاباً لهذه الأمة، وبين أن يكون مُعجِزةً تُنال دونها الثُّرَيّا، وتَخْفَى دونَ بلوغِ أدنى درجاتِ فصاحته ألسنةُ الأنام، وبين أن يكون خالداً في النّاس إلى يوم القيامة صالحاً لكلّ زمان ومكان.

جاء القرآنُ واختصَرَ الزمانَ والمكانَ، اختَصَر الماضي والحاضِر، واختزلَ الأزَلَ والأبَد، واستوعَبَ في صفحاتِه أكواناً، وأعماراً، وأمماً، وحضاراتٍ، وطوى في حروفِه وكلماتِه أسراراً تفنى دون استخراجِ مكنوناتِها الأعمار.

ثم كان ختاماً شريعةً ومنهاجَ حياةٍ كاملاً شاملاً، لا تستقيمُ حياةُ الناس دونَه، بل يتجرَّعون الشَّقاء إن هُمْ أعرضوا عنه، ومن اتَّبَعَ هداه كان من الفائزين المُفلحين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

القرآن والكتب السابقة:

بما أن القرآن كلام الله، وأُنزل من عند الله، فلن يوجد تعارضٌ بينه وبين الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء السابقين، لأن الكل من عند الله، وهذا يتضمن أمور الإيمان بالغيب كالإيمان بالله والملائكة والرسل واليوم الآخر والقدر، وكذا فضائل الأخلاق والمعاملات، مع الاختلاف والنسخ للشرائع في تفريعاتها، فالقرآن فيه خلاصة العقائد والأخلاق الموجودة في كل الكتب السماوية.

فكان القرآن مصدّقاً للكتب السابقة، يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [فاطر: ٣١].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. القرآن مصدِّقٌ لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقق ما جاءت به رُسل الله من عندِه؛ لأن مُنْزِلَ جميعِ ذلك واحدٌ، فلا يكون فيه اختلاف، ولو كان من عند غيره كان فيه اختلافٌ كثير[١].

٢. هذا يُكسِب المؤمن شعوراً بالاستعلاء بالحق والحُجَّة والبيان على أهل الملل والنِّحَل الأخرى؛ بسبب إيمانِه بالقرآن العظيم الذي هو مصدِّقٌ للكتب السابقة ومهيمنٌ ورقيبٌ عليها.

٣. معرفةُ ذلك يجعلُ المؤمنَ مُعَظِّماً لكتابِ اللهِ متمسِّكاً به؛ إذ به يهتدي المؤمن إلى صراطِ الله المستقيم، ويفوزُ في الآخرةِ بالرضوان وجناتِ النعيم.

٤. القرآن مصدقٌ للكتب السابقة وموافقٌ لها في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع، في هذا دليلٌ على وحدةِ الرسالات والنبوات في المُجْمَل، وأنها من عند الله سبحانَه الذي خلق الخلقَ ولم يتركهم هملاً ولا سدىً، بل أرسلَ إلأيهم الأنبياء وأنزل عليهم الكتب والرسالات رحمةً بهم من الضلال.

٥. تصديقُ القرآن للكتب السابقة وتصديقُها له يُثبتُ صحة نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصدقَه في رسالته؛ لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن مُوافِقاً لسائر الكُتُب، والنَّبي صلى الله عليه وسلّم كان أميّاً لم يختلط بأحدٍ من العلماء، ولم يَتَتَلْمَذْ على أحد، ولو كان مفترياً -وحاشاه- لم يَسلَم من الكذب والتّحريف، فلمّا لم يكن كذلك ثَبَتَ أنّه إنما عرف هذه القَصَص بوحي الله تعالى[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٦٠/٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٣١/٧).

المبحث الرابع:

الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية العقدية في ضوء سورة فاطر

وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: أسلوب التوكيد.
- المطلب الثاني: أسلوب النداء.
- المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام.
- المطلب الرابع: أسلوب الأمر النهي.
- المطلب الخامس: أسلوب التشبيه.
- المطلب السادس: أسلوب الترغيب والترهيب.
- المطلب السابع: أسلوب القصر.
- المطلب الثامن: أسلوب التقديم والتأخير.

المطلب الأول:
أسلوب التوكيد

يُعتبر أسلوب التوكيد من الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم بصورة كبيرة، وهو من الأساليب التي تؤدّى بمقال يناسب المقام، وقد راعى القرآنُ ذلك أدقّ المُراعاة في جميع ما وردِ من مواطن التوكيد، حيث كان دقيقاً في اختيار الألفاظ المؤكدة ووضعها في موضعها المناسب في تَفَنُّنٍ مُتْقَن.

"والقرآن نزلَ على لسانِ العرب، وفي لسانِهم التأكيد والتكرار، وخطابُه أكثر، بل هو عندَهم معدودٌ في الفصاحةِ والبراعة"[١].

أولاً: التوكيد لغةً واصطلاحاً:

١. **التوكيد لغةً**: وَكَدَ: وكّدَ العقْدَ والعَهْدَ: أَوْثَقَه، والهمزُ فيه لغةٌ. يقال: أوكدتُه وأكّدْتُه وآكَدْتُه إيكاداً، وبالواو أفصَح، أي شَدَدْتُه. وَوَكّدَ الرّحْلَ والسّرْجَ تَوْكيداً: شَدَّه[٢].

٢. **التوكيد اصطلاحاً**: "التأكيد تابعٌ يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله"[٣].

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

في سورة فاطر تعددت الآيات التي استُخدِمَ فيها أسلوب التوكيد نذكرُ منها:

١. قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١].

في هذه الآية الحديثُ عن خلقِ الملائكة الكرام، ولم تُفَصِّل آية في خَلق الملائكة كما فصَّلَت هذه الآية، وخَلقُ الملائكةِ خلقٌ عظيم من خَلقِ اللهِ وشاهدٌ كبيرٌ على قدرَتِه سبحانه وتعالى، "والآية مطلقةٌ تَتَناولُ كلَّ زيادةٍ في الخَلْقِ: من طُولِ قامةٍ، واعتدال صُورةٍ، وتَمامٍ في الأعضاء، وقوةٍ في البَطْشِ، وحَصافةٍ في العقل، وجَزالةٍ في الرَّأي، وجَراءةٍ في القَلْبِ، وسَماحةٍ

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٣٨٤/٢).
(٢) انظر: لسان العرب، (٤٦٧/٣).
(٣) التعريفات، (٥٠/١).

في النَّفسِ، وذَلاقَةٍ في اللسانِ ولَباقةٍ في التَّكلُّمِ، وحُسْنِ تَأَنٍّ في مُزاولةِ الأمور، وما أشْبَهَ ذلك مما لا يُحيطُ به الوصفُ"(١)، فجاء بأسلوبِ التوكيد على قدرَتِه سبحانَه وتعالى هذه الأمورِ وغيرها.

٢. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ [فاطر: ٤١].

هنا يذكُرُ اللهُ سبحانَه أنَّه يمسك السماوات والأرض ويحفظهما من أن تزولا، وأنَّه لا يقدرُ أحدٌ على إمساكِهما بعد. قال الرازي: "وقد جاء ذلك عَقِيبَ الحديثِ عن الشُّركاء، وفيه قد نفى أنهم خلقوا من الأرض شيئاً، ولا في السماءِ جزءاً ولا قدروا على الشفاعة، فلا عبادة لهم"(٢)، فجاء بالحديث عن قدرة اللهِ سبحانه وتعالى في إمساكِ السماوات والأرض، "وأكَّدَ هذا الخبرَ بحرفِ التوكيدِ لتحقيقِ معناه وأنَّه لا تَسَامُحَ فيه ولا مُبالغة"(٣)، وهي حقيقةٌ حريَّةٌ بالتأكيد؛ لشدَّة انحراف المشركين عنها.

ثالثاً: فوائد أسلوب التوكيد وأهميَّته:

للتوكيد فوائد عديدة، أهمها:

١. رفعُ الشكِّ، وتقويةُ الكلام وترسيخُ المعنى في عقلِ المُخاطَب، وإزالةُ احتمالِ عدمُ إرادةِ هذا المعنى.

٢. يأتي التوكيدُ في القرآن لتثبيت معانٍ كثيرة، منها: "معارضةُ مواعيدِ الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطِلة لقُرنائِه بوعدِ الله الصادق لأوليائه"(٤).

٣. ومن فوائد التوكيدِ في القرآن، ترغيبُ العباد في إيثار ثوابِ الآخرة الباقي، على متاعِ الدنيا الفاني.

٤. "إظهار كمال الاعتناء بالمعنى المراد ترسيخُه"(٥)، من خلال استخدام أسلوب التوكيد في إبرازه.

٥. لأسلوبِ التوكيدِ أهميَّةٌ كبيرة في المجادَلةِ والمُحاجَّةِ مع المُعانِدينَ والجاحِدين، ففي قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إليكم لمرسلون**﴾ [يس: ١٦] عن رُسُلِ عيسى، وذلك أن الكفارَ

---

(١) الكشاف، (٥٩٦/٣).

(٢) مفاتيح الغيب، (٢٤٥/٢٦).

(٣) التحرير والتنوير، (٣٢٧/٢٢).

(٤) انظر: الكشاف، (٥٦٧/١).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٧١/٦).

نَفَوا رسالَتَهم بثلاثةِ أشياءَ، أحدُها قَوْلُهم: "ما أنْتُم إلا بَشَرٌ مِثْلُنا"، والثاني قَوْلُهم: "ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ من شَيء"، والثالث قولهم: "إنْ أَنْتُمْ إلا تَكْذِبون"، فقوبِلوا على نَظِيرِه بثلاثةِ أشياءَ، أحدُها قولُهم: "رَبُّنَا يَعْلَمُ" ووجه التأكيدِ فيه أنه في معنى قَسم، والثاني قوله: "إنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُون"، والثالث قولُه تعالى: "ومَا عَلَيْنَا إِلَّا البَلاغُ المُبينُ"(١).

ثانياً: أسلوب النداء:

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم أسلوبُ النِّداء، ولأُسلوبِ النِّداء ما يُميِّزه في الاستخدام عن غيره من الأساليب، وله إفاداتُه التي يضفيها على أسلوب الكلام فيخرج في صورة مناسبة لما يدورُ في نفسِ المُتَكلِّم.

أولاً: تعريف النداء:

١. **النداء لغةً:** اشتقاقُه من ندى الصوت هو بُعدُه، يقال: فلانٌ أندى صوتاً من فلان، إذا كان أبعدَ صوتاً منه(٢)، وهو رفعُ الصوتِ وظُهورُه، وقد يُقال للصَّوتِ المُجَرَّد، ويُقال للمُرَكَّب الذي يُفْهَم منه المَعنى، والنِّداء للاستحضار دون تَحقيق المعنى(٣).
٢. **النداء اصطلاحاً:** "هو طلبُ المتكَلِّم إقبالَ المخاطَب عليه بحرفٍ نائبٍ مَنابَ "أُنادِي" المَنقُولِ من الخَبَرِ إلى الإنْشاء"(٤).

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

ورد أسلوب النداء في سورة فاطر في أربعة مواضع وهي:

١. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر: ٣]. يأمُرُ اللهُ الناسَ أن يذكُروا نِعَمَ الله عليهم ليستدلُّوا بها على وَحْدَتِه في أُلوهِيَّتِه؛ لأنه المُنْفَرِدُ بإرسالِها وحدَهُ، ولا يَصِحُّ لِمَن انْفَرَدَ بالإِنْعَامِ أن يُشرَك مَعَه غَيْرُه، لأنَّه كُفْرَانٌ له مُوجِبٌ لِغَضَبِه(٥). واستخدَمَ أسلوبَ النِّداء وأداته "يا". "وأصلُ النداء بيا أن يكون للبعيد حقيقةً أو حكماً، وينادى بها للقريب

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٣٩٠/٢).
(٢) انظر: مختار الصحاح، (٣٠٧/١).
(٣) انظر: لسان العرب، (٩٠٧/١).
(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، (٨٩/١).
(٥) انظر: محاسن التأويل، (١٦٠/٨).

لنكتة، فالنداء هنا بقوله: "يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم" بسبب كون الخطاب المتلوّ معتنىً به"[١].

وفي اختيارِ "يا" للنِّداء، وهي عندَ بعضِ أهلِ العِلمِ لِنداء البَعيد، "للدَّلالةِ على أَنَّ المُنادَى فيه شيءٌ من البُعْدِ بالمَعصية والذُّنوبِ عن المُنادِي جلَّ جَلالُه، فعليه أن يُصغِي لِمَا يُنادَى عليه به ليَزْدَادَ بهذه الطَّاعةِ قُرْبَاً"[٢].

٢. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥]. "يُقرِّرُ اللهُ سبحانه وتعالى عجزَ البشَر وافتقارَهم إليه في جميع أمور الدين والدنيا، وفي كل حال على الإطلاق"[٣]، و في ذات الأمر يُقرر غِناهُ عنهم وعن عبادَتِهم وطاعاتهم وأعمالِهم؛ فإنهم إنما يعملون العبادات لأجلِ أنفسهم ونجاتها.

قال الزَّمخشري وغيرُه: كرَّر في القرآن النِّداء ب "يا أيها" دون غيرِه، لأنَّ فيه أوجهاً من التأكيد، وأسباباً من المبالغة: منها ما في "يا" من التأكيد والتنبيه، وما في "ها" من التنبيه، وما في التَّدرُّج منَ الإبْهامِ في "أَيْ" إلى التوضيح، والمَقامُ يُناسِبُ المُبالَغَةَ والتَّأْكيد، لأنَّ كُلَّ ما نادَى اللهُ عِبَادَه مِنْ أَوَامِرِهِ ونَواهِيه، وعِظَاته وزوَاجره، ووَعْدِه وَوَعِيدِه، ومِن اقْتِصاصِ أَخْبارِ الأُمَمِ المَاضِية، وغيرِ ذلك مما أَنْطَق اللهُ به كِتابَه أُمورٌ عِظَامٌ وخُطوبٌ جِسامٌ، ومَعانٍ وَاجبٌ عليهم أنْ يَتَيَقَّظوا لها، ويَمِيلُوا بِقُلُوبِهم وبَصَائِرِهم إليها وهُم غَافِلُون، فاقْتَضى الحالُ أن يُنادَوْا بالآكَدِ الأبْلَغ[٤].

٣. قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر: ٣٧]. يذكُر اللهُ سبحانه وتعالى مشهداً من مشاهدِ معاناة الكفار في نار جهنَّم، واستغاثتهم بالله العظيم أن يُخرِجَهم منها ويَرُدَّهم إلى الدُّنيا ليعمَلوا صالِحاً.

وجاء النِّداء هنا بحذف أداة النداء في قوله: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا**﴾، ففي حذف أداة النداء تعبيرٌ عن شعور الكافرين بالاسترحام، والاستغاثة بربِّهم، لكن لن ينفعهم ذلك، فذلك اليوم يوم حسابٍ ولا عمل.

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، (٣٤٠/١).

(٢) شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمود سعد، (٣٦/١).

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٢٤٨/٢٢).

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، (٣٤٠/١).

وكثيراً ما يُحْذَفُ لَفْظُ النِّداءِ في القُرآنِ كما في قوله سبحانه: ﴿**قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ [الحجر: ٥٧]، وقوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ**﴾ [الواقعة: ٥١، ٥٢]، وكما في الآية مذكورة أعلاه في سورة فاطر. ولا يكادُ يُستَخدمُ حرف النداء مع الرَّب، بل يُنادَى مُجَرَّداً من حرف النداء، ولعلَّ في ذلك تَعبيراً عن شعور الداعي بقُربِه من رَبِّه[١].

ثالثاً: فوائد أسلوب النداء وأهميَّتُه:

النداء له فوائد؛ أهمها:

١. أهميَّة النِّداء تكمن في تهيئة المدعو إلى ما بعد النداء، فالنداء لا يكاد ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداءٌ ينفكُّ عن أمرٍ أو نهيٍ؛ ولهذا لمَّا جاء بعده الخبر في قولِه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ**﴾ [الحج: ٧٣]، شَفَّعَه الأمرَ في قولِه: ﴿**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ [الحج: ٧٣][٢].
٢. كثيراً ما جاء النِّداء في القرآن الكريم للمؤمنين "يا أيها الذينَ آمنوا"، ففيها تنبيه المنادي إلى أمرٍ عظيم يجدُرُ به أن يكونَ على وعيٍ به، وأخذٍ بما فيه من معاني الهُدى، وفي النِّداء بمُسَمَّى الإيمان تذكيراً لهم بالعهدِ الذي عاهدوا اللهَ عز وجل عليه، وهو الإيمان بما أمرَهم بالإيمان به، وكَأنَّه يَحُثُّهم بهذا الوصف على أن يُقبِلوا على ما يأمُرُهم به فيأخُذوه وعلى ما ينهاهُم عنه فَيَجتنبوه[٣].
٣. في نداء الله إلى خلقه، أمورٌ عظيمة ومعانٍ جليبة، فهو فيضٌ من التكريم، والتنبيه إلى أنهم في علمِه قائمون، وفي رحمَتِه غارقون، وتحتَ قهرِه نازِلون، ومن أقامَ هذه المعاني في قلبِه لا يكادُ يغفُلُ عن ذِكرِ ربِّه تعالى[٤].

---

(١) من بلاغة القرآن، أحمد البدوي، (١٣٠/١).

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري، (٨٦/١).

(٣) شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، (٣٥/١).

(٤) انظر: المصدر السابق، (٣٥/١).

المطلب الثالث:

أسلوب الاستفهام

استخدمَ القُرآنُ كثيراً أسلوبَ الاستفهام في بيان معانيه وإيصالِها إلى السامعين، لما في أسلوب الاستفهام من البصمةِ الخاصَّة في معاني الجمل في اللغة.

ورد الاستفهام في القرآن الكريم على أصل معناه، وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول، كما في قوله تعالى: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها**﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وذلك الاستعمال كثير في القرآن، وأكثر منه أن يخرج الاستفهام عن أصل وضعه، لمعان أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن ذلك: الإنكار، والتوبيخ، والتقرير والتعجب، والعتاب، والتهويل، والتمني، وغير ذلك من الاستعمالات التي يخرج فيها الاستفهام عن أصل موضعه[١].

أولاً: تعريف الاستفهام:

١. **الاستفهام لغةً:** أصلُها (فهِم)، فهِم الشيء، أي: عَلِمه[٢].والفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْب، واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه[٣].

٢. **الاستفهام اصطلاحاً:** هو من أنواع الإنشاء الطّلبي، والأصلُ فيه طلَبُ الإِفْهامِ والإِعْلاَمِ لتَحْصِيلِ فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَى الْمُستَفْهِم. وقَد يُراد بِالاستفهام غيْرُ هذا المعنى الأصليّ له، ويُسْتَدَلُّ على المعنى المراد بالقرائنِ القوليّة أو الحاليَّة[٤].

ثانياً: ورودُه في سورة فاطر:

١. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر: ٣].

يأمُرُ الله سبحانَه وتعالى عبادَه بأن يحفظوا نعَمَه بمَعرفة حقِّها والاعتراف بها وطاعةِ موليها، ثم أنكَرَ أن يكونَ لغيره في ذلك مدخل فيستَحِق أن يُشرَكَ به بقولِه: "هل من خالِقٍ غيرُ الله يرزُقكم.."، واستخدَم في ذلك أسلوبَ الاستفهام[٥].

---

(١) من بلاغة القرآن، أحمد البدوي، (١٢٧/١).

(٢) مختار الصحاح، (٢٤٤/١).

(٣) لسان العرب، (٤٥٩/١٢).

(٤) البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (٢٥٨/١).

(٥) تفسير البيضاوي، (٢٥٤/٤).

والاستفهام هنا على وجهِ التقرير ينفي بتاتاً وجودَ خالقٍ مع الله[1]، فالكلام على أنه لا خالق إلا الله يخلقكم ويرزقكم ويعطيكم من النعم والآلاء العظيمة التي تتنعمون فيها.

"ولعلَّ السرَّ في جمالِ أُسلوبِ الاسْتفهامِ هُنا، والعُدُولِ إليه عن أسلوبِ النَّفي، هو أن الاستفهام في أصلِ وَضْعِه يَتَطَلَّبُ جَواباً يحتاجُ إلى تَفْكيرٍ، يَقعُ به هذا الجوابُ في مَوْضِعه، ولمَّا كان المَسْؤول يجيبُ بعد تفكيرٍ ورَوِيَّة عن هذه الأسْئلةِ بالنَّفي، كان في تَوجيهِ السُّؤالِ إليه حَمْلاً له على الإقْرارِ بهذا النَّفي، وهو أفضلُ من النفي ابتداءً"[2].

"والاستفهامُ إنْكَارِيٌّ في معنى النَّفْي ولذلك اقتَرَنَ ما بعدَه بِمِن التي تُزَادُ لتَأْكيدِ النَّفي، واخْتِيرَ الاستفهام بِهَل دونَ الهَمْزةِ لما في أصْلِ معنى هل من الدِّلالةِ على التَّحْقِيق والتَّصديقِ لأنها في الأصلِ بمعنى (قد) وتُفِيدُ تَأْكيدَ النَّفي"[3].

٢. قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٧،٢٨].

إنَّ أجملَ الكلامِ كلامُ اللهِ، وأجملُ ما في كلامِ الله حديثُ اللهِ سبحانَه وتعالى عن ذاتِه العليَّة وصفاتِه القُدُسيَّة، وفي ذكر هذه العوالي من المعاني، نرى أنّها تخرُجُ في ثوبٍ راقٍ من الأساليب.

جاء السياق بأسلوب الاستفهام التقريري، "والتقريرُ حملُ المُخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عندَه"[4]، "وإن إنزالَ الماءِ أقربُ إلى النَّفعِ، والمَنفعةِ فيه أَظْهَر، فإنه لا يَخفَى على أحدٍ في الرُّؤيةِ أنَّ الماءَ منه حياةُ الأرْضِ، فَعَظَّمَ دَلالَته بالاستِفهامِ، لأنَّ الاستفهامَ الذي للتَّقريرِ لا يقالُ إلا في الشيءِ الظَّاهِر جداً"[5].

٣. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**﴾ [فاطر: ٤٠].

---

(١) انظر: تفسير القرآن، السمعاني، (٣٤٥/٤).

(٢) من بلاغة القرآن، (١٢٦/١).

(٣) التحرير والتنوير، (٢٥٤/٢٢).

(٤) معترك الأقران، السيوطي، (٣٢٩/١).

(٥) مفاتيح الغيب، (٢٣٥/٢٦).

إن ما جاء به النبي صلى اللهُ عليه وسلَّم هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهي تنفِي كل ما يُعبَد من دون الله من الآلهة المزعومة الباطلة، والقرآنُ يُرسِّخُ في هذه العقيدة شيئاً فشيئاً، ويُبدئُ ويُعيدُ في عرضها بشكلٍ مباشر، أو بكل ما يؤدِّي إليها، واستخدمَ في كل باب ما يُناسِبه من الأساليب، فأبرزَ المعنى في أكملَ ثوبٍ ممكن.

وهنا في باب مُجادَلةِ المشركين ومُحاججتُهم في بُطلان الشريك، فاستخدمَ معهم أسلوبَ الاستفهام تقريراً للتَّوحيد وإبْطالاً للشِّرك، والاستفهامُ يستدعي جواباً، ويحتمل أن يُقال: قوله: "أَرَأَيْتُمْ" اسْتِفهام حَقيقيّ، و"أَرُوْنِي": أمرُ تَعْجِيز للتَّبْيين، فلما قال: أَرَأَيْتُم، يعني: أعَلِمتُم هذه التي تَدْعُونها كما هي، وعلى ما هيَ عليه من العَجْز أو تَتَوَهَّمونَ فيها قُدرة، فإن كُنْتُم تَعلمونَها عاجزةً فَكيفَ تَعْبُدُونَها؟ وإنْ كان وَقَعَ لَكُم أنَّ لها قُدْرَةً فَأَرُونِي قُدرتَها في أيِّ شيء هي، أهي في الأرض، أم هي في السموات، أم قدرتها في الشفاعة لكم، فهل معهم كتاب من الله فيه إذنه لهم بالشفاعة؟ فإن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه، وعبادة هؤلاء إما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من لم يخلق من الأرض جزءا من الأجزاء ولا في السماء شيئا من الأشياء، وإما بالنقل ونحن ما آتينا المشركين كتابا فيه أمرنا بالسجود لهؤلاء ولو أمرنا لجاز كما أمرنا بالسجود لآدم وإلى جهة الكعبة، فهذه العبادة لا عقلية ولا نقلية فوعد بعضهم بعضا ليس إلا غرورا غرهم الشيطان وزين لهم عبادة الأصنام[١].

ثالثاً: فوائد أسلوب الاستفهام وأهميَّتُه:

أهم هذه الفوائد:

١. يجيء الاستفهام في خطابِ الله تعالى في القرآن ليقرر في نفسِ السامع أو المخاطَب معنى حاصلاً عنده إثباتاً أو نفياً، ويترك السامع يجيبُ بنفسه عن هذا السؤال، فالإثبات كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً**﴾ [النساء:٨٧]، والنفي كقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً**﴾ [الإنسان: ١]، فإن الله تعالى لا يستفهم خَلْقَه عن شيءٍ وإنما يستفهمهم ليقرِّرَّهم ويُذكرَهم أنهم قد علموا حقَّ ذلك الشيء، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٤٥)، بتصرف.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، (٢/٣٢٧).

٢. الاستفهام إذا بُنِيَ عليه أمرٌ قبل ذكر الجواب فُهِمَ تَرَتُّب ذلك الأمرِ على جوابِه، أيَّ جواب كان لأنَّ سَبْقه على الجواب يشعرُ بأن ذلك حالُ من يذكر في الجواب؛ لئلا يكون إيراده قبله عبثاً فيُفيد حينئذٍ تعميماً نحو: "من جاءك فأكرمه"[١].

٣. قد يكون الاستفهامُ مثاراً لتنبيهِ المُخاطَب على أمرٍ يغفلُ عنه، ولا يُوْلِيه من عنايتِه ما هو به جدير، كما في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً**﴾ [الفرقان: ٤٥]. "وفي إيراد هذه المعانى بأسلوب الاستفهام تشويق، وإثارة للتفكير للاهتداء إلى معرفة وجه الصواب"[٢].

---

(١) المصدر السابق، (٢/٣٢٧).

(٢) من بلاغة القرآن، (١/١٢٨).

المطلب الرابع:
أسلوب الأمر والنـهي

أولاً: تعريف الأمر والنَّهي:

١. **تعريف الأمر:** هو طلبُ حُصولِ الفِعلِ من المُخاطَبِ على وَجهِ الاسْتِعلاء والإلزام، وله أربع صِيَغ: فعلُ الأمر، والمُضارِعِ المَجزومُ بلامِ الأمر، واسمُ فعلِ الأمر، والمَصدَرُ النَّائبُ على فِعلِ الأمر(١)، ومثالُه: كقوله تعالى: ﴿**واعبُدْ رَبَّكَ حتَّى يأتيَكَ اليقين**﴾ [الحجر: ٩٩].

٢. **تعريف النَّهْي:** هو طَلَبُ الكَفِّ عن الشيءِ على وَجْهِ الاسْتِعلاءِ معَ الإلْزام، وله صِيغةٌ واحدةٌ، وهي المُضارعُ المَقْرونُ بلا النَّاهِيَة: كَقولِه تعالى: ﴿**ولا تُفْسِدوا في الأَرْضِ بعدَ إصْلَاحِها**﴾ [الأعراف: ٥٦](٢).

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

١. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر: ٣].

يأمُرُ اللهُ عبادَه بأن يذكُرُوه ويذكُرُوا نِعَمَهُ عليهم حتى يعرفوه ويَعبُدوه ويُنيبوا إليه، فإنَّهم ليس لهم خالقٌ يرزُقهم إلا هو سُبحانَه، فكيفَ يُصرَفُ هؤلاء ويؤفَكونَ عن خالِقِهم وربِّهم؟

وجاء الخطابُ مباشراً لهم بأسلوبِ الأمر.

فأمَرَ اللهُ سُبحانَه عِبادَه أن يَتَذَكَّروا نِعَمَه الفَائضةَ عَلَيْهم التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، ومَعنى هذا الأمرِ لهُم بالذِّكر هو إرْشادُهُم إلى الشُّكْرِ لاسْتِدَامَتِها وطَلَبِ المَزيدِ منها(٣).

فأفاد الأمرُ هنا الإرشاد، حيث أنَّ الأمر على الإيجابِ في الحقيقة، لكنَّه يردُ مجازاً لمعانٍ أخرى ومنها الإرشاد.

---

(١) جواهر البلاغة في والمعاني والبيان والبديع، (٧١/١)، بتصرف.

(٢) المصدر السابق، (٧٦/١).

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٨/٤).

ثالثاً: فوائد أسلوب الأمر والنهي وأهمِّيّته:

الأصلُ في الأمرِ أن يكونَ لِطَلَبِ الفعلِ على سبيلِ الإيجاب، كقوله تعالى: ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ [البقرة: ١٤٤].

ولكنَّه يجيءُ لغَيْرِ الإيجابِ كثيراً، فيكون مثلاً للدعاءِ في قولِه تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة: ٦]. وللتهديد في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت: ٤٠]، ألا ترى أن هذا الأمر يحمل معنى عدم الاكتراث بأعمالهم، لأن وبالها عائد عليهم لا محالة. وللتعجيز في قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**﴾ [يونس: ٣٨]، وفي هذا الأمر معنى التحدى، ليظهر عجزهم في وضوح وجلاء.

ولما كان الأثيم ولا ريب في أقصى حالات التَّنَبُّه لِمَا يَنْزِلُ به من عذاب أليم، ولما يغلى في بطنه كغلى الحميم، كان الأمر في قوله سبحانه: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ [الدخان: ٤٩]، للإهانة. ويأتى الأمر لأغراض أخرى تدرك من سياق المقام.

والأصل في النهى أن يكون لطلب الكف على سبيل التحريم كما في قوله سبحانه: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [الأنعام: ١٥١].

ويأتى لغير ذلك، كالدعاء في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا**﴾ [آل عمران: ٨].

ويفهم من النّهى في قوله تعالى: ﴿**قالَ اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. الإهانة ومن قوله: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [التحريم: ٧]، اليأس من جدوى الاعتذار (١).

---

(١) من بلاغة القرآن، (١/١٢٩).

المطلب الخامس:
أسلوب التشبيه

يُعتَبرُ التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرَفِها، وقد كَثُرَ استخدام هذا الأسلوب في كلام العرب، وكان كذلك القرآن في استخدامِه لهذا الأسلوب البديع.

أولاً: تعريف التشبيه:

١. **التشبيه لغةً**: شبه: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم[١].

٢. **التشبيه اصطلاحاً**: "عَقدُ مُمَاثَلَةٍ بينَ أَمْرَيْنِ قصد اشتراكهما في صفة بأداة لغرض يقصد المتكلم للعلم"[٢]. أو: "الوَصْفُ بأنَّ أَحَدَ المَوْصُوفِينَ يَنُوبُ مَنَابَ الآخَرِ بِأَدَاةَ تَشْبِيه"[٣].

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

وردَ التشبيه في سورةٍ فاطر في مَوْضِعَيْن وجاء بطريقةٍ فذَّةٍ مُبدِعةٍ كما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ**﴾ [فاطر: ٩]. يذكُرُ اللهُ سبحانَه وتعالى آيةً شاهِدةً على وَحدانيَّته، ويستدلُّ بها على قُدرَتِه على إحياء الموتى يوم القيامة، حيث شبَّه عملية إحياء الأرض الموات بالمطر بإحياء الموتى يوم القيامة في قُبورِهم، ووجهٌ ثانٍ في التَّشبيه حيثُ شبَّهَ إرسالَ الرِّياح والسَّحاب للبلدِ الميِّت بإرسال الرُّوح والحياة للبدن الميِّت. وفي ذلك يقول الفخر الرازي: "مَا وَجْهُ التَّشْبِيهِ بِقَوْلِهِ: كَذلِكَ النُّشُورُ؟ فِيهِ وُجُوهٌ: أَحَدُهَا: أَنَّ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ لَمَّا قَبِلَتِ الْحَيَاةَ اللَّائِقَةَ بِهَا كَذَلِكَ الْأَعْضَاءُ تَقْبَلُ الْحَيَاةَ وَثَانِيهَا: كَمَا أَنَّ الرِّيحَ يَجْمَعُ الْقِطَعَ السَّحَابِيَّةَ كَذَلِكَ يُجْمَعُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْأَعْضَاءِ وَأَبْعَاضِ الْأَشْيَاءِ وَثَالِثُهَا: كَمَا أَنَّا نَسُوقُ الرِّيحَ وَالسَّحَابَ إِلَى الْبَلَدِ الْمَيِّتِ نَسُوقُ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ إِلَى الْبَدَنِ الْمَيِّتِ"[٤].

فاستخدمَ أسلوب التشبيه في أبلغِ صُوَرِه، حيث اشتملَ تشبيهٌ واحدٌ على ثلاثة وجوه في ثناياه.

---

(١) انظر: لسان العرب، (١٣/٥٠٣).

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (١/٢١٩).

(٣) الصناعتين، أبو هلال العسكري، (١/٢٣٩).

(٤) مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٢٥).

٢. قال تعالى: ﴿وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ وَلا الظُّلُماتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ وَما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَلا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]. أَربَعةُ أَمْثالٍ لِلمُؤمنينَ والكافِرينَ، ولِلإيمان والكُفْرِ، شَبَّهَ الكافرَ بالأعمى، والكُفْرَ بالظُّلُمات، والحَرُورَ والكافرَ بالمَيِّت، وشَبَّه المُؤمنَ بالبَصيرَ وشَبَّه الإيمانَ بالنُّور والظِّلّ، وشبَّه المُؤْمِن بالحَيّ تَشْبِيهَ المَعقُولِ بالمَحسوس. "فبَعدَ أن بَيَّنَ قِلَّةَ نفعِ النَّذارةِ للكَافِرين وأنَّها لا يَنْتَفِع بها غيرُ المؤمنينَ ضَرَبَ للفريقَيْن أمثالاً كاشِفةً عن اختلافِ حالَيْهما، ورُوعِيَ في هذه الأشْباهِ تَوْزِيعُها على صِفَةِ الكافِرِ والمُؤمِن، وعلى حالَةِ الكُفْرِ والإيمان، وعلى أَثَرِ الإيمانِ وأَثَرِ الكُفْرِ"[١].

ثالثاً: فوائد أسلوب التشبيه وأهميَّته:

١. "حصول الأُنس للنَّفس بإخراجِها من خفيٍّ إلى جليٍ، وإدنائه البعيد من القريب ليُفيد بياناً"[٢].

٢. "من جمالِ التَّشبيه أنَّه لَمْحُ صِلَةٍ بين أَمْرَيْن من حَيثُ وَقْعِهِما النَّفْسِي، وبه يُوَضِّحُ الفَنَّانُ شُعورَه نحوَ شَيءٍ ما، حتى يُصبِحَ واضحاً وُضُوحاً وُجدانيَّاً، وحتى يُحِسَّ السَّامعُ بما أحسَّ المُتَكلِّمُ به، فهو ليس دلالةً مُجَرَّدة، ولكنه دَلالَةٌ فَنِّيَّة"[٣] لها جمالُها الفنِّي، وأثرُها البديع.

٣. من جماليَّات التشبيه، أنَّ مورِدَه يُدركُ الصِّلات والعلاقة بين الاشياء، فهو يَلمَحُ ومضةً في شيء ما، فيَضعَه بجانبِ آخر يُلقي عليه ضوءاً منه، فهو مصباحٌ يوضحُ هذا الإحساس الوُجداني، ويستطيع أن ينقُلَه إلى السَّامع[٤].

٤. "التشبيه يزيدُ المعنى وُضوحاً ويُكسِبُه تأكيداً"[٥].

٥. فائدةُ التشبيه في تمثيلِ الشيء بالشيء، المقصدُ منه إثبات ما في النَّفسِ بصورةِ المُشَبَّه به أو بمعناه، وهذا أوكد في إبلاغ المعنى سواءً في الترغيب، فيه أو التنفيرِ عنه[٦].

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٩٢).

(٢) معترك الأقران، (١/٢٠٣).

(٣) من بلاغة القرآن، (١/١٤٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/١٤٧).

(٥) الصناعتين، العسكري، (١/٢٤٣).

(٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (١/٣٧٨).

المطلب السادس:
أسلوب الترغيب والترهيب

يُعتبر أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي استخدمها القرآن بكثرة في خطاب الفريقين من أهل الإيمان وأهل الكفر، لِما في هذا الأسلوبِ من الفاعليَّةِ والتأثير في النَّفسِ البشريَّة، وكان دَيْدَنُ القرآن في هذا الأسلوب أن يجمعَ بين هذين المُتَقابِلَيْن ولا يقتصر على أحدهما دونَ الآخر.

أولاً: تعريف الترغيب والترهيب:

١. التَّرْغِيبُ لغةً: من رَغِبَ رَغْبَةً، والرَّغبةُ: السُّؤالُ والطَّمَع، وكلُّ مَا اتَّسَع فَقَدِ رَغُبَ رُغْباً[(١)]. "والتَّرغِيبُ بالشيءِ الإغْراءُ بِه، وغَرْسُ الحِرصِ عليه في النَّفْسِ"[(٢)].
٢. الترغيب اصطلاحاً: "ما يُشَوِّقُ إلى الاستجابةِ وقَبولِ الحق والثَّبات عليه"[(٣)]، "فهو وعدٌ يَصحَبُه إغراءٌ بمُتعةٍ آجلةٍ مؤكدَة مقابل القيام بعملٍ صالح ابتغاء مرضاةِ الله"[(٤)].
٣. الترهيب لغةً: رَهِبَ، بِالْكَسْرِ، يَرْهَبُ رَهْبةً ورُهْباً، بِالضَّمِّ، ورَهَباً، بِالتَّحْريكِ، أَي خافَ، وتَرَهَّبَ غيرَه إذا تَوَعَّدَه[(٥)].
٤. الترهيب اصطلاحاً: "ما يُحَذِّرُ من عدم الاستجابةِ أو رفضِ الحقِّ أو عدمِ الثَّباتِ عليه بعدَ قَبولِه"[(٦)]، أو "هو تهديدٌ بعقوبةٍ تترتَّبُ على اجتراحِ ذنبٍ نهى اللهُ عنه، أو التهاون بأداء فريضةٍ أمرَ اللهُ بها"[(٧)].

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

استخدمَ القرآنُ الكريم أسلوب الترغيب والترهيب في كثير من السور والآيات، وجاء هذا الأسلوب واضحاً في سورة فاطر، حيث جمع بينهما في سياق واحد في الحديث عن جزاء المؤمنين، وجزاء الكافرين، حيثُ رغَّب في الإيمان والعمل الصالح فجعَلَ جزاءَهم في قوله تعالى: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي**

---

(١) انظر: لسان العرب، (٤٢٤/١).
(٢) معجم لغة الفقهاء، (١٢٨/١).
(٣) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (٦٧٠/١).
(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد علوش، (٢٥٧/١).
(٥) لسان العرب، (٤٣٦/١).
(٦) أصولُ الدعوة، (٦٧٠/١).
(٧) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، (٢١٢/١).

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٣-٣٥]، ورهَّبَ من الكفر فقال: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾ [فاطر: ٣٦].

كما ورغَّبَ في الكلام الطيِّب والعمل الصالِح فقال: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: ١٠]، ورغَّب في تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وحثَّ عليها فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وجمعَ بين التَّرغيبِ التَّرهيب في إيجازٍ بليغ في قولِه تعالى: ﴿**وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ وَلا الظُّلُماتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ وَما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَلا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]، يقول الزمخشري: "الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ مثلٌ للكافر والمؤمن، كما ضرب البحرين مثلاً لهما أو للصنم والله عزّ وجلّ، والظلمات والنور والظلُّ والحرور: مثلان للحق والباطل، وما يؤدِّيان إليه من الثواب والعقاب. والأحياء والأموات: مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر. والحرور: السموم، إلا أنّ السموم يكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار"[1]، ففي هذه الآياتِ رغَّب في الإيمان والدخولِ في ركبِ المؤمنين ولزوم الحق وثوابِهِ، ورهَّبَ من الكُفرِ وأحوال الكافرين والانحراف للباطل وعقابه.

ورهَّبَ من السيِّئات والمكر السَّيِّء فقال: ﴿**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾ [فاطر: ١٠]، ورهَّب أيضاً من اتخاذ شُركاءَ من دونِ الله في قوله: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾ [فاطر: ١٦-١٧]، كما ورهَّب من التكذيب بالرسول محمد صلى اللهُ عليه وسلَّم، ومن الجحود بالآيات والحجج البيِّنات عندما قال: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ**﴾ [فاطر: ٢٥-٢٦].

ثالثاً: أهمية أسلوب الترغيب والترهيب:

إنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى خلقَ النفوس وهو أعلمُ بما يُصلِحُها، وما يُقيمُها، ويعلمُ كيفَ يؤدِّبها، فنفُوسُ البشَرِ تحتاجُ إلى الدَّافعيَّة والترغيب، وفي المقابِل إذا اعتادَت على عملٍ خاطئٍ فإنها لا

---

(١) الكشاف، (٦٠٨/٣).

تنزعُ عنه –غالباً– إلا بالعِقابِ والتَّرهيب، ولذلكَ فإنَّ القرآنَ الكريم في الدعوةِ إلى الخير، والتنفيرِ من الشر راعى هذه السمة في البشر، فكان كثيراً ما يقرن الأحكامَ والأعمالَ الصالحة بالدعوة إليها بالترغيب ووضع الثواب، وفي التنفير من السيئات والشر يُحيطُها بجَوٍّ من التخويفِ والإنذارِ والعقاب، وإنَّ ورودَ الأحكام والآيات غَيْرُ مَقرونٍ بشَيءٍ مِنَ التَّرغيبِ والتَّرهِيبِ، لا يُحْدِثُ لِلنُّفُوسِ عِظَةً ولا ذِكْرَى، ولا يَبْعَثُ فِي القُلوبِ هِدَايَةً ولا تَقوى[1].

وكانت عادة القرآن أن يجمعَ بين الترغيبِ والترهيب ويوازنَ بينَ الأحوالِ التي يذكُرها، قال الزَّمخشريُّ: "ومن عادَتِه عزَّ وجلَّ في كتابِه أنْ يَذْكُرَ التَّرغيبَ معَ التَّرهيبِ ويَشْفَعَ البِشارةَ بالإنذارِ إرادةَ التَّنْشيطِ لاكتساب ما يُزْلِف والتَّثبيطِ عن اقترافِ ما يُتْلِف"[2]، ويذكُرُ أبو السعود في تفسيره: "جَرَت السُّنَّةُ الإلهيةُ على شَفْع الوعدِ بالوعيدِ مُراعاةً لما تَقتضيه الحِكمةُ في إرشاد العبادِ من الترغيب تارةً والترهيبِ أخرى والتبشيرِ مرةً والإنذارِ أخرى"[3].

وإنَّ هذا التنويع في خطابِ الناس بالترغيبِ تارةً وبالترهيبِ تارةً راجعٌ إلى اختلافِ أحوالِ المخاطبين ومراتب نفوسِهم؛ فمِنهمُ العالمُ الحكِيمُ الَّذِي لا يقتَنِعُ إلَّا بِالحُجَّةِ والدَّليلِ، ومنهُمُ المكابِرُ الذي لا يرعَوِي إلا بِالجَدَلِ والخَطَابَةِ، وَمِنْهُمُ المُتَرَهِّبُ الذِي اعْتَادَ الرَّغبَةَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، ومنهُمُ المُكَابِرُ المُعانِدُ، الذي لا يُقْلِعُهُ عن شَغَبِهِ إلا القَوارِعُ والزَّوَاجِرُ[4].

المطلب السابع:
أسلوب القصر

ومن الأساليب الواردة في سورةِ فاطر أسلوبُ القَصْر، وهو كغيرِه من الأساليب له استخداماته وأغراضُه ولمساتُه التي يُفيدُها في الكلام.

أولاً: تعريف القصر:

١. القصر لغةً: "الحَبس، يُقال: قَصَرَ الشيءَ يَقْصُره قَصْراً: حَبَسَهُ"[5]، وَمِنْه: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ [الرحمن: ٧٢].

---

(١) انظر: تفسير المنار، (٣١٦/٢).

(٢) الكشاف، (١٠٤/١).

(٣) تفسير أبي السعود، (١٢٢/١).

(٤) التحرير والتنوير، (١٩٥/٣).

(٥) لسان العرب، (٩٨/٥).

٢. القَصْرُ اصطلاحاً: "تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بعبارةِ كلاميّةٍ تدلُّ عليه، ويُقال في تعريفه أيضاً: جَعْلُ شيءٍ مقصوراً على شيءٍ آخر بواحدٍ من طُرُقٍ مخصوصة من طُرُق القول المفيد للقصر"(١).

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

١. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر: ٣]، وردَ أسلوبُ القصرِ مرَّتين في هذه الآية وفي المرتين يثبتُ توحيدَ اللهِ سبحانه وتعالى، المرة الأولى جاءت في ربوبيَّتِه، وجاء أسلوب القصر بالاستفهام والاستثناء في قوله: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾، والثانية في ألوهيَّته، وجاء أسلوبُ القصرِ فيه بالنفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾، "فإنَّه لا مَعْبودَ تَنْبَغي له العبادةُ إلا الذي فَطَرَ السماواتَ والأرضَ القادرُ على كلِّ شيءٍ، الذي بيدِه مَفَاتِحُ الأشياءِ وخَزائنُها، ومغالقُ ذلك كُلِّه، فلا تَعبُدوا أيها الناسُ شيئًا سواه، فإنه لا يَقْدِرُ على نَفعِكم وضُرِّكم سواه، فله فأَخْلِصوا العبادةَ وإيَّاه فأفرِدُوا بالأُلوهة"(٢).

٢. قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ [فاطر: ١٠]، "هنا استخدمَ أسلوبَ القصرِ لكن بلا أداة من أدواتِ القصر المعروفة، لكنَّ الذي يدلُّ على القصر الذوقُ السليم، والفكرِ الصائب، وهنا تقدم المعمول (لله) على عامله (العزة)، والأصلُ أن يتأخر المعمول عن عامله إلا لضرورة ومَن يتتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقُّه التأخير: يجد أنهم يريدون بذلك: التخصيص"(٣)، فتقديم المعمول (لله) على عامله (العزة) يفيد تخصيص العزَّة وحصرَها في جنابِ الله سبحانه وتعالى، وأنَّ من تعزَّز بغيره فإن مصيرَه الذُّلُّ في الدُّنيا والآخرة.

٣. قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [فاطر: ١١]، الآية تتحدَّث عن سِعَةِ علمِ اللهِ وإحاطَتِه بكُلِّ شيء، وأنَّه لا يعزُبُ عن علمِ الله شيء مهما خفيَ ودقَّ، واستخدمَ في ذلك أسلوب القصرِ مرَّتين بطريقةِ النفي والاستثناء، فنفى أن تحملَ أنثى أوتضعَ حَملَها، أو يُعمَّر أحدٌ، أو لا يُعمَّر، إلا بِعلمِ الله

---

(١) البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة، (٥٢٣/١).

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٤٣٨/٢٠).

(٣) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، (١٦٩/١).

وإذنه، بل قصر ذلكما أن يكونا إلا بعلمِ اللهِ سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يكونَ شيء إلا بعلمه وإذنه جلَّ في عُلاه.

٤. قال تعالى: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، "أي: ليس عليك غيرُ ذلك، والهداية والإضلال إلى الله تعالى"[١]، فقصَر اللهُ مُهِمَّة محمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ على صفة النَّذارة، ونفى عنه أن يظن في أمره أنه بيدِه الهداية والضلال، واستخدَم في أسلوبِ القصر طريقةَ النفي ب(إنْ) النَّافية المُشَبَّهة ب(ليسَ)، والاستثناء.

٥. قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [فاطر: ٣١]، وجاءَ أسلوبُ القصرِ مرةً أخرى لكن في إثبات صدقِ كلام الله وأحقِّيَّته، وجاء عن طريق ضمير الفصل (هو) في قوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾، وهو من باب قصر المُسنَد على المُسنَد إليه، وهو هاهنا إن لم تَقْصِد المُبالَغة قَصرٌ إضافيٌّ بالنسبةِ إلى ما يَفتريه أهلُ الكتابِ ويَنْسِبونَه إلى اللهِ تعالى[٢]، فالقصرُ هنا إما للمبالغةِ في أن القرآن هو الحق، أو ردَّاً على ما يفتريهِ أهلُ الكتابِ في الانتقاصِ من القرآن.

ثالثاً: أهمية أسلوب القصر:

١. يُستَخدم أسلوبُ القصر لإضفاء الأهمية وبيان عِظَم المقصور عليه، والاهتمام بالمتقدِّم.

٢. أسلوبُ القصر يفيدُ غالباً الحصر والتخصيص، ففي قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، أفاد القصرُ تخصيص العزَّة وحصرَها في جنابِ الله سبحانه وتعالى.

٣. يزيدُ الكلام قوَّةً وتأكيداً مع خُلُوِّه من المؤكِّدات المألوفة، وما فيه من مبالغة يتقبَّلُها الذَّوق.

---

(١) تفسير ابن عطية، (٤/٤٣٦).

(٢) روح المعاني، الآلوسي، (١١/٣٦٦).

المطلب الثامن:
أسلوب التقديم والتأخير

أولاً: تعريف التقديم والتأخير:

١. التقديم لغةً: من قدَّمَ، القَدَمُ والقُدْمةُ: السَّابِقَةُ فِي الأَمر[١].

٢. التأخير لغةً: من أَخَّرَ، والتأَخُّرُ ضدُّ التقدُّم، ومُؤَخَّرُ كُلِّ شَيْءٍ، بِالتَّشْدِيدِ: خِلَافُ مُقَدَّمِه. يُقَالُ: ضَرَبَ مُقَدَّمَ رأْسه ومؤَخَّره[٢].

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

١. قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ**﴾ [فاطر: ٢٧]. يذكُرُ اللهُ بديعَ خلقِه في اختلاف ألوان التربةِ والصخور في الجبال: الأبيض، والأحمر، والأسود، وذكرَ هنا صفةً لِلَّون الأسود وهي غرابيب، جمعُ غِربيب، "وهو الشَّديدُ السَّوادِ الذي يُشبِهُ لَوْنُه لَوْنَ الغُراب"[٣].

"وفي الكلام تقديمٌ وتأخير، وتقديره: وَسُودٌ غَرَابِيبُ، لِأَنَّهُ يُقَالُ أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ، وَقَلَّ مَا يُقَالُ غِرْبِيبُ أَسْوَدُ"[٤].

وفائدَتُه: "أن يكونَ المُؤكد مُضمَراً، والمُظْهَر تفسيراً له، فيدل على الاعتناء به، لكونهما معاً يدلان على معنىً واحد"[٥].

٢. قال تعالى: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ**﴾ [فاطر: ٣٣]. في هذه الآية تقديم الجنَّات على فعلها وهو الدخول، وأُعيدَ ذكرُها بالهاء في يدخُلونها، وفي الفائدة من ذلك يقول الرازي: "السامعُ إذا عَلِمَ أنَّ له مَدْخَلاً من المَداخِلِ وله دُخولٌ، ولم يَعْلَم عَيْنَ المَدخل، فإذا قيل له: أنتَ تَدخل، فإلى أن يَسمعَ الدارَ أو السوق يبقى مُتَعَلِّقَ القلبِ بأنه في أي المَداخِلِ يكونُ، فإذا قيلَ له: دارُ زيدٍ تَدخُلُها،

---

(١) لسان العرب، (٤٦٥/١٢).

(٢) المصدر السابق، (١٢/٤).

(٣) فتح القدير، (٣٩٩/٤).

(٤) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، (١٥٤/٢)، وانظر: فتح القدير، الشوكاني، (٣٩٩/٤).

(٥) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (٥٣٦/٤).

فبذكر الدار يَعلمُ مَدخلَه وبما عنده من العِلمِ السابقِ بأنَّ له دُخولاً يَعلَمُ الدُّخول فلا يبقى له تَوَقُّف ولا سِيَّما الجَنَّةَ والنار، فإن بين المَدْخَلين بَوْنَاً بعيداً"[1].

٣. قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [فاطر: ٨].

في الكلام تقديمٌ وتأخير، وتقديرُه: "أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ"[2].

ثالثاً: أهمية أسلوب التقديم والتأخير:

قال الزركشي عن التقديم والتأخير: "هو أحدُ أساليبِ البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمَكُّنهم في الفصاحة، وانقيادِه لهم، وله في القلوب أحسنُ موقعٍ وأعذبُ مذاق"[3].

"وإن هذا التقديمَ كثيرُ الفوائدِ، جَمُّ المحاسِنِ، لا يزالُ يَفْتَرُّ[4] لك عن بَديعةٍ، ويُفضِي بك إلى لَطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مَسمَعُه، ويَلطُفُ لديك مَوْقِعه، ثم تنظر فتجدُ سببَ أنْ راقَكَ ولَطُفَ عندَك، أن قُدِّمَ فيه شيءٌ، وحُوِّلَ اللفظُ من مكانٍ إلى مكان"[5].

لأسلوب التقديم والتأخير كثير من الأغراض منها: التوكيد، والتخصيص، وتقوية الحكم في نفسِ السامع، ومنها العناية والاهتمام، والتشويق، والقرآن مليء بالشواهد على ذلك على مختلف الأغراض فيها[6].

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٤٠).

(٢) تفسير القرطبي: (١٤/٣٢٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن، (٣/٢٢٣).

(٤) يفترّ: يكشف، انظر: لسان العرب، (٥/٥١).

(٥) دلائلُ الإعجاز، الجرجاني، (١/١٠٦).

(٦) للاستزادة انظر: دلائل الإعجاز، (١/٧٦)، البرهان في علوم القرآن، (٣/٢٣٣)، الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣٨).

الفصل الثّاني

التوجيهات التربوية الوعظية وأساليبها في ضوء سورة فاطر

الفصل الثّاني

التوجيهات التربوية الوعظية وأساليبها في ضوء سورة فاطر

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التوجيهات التربوية المتعلقة بالترغيب والترهيب.**
- **المبحث الثاني: التوجيهات التربوية المتعلقة بتصنيف الناس وبيان أحوالهم.**
- **المبحث الثالث: التوجيهات التربوية المتعلقة بسنن الله.**
- **المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية الوعظية.**

المبحث الأول:

التوجيهات التربوية المتعلقة بالترغيب والترهيب في ضوء سورة فاطر

وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: التحذير من الدنيا وزينتها.
- المطلب الثاني: التحذير من الشيطان ووساوسه.
- المطلب الثالث: نفي التسوية بين العمل الصالح والعمل الطالح.
- المطلب الرابع: بيان أن كل نفس بما كسبت رهينة وتقطع الأنساب يوم القيامة.
- المطلب الخامس: الترغيب في العلم وتشريف العلماء.
- المطلب السادس: تشريف حَمَلَة القرآن.
- المطلب السابع: تزكية النفس بالأعمال الصالحة واجتناب السيئات.
- المطلب الثامن: التحذير من الكفر وبيان أنه سبيل إلى غضب الله والخسران المبين.

المطلب الأول:
التحذير من الدنيا وزينتها

بيّن لنا القرآنُ الكريم كل طرق الخير وأوضحها لنا ورغَّبَنا في الدُّخول فيها، وفي نفس الوقت بيّن لنا طرق الشر وجلّاها كالشّمس وحذَّرنا من الولوج فيها.

وقد حدد القرآن علاقاتنا بكلّ ما حولنا مما هو من عالَم الغيب وكذلك عالَم الشهادة، ورسم لنا التصوّر الصحيح لكل ما في الوجود؛ فعلاقة الإنسان بالخالق، والكون، والملائكة، والجن، والمخلوقات، والأحياء، والدنيا والآخرة، والوجود، كلُّها رسَمَها القرآن وأوضحها لنا وأنقذ البشريّة من متاهات التصوّرات البشريّة القاصرة الضّالة.

ورود التحذير من الدنيا في سورة فاطر والتوجيهات التربوية المستفادة:

في علاقة الإنسان بالحياة الدُّنيا ذكر القرآنُ الدنيا في كثير من الآيات، مرةً بالتحذير منها، ومرّة بضرب الأمثال في حقيقتها وتبيين حقارتها وخِسَّتِها فيقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور**﴾ [فاطر: ٥]، هذا وعظٌ للناس من أن تَغُرَّهم الحياةُ الدنيا وتشغلَهم عن حسابِهم ومعادِهم بألوان الخِدَاع من اللعب والزينة واللهو، ويقول تعالى في رسم صورةٍ للحياة الدُّنيا: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [الحديد: ٢٠]. يضرب اللهُ سبحانه هذا المثلَ ليبيّن لنا حقيقة الدنيا وصورتها الأصليّة ليشكف للناس عن وجهها الحقيقي، ويُبَيِّن حجمها بالنسبة للدار الآخرة. يقول صاحب الظلال حول هذه الآية: "والحياةُ الدُّنيا حين تُقاسُ بمقاييسها هي وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحِسِّ أمراً عظيماً هائلاً، ولكنّها حين تُقاسُ بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً، وهي هُنا في هذا التصوير تبدو لعبةَ أطفالٍ بالقياس إلى ما في الآخرةِ من جَدٍّ تنتهي إليه مصائرُ أهلها بعد لُعبةِ الحياة! لعبٌ، ولهوٌ، وزينةٌ، وتفاخُرٌ، وتكاثر هذه هي الحقيقة وراء كلِّ ما يبدو فيها من جَدٍّ حافلٍ واهتمامٍ شاغل، فهو موقوتُ الأجلِ ينتهي عاجلاً ويبلُغُ أجَلَه قريباً، ﴿**وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ**﴾ فما لهذا المتاع حقيقةٌ ذاتيةٌ، إنما يستمدُّ قوّامَه من الغرور الخادع كما أنه يُلهي ويُنسي فينتهي بأهله إلى غرورٍ خادع"(١).

---

(١) في ظلال القرآن، (٣٤٩١/٦).

فكان دَيْدَنُ القرآن التحذير والتنفير منها، وذَمِّها وأهلَها، والترهيب من الرُّكونِ إليها، وإزالة الهالَة الكاذبة التي تغطي وجهها الحقيقي، وكثيراً ما يُقارن القرآن بين الدنيا والآخرة في عديد من المواضع؛ ترغيباً في الآخرة وتعظيماً لشأنها، وتنفيراً من الدّنيا وتحقيراً لشأنها.

والله سُبحانه وتعالى أخبرنا عن أمم سابقة عمَّرَت طويلاً وعاشت سنيناً ودهوراً، وشيدت قصوراً ومدائن، وبلغت من العلوم مبلغاً عظيماً؛ لكنّها زالَت وبادَت وبَقِيَتْ آثارُها شاهدةً عليها ليعتبرَ الناسُ بها.

فإذا كان ذلك كذلك؛ فما الخيرُ في تَنَعُّمٍ مَشوبٍ بالكَدَر في دُنيا قَصيرةٍ كَدِيرَةٍ يبيعُ لأجلها الإنسانُ نعيمَ الآخرةِ الدائمِ السامي العظيم، بل ويُحاسب أشد الحِساب على تفريطِه وتقصيرِه، يقول تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. الدّنيا حقيرةِ الشأن قليلةُ البقاء سريعة الانقراض والانقضَاء، مُشرِفةٌ على الزَّوالِ والبَوارِ والفَناءِ؛ فيقبُحُ بالعاقل أن يفتَخِرَ بِها أو يَفرَحَ بسببها أو يُقيمَ لها في نَظَرِه وزناً، والدّليلُ على ذلك أن خيرات الدنيا ونعمها ومتاعها مُنْقَرِضٌ سريعُ الزوال، وخيرات الآخرة دائمةٌ باقية والدّائمُ الباقي خيرٌ من المُنْقَرِض الفاني وهذا معلومٌ بالضرورة[١].
٢. مهما عمَّر الإنسانُ وتمتّعَ في هذه الدُّنيا، مصيرُه الموت ولن يُغنيَ عنه مالُه ولا ولدُه ولا سُلطانُه، هذا إن لم تكن وبالاً عليه.
٣. ليس المقصودُ تَرْكُ الدنيا والابتعادُ عنها، إنما المقصود أن يفهمَ الإنسانُ حقيقتَها، وهي حقيقةٌ حينَ يَتَعَمَّقُ القلبُ في طلبِ الحقيقةِ، حقيقةٌ لا يَقْصِدُ بِها القرآنُ العُزْلَةَ عن حياة الأرْض، ولا إهمالِ عِمارَتِها وخِلافَتِها التي ناطَها بهذا الكائنِ البشريّ، إنما يقصِدُ بها تصحيحَ المقاييسِ الشُّعوريَّة والقِيَمِ النَّفسية، والاسْتعلاء على غُرور المتاعِ الزَّائلِ وجاذبيَّتِه المُقيَّدة بالأرض، هذا الاستعلاءُ الذي كان المسلمون في حاجةٍ إليه ليُحَقّقوا إيمانَهم، والذي يَحتاجُ إليه كل مُؤمِنٍ بعقيدة، ليحقق عقيدتَه ولو اقتضى تحقيقَها أن يُضَحِّيَ بهذه الحياةِ الدُّنيا جميعاً[٢].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢١/٤٦٨،٤٦٧)، بتصرف يسير.

(٢) في ظلال القرآن، (٦/٣٤٩١)، بتصرف يسير.

٤. القضيَّةُ هي أن يعبدَ الإنسانُ رَبَّه ويتعرَّف عليه، ويتقرّب إليه بصنوف الطاعات والعبادات والقُرُبات، ويَحْتَسِبَ ما يفعَلُه في هذه الدنيا من أجلِه سبحانه والذي سيلاقيه ثواباً جزيلاً عند ربه يوم القيامة، وتكون دُنياه سعيدةً يزْرَعُ فيها الإنسانُ لآخرَتِه، يقول الإمام محمد الغزالي رحمه الله: "إن أمراض البشر متشابهة ودواؤها واحد، وقد جاءت صفةُ هذا الدواء القديم في نصيحة "هود" لقومِه، إنهم لم يُكلَّفوا بتركِ ما هم فيه من النعماء، كلا، لِتَبْقَ لهم مساكنُهم وجناتُهم، وليضُمُّوا إلى ذلك شيئاً واحداً، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ*وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الشعراء: ١٣١-١٣٥]، إن الله لم يَعِد التائبينَ بالحرمان والشَظَف..."(١).

٥. نظرةُ الإسلامِ للدنيا أن تكونَ الدنيا مزرعةً للآخرة، فلم يطلب منا أن نَتْرُكَها ونَعزُفَ عنها ولا أن نَتَرَهْبَنَ فيها، فعندما جاء ثلاثةُ نفرٍ يسألون عن عبادةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وتقالّوها وأرادوا أن يترهبنوا بترك الطعام والنساء والنوم، غَضِبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حتى عُرِفَ في وَجْهِه، وأصَّلَ مفهوماً مُهماً، إن اضطرب هذا المفهومُ ستضطَرِبُ الحياةُ كثيراً وسيُصبِحُ الدينُ عِبئاً على حياة الناس شاقّاً عليهم، وبالتالي سيرفض كثيرٌ من الناس الدين، لكن دينَ الله يسرٌ راعى فيه مصالح الدنيا والآخرة.

٦. يجب على الإنسانِ أن يَفْهَمَ دَوْرَه في هذه الحياةِ الدنيا وأن الله خَلَقَه لعبادتِه ومعرفتِه وتعظيمه وتقديسه، وأن وظيفتَه في هذه الدنيا عمارةُ الأرض، واستخلفه الله فيها لينظر كيف يعمل فيها الإنسان، فلا يجعلُ الإنسانُ الدنيا دار بقاءٍ يعملُ لأجلها وينسى الدار الآخرة؛ فإن ذلك يوبقه ويدخله الخسران المبين.

---

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، ص٩٢.

المطلب الثاني:
التحذير من الشيطان ووساوسه

كان إبليس يسكُنُ السماوات مع الملائكة وكان طائعاً لربّه ويُنَفِّذُ أوامره، ولمّا خلق اللهُ آدم عليه السلام، ونَفَخَ فيه الروحَ، وأمر الملائكةَ بالسُّجودِ له رَفض إبليسُ أن يسجُدَ وعصى أمرَ ربِهِ سُبحانَه وتعالى، فكان أن طَرَدَه الله من رحمته، ثُمَّ أَسْكنَ اللهُ آدمَ الجَنَّةَ ونهاه أن يأكُلَ من الشّجرة، فوسوس له الشيطان وأغواه، فأكل آدمُ من الشجرة، وأُهْبِطَ إلى الأرض هو وزوجُه حوَّاء.

من هنا كانت البداية: نصب الشيطانُ رايةَ العَداءِ لأبينا آدم، وقطعَ وَعْداً أمام اللهِ وحلف بعزةِ الله أن يكون شُغلَه الشاغل هو إغواءُ بني آدمَ وإضلالُهم، واجتلالهم عن دينهم وعن الصراط المُستقيم.

إن معرفة هذه البداية مُهمّة لتحديد علاقتنا مع الشيطان، فهي ليست علاقة عاديّة، إنها حربٌ مفتوحةٌ لا تنتهي إلا بموت الإنسان، حربٌ لا ينامُ فيها الأعداء –أي الشياطين– يوسوسون ويفتنون ويغرون ويغوون، ويَجرُون من ابن آدمَ مجرى الدَّم، والمعصومُ من عَصَمَ اللهُ.

وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

أولاً: التعريف بالشيطان:

والشيطان لغةً من مادة (شَطَنَ)، الشين والطاء والنون أصلٌ مُطّردٌ صحيح يدل على البُعد، يُقال: شَطَنت الدار تَشْطُنُ شُطوناً إذا غربت، ونوىً شطون، أي: بعيدة. وأما الشيطان: فقال قوم: هو من هذا الباب، والنون فيه أصلية، فسُمِّيَ بذلك لبُعدِه عن الحقِّ وتَمَرُّدِه[١]. وفي لسان العرب: والشيطان: فعلان، من شاط يشيط، أي يحترق[٢]. "وهو المُحرَقُ في الدنيا والآخرة، والعصيِّ الآبي الممتلئ شرّاً ومَكْراً، أو المُتَمادِي في الطُّغيان المُمْتَد إلى العِصيان"[٣].

ويُسَمى إبليس، من بَلَسَ، يُقال: أبلَسَ إذا يئس، قالوا: ومن ذلك اشتُقَّ اسم إبليس، كأنه يئس من رحمة الله[٤].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، (١٨٤/٣).

(٢) انظر: لسان العرب، (٣٣٩/٧).

(٣) الكليات، (٥٤٠/١).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، (٣٠٠/١).

وإبليس أبو الشياطين، وأصلُهم الأول، والشياطين هم المُتَمَرّدون من عالم الجنّ. وإذا كانت الملائكة هُم جُندُ الله الذين يُمَثلون الخيرَ والفلاح والصّلاح، فإن إبليس ومن معه من الشياطين هم أعداء الله الذينَ يُمَثّلون الشرّ والفساد، فأعمال الملائكة والشياطين على طَرَفَيْ نَقيض، والشياطين هي التي دَعَت إلى تحريف الدين، والخروجِ عن الفِطرَة، وإلى الإشراكِ بالله، وحَرّمت الحلال، وأحَلّت الحرام، ولا تزال الشياطينُ تَقعُدُ للإنسان بكل طريقٍ صادّةً عن سبيل الله ومُحاوِلةً صَرفَه عن جلائلِ الأعمال[1].

ثانياً: التحذير من عداوة الشيطان:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى بعداوة إبليس لنا، وكيف أنه يغوينا ويُضلّنا، وما من سبيلٍ من سُبُل الشرِّ والضّلال إلا والشياطينُ على رأس تلك الطُرُق تُغري النّاسَ بولوجِها والغَرَقِ في متاهاتِها.

فالشيطانُ يُمَثّلُ الشَّرَّ في الأرض، ويَعمَلُ دائباً على تَدميرِ حياةِ الإنسان بزَحْزَحَتِه عن هدايةِ الله، وإبعادِه عن منهجِ الحقِّ والرّشاد، ولهذا حذَّرَنا اللهُ من كَيْدِه، وأخبَرَنا بعداوَتِه، ودَعا إلى مُقاومَتِه بكُلِّ وسيلةٍ حتّى يضعُفَ سُلْطانُه، وتَخَفَّ شُرورُه وآثامُه[2].

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر: ٥-٦]، بأنْ يُذهلكم التَّمتع بمتاعِها ويُلهيكم التَّلهي بزخارِفها عن تداركِ ما يهمكم يومَ حلولِ الميعادِ، والمرادُ نهيُهم عن الاغترار بها، وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بالله وعفوِه وكرمه تعالى، والغَرور، أي: المبالغُ في الغُرور وهو الشَّيطانُ بأنْ يمنيكم المغفرةَ مع الإصرارِ على المعاصِي قائلاً اعملوا ما شئتُم أَنَّ الله غَفُورٌ يغفِرُ الذُّنوبَ جميعاً، فإنَّ ذلكَ وإنْ أمكنَ لكنْ تعاطي الذّنوبِ بهذا التَّوقعِ من قبيلِ تناولِ السُّمِّ تعويلاً على دفعِ الطَّبيعة[3].

ويذكر اللهُ طرفاً من أعمال الشيطان في إغواء بني آدم: ﴿**إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً *لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورا**﴾ [النساء: ١١٧-١٢٠].

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، (١/١٣٩-١٤١).

(٢) المصدر السابق، (١/١٤٥).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٧/١٤٣).

فإن الشيطان يدعو إلى الضلالة والوسوسة والتزينن، وإلقاء الأماني الباطلة في قلوب الناس من طول الأعمار وبلوغ الآمال، ويدعو إلى تغيير خلقِ الله، وفي كل هذا انحرافٌ عن سبيل الله وعن الصراط المستقيم.

ثالثاً: التوجيهات التربوية المستفادة:

١. إبليس والشياطين هم أعداءُ الله، وهم بدورِهم رمز الشر والفساد في هذا العالم.
٢. الشياطين هي التي دعَت إلى تحريف الدين والخروج عن الفطرة، وإلى الإشراك بالله، وحرَّمت الحلال، وأحلَّت الحرام.
٣. طاعة الشياطين تصير بالإنسان إلى الهلاك والضلال، وفي الآخرة يكون من أصحاب السعير.
٤. الشيطان يستخدم أسلوب التزيين والوسوسة، ويُلقي في قلوب الناس الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال، فينبغي على المسلم أن يحذَر من هذا الأمر، ولا يستلم لإغراءات الشيطان وإغواءاته.
٥. "الشيطان ما يعدُ أتباعَه إلا غروراً، بإِيهَامُ النَّفْعِ وَالصَّلَاحِ فِيمَا هُوَ ضُرٌّ وَفَسَادٌ"[١]، وفعلُه هذا كمن يتناولُ السُّمَ وينتظر منه الخير.
٦. "عداوة الإنسان للشيطان تكون بطاعة الله، وعدم طاعة الشيطان في معصية الله، وعداوةُ الشيطان للإنسان تكون بدعوة أصحابِه وأتباعه إلى معاصي الله سبحانَه لأجل أن يكونوا من أهل النار"[٢].

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٥٨/٢٢).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٩/٤).

المطلب الثالث:

نفي التسوية بين العمل الصالح والعمل الطالح

خلق اللهُ سبحانَه وتعالى السماواتِ والأرضَ بالحقّ، ولم يخلُقْهُما عبثاً ولا باطلاً، ونصب الأدلة والبراهين السّاطعة على ذلك، ووضع الميزان بالحق والقسط والعدل، وأمَرَ عباده بأن يعبدوه وأن يُسارِعوا ويُسابِقوا في الطاعات والقُرُبات، ووعدَهم على ذلك الأجور العظيمة والدرجات العالية الرفيعة.

والعباد بين مؤمن بالله جل في عُلاه، وبين كافرٍ جاحِدٍ بالله مولاه، والقرآن الكريم ينفي تماماً المساواة بين المؤمن والكافر في كثيرٍ من آياته، وكذلك ينفي المُساواة بين العمل الصالح والعمل الطالِح، ولولا ذلك لكان العبثُ في الكَون، ولبطلَت كثيرٌ من الأحكام والحِكَم، ولسَفِهَ العقلُ، وما كانت هناك حاجة للرُّسل ولا الكُتب، وتعطَّلت قوانين الجزاء والعقاب والثواب، ويا لحال الناسِ حينئذٍ.

فكان العدل والحكمة في عدم المساواة بين المؤمن والكافر، وكذلك بين العمل الصالح والطالح، بل إن المؤمنين يتفاوتون فيما بينهم تفاوتاً عظيماً، وكذلك الأعمال الصالحة تتفاوت فيما بينها، يقول تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّور**﴾ [فاطر: ١٩-٢٠]، هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وللكافرين، فكما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة في حقيقتها وفائدتها، كذلك لا يتساوى الكافر والمؤمن؛ فالمؤمن سميع بصير يمشي في نور على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال الوارفة والعيون المتدفقة، والكافر أصم أعمى يمشي في ظلمات لا خروج له منها، بل يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى ينتهي به الأمر إلى الحرور والسموم والحميم[١].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. تفجير طاقات الإنسان في مجالات الاكتشاف والعلوم، والسعي دائماً لاكتشاف أسرار الكون والطبيعة؛ لأن هذا الإنسان يعلم أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.
٢. لو استوى القائم بأمر الله مع القاعد، لما كان هناك حاجة للأنبياء والدعاة والمصلحين، وبالتالي لن يقوم الناس لتغيير أحوالهم إن ساءت، ولن يأمروا بالمعروف ولن ينهَوا عن المنكر، لكن لما لم يكن كذلك، وكان الذي يقوم على إصلاح شؤون الناس في السياسة

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (٢٢/٢٥٤)، بتصرف.

والدين والحياة وريثاً لدعوة الأنبياء –لذلك ينبري للإصلاح خير الناس على مدار الأزمان عند فساد أحوال الناس.

٣. بيان أثر اسم الله الحكيم واسم الله العدل، في خلق السماوات والأرض بالحق، وفي إثابة الطائع، ومعاقبة العاصي، وإلا لكان الكون فيه من العبث والفساد، والله سبحانه وتعالى مُنَزّهٌ عن ذلك.

٤. تسابق الناس ومسارعهم في الطاعات والقربات إلى الله سبحانه، حتى ينالوا أعلى الدرجات عند الله في الجِنان.

٥. القرآن الكريم رسخ مفهوم عدم المساواة في كثير من آياته، فنفى المساواة بين الموحد والمشرك، وبين المؤمن والكافر، وبين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وبين المسلمين والمجرمين، وبين أصحاب النار وأصحاب الجنة، وبين المجاهد والقاعد، وبين من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع أمثالهم من بعد الفتح، وبين الأحياء والأموات، وبين الأعمى والبصير والظلمات والنور؛فقانون عدم المساواة قانون مهم جداً، وهو يرتكز على حكمة الله وعدله في مقدماته ونتائجه.

المطلب الرابع:
بيان أن كل نفس بما كسبت رهينة وتقطع الأنساب يوم القيامة

إن ميزان العبدِ عند الله سبحانه وتعالى إنما هو بإيمانِه وبأعماله الصالحة التي يعملها، والعملةُ الوحيدةُ الساريةُ المفعول يوم القيامة هي لغة الحسنات التي هي أجور الأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان في الحياة الدنيا.

وسورة فاطر قررت هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى**﴾ [فاطر: ١٨]، وبيانُ ذلك أنه لا تحمل نفسٌ آثمةٌ وِزْرَ أُخْرى، أي: إثمَ نفسٍ أخرى، بل إنما تحملُ وِزْرَها الذي اقْتَرَفَتْه، لا تُؤخَذُ نفسٌ بذنب نفس، كما تأخذ جبابرة الدنيا الوليّ بالوليّ والجار بالجار، "ولا يرد آية ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ**﴾ [العنكبوت: ١٣] ، لأنها في الضالين المضلين، وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله أوزارهم، ما فيها شيء من وزر غيرهم، ﴿**وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ**﴾ أي: نفسٌ أثقلَتْها الأوزار إلى حِمْلِها، أي: إلى حمل بعض أوزارها ليخفف عنها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ، أي لم تُجَب ولم تُغَث بحمل شيءٍ وَلَوْ كانَ أي المدعوُّ المفهوم من الدعوة ذا قُرْبى أي ذا قرابة من الداعي، من أب أو ولد أو أخ، وهذا قطع لأطماع انتفاعهم بقرابتهم وغنائهم عنهم، وأنه لا تملك نفس لنفس شيئا، وأن كل امرئ بما كسب رهين"(١).

في سورة التكوير أقسم الله سبحانه وتعالى اثنا عشر قَسَماً، كان جواب هذه الأقسام جُملةً خطيرةً وهي قوله تعالى: ﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**﴾ [التكوير: ١٤]، قال فيها عمر بن الخطاب: "وإلى هذا جرى الحديث"(٢)، فجواب هذه الأقسام أن كل نفسٍ يوم القيامة تعلم تماماً ما قدّمت من خيرٍ أو شر؛ فالإنسان مرهونٌ بعمله، وإن أعمال الإنسان هي التي تُحَدِّدُ مصيره يوم القيامة، وهي التي تُوزَن، وفي النهاية أعمالُه هي التي تُدخِلُه الجنة، وهي التي تُدخِله النار-والعياذُ بالله-.

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ"(٣).

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، (١٦٥/٨).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢٥١/٢٤).

(٣) صحيح البخاري، (٣٤/١)، كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل، حديث (١١٥).

أشار صلى الله عليه وسلم بذلك إلى مُوجِبِ اسْتيقاظِ أزواجِه أي: يَنْبَغِي لهُنّ أن لا يَتَغافلن عن العبادة ويَعْتَمِدْنَ على كَوْنِهِنَّ أزواجَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم(١).

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. أهمية العمل وأنه المعيار الأساس في ميزان الله سبحانه وتعالى، إذ أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لن يشفعَ لهن كونُهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، إذا لم يأتين بالأعمال الصالحة.
٢. القرآنُ الكريم دائماً ما يقرن الإيمان بالعمل الصالح في كثير من المواضِع، دالّاً على التلازم بينهما، فإن العمل الصالح هو الشاهد والدليل على إيمان العبد، وقوّة الإيمان تؤدي إلى زيادة الأعمال الصالحة، كما أن الأعمال الصالحة تؤثر في زيادة الإيمان.
٣. اللهُ سبحانه وتعالى لا يُحابِي أحداً من خلقِه لعرقٍ أو لونٍ أو نسبٍ، إنما المعيار عند الله سبحانه الإيمان والعمل الصالح، في الحديث القدسي جاء فيه: "يا عبادي إنَّما هي أعْمالُكمْ أُحْصِيها لكم، ثم أُوَفِّيكُم إيَّاها، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرَاً، فَلْيَحْمَدِ اللهَ ومَنْ وَجدَ غيرَ ذلك، فلا يَلُومَنَّ إلا نفسَه"(٢).
٤. يوم القيامة تنقطع الأنساب وتزول بينها الأوصال، ولا ينفعُ الإنسانَ أقاربُه ولا أرحامُه؛ إذا لم يكن له عملٌ صالح، وفي هذا جاء في الحديث: "من بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نسبُه"(٣).
٥. مَلاكُ النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة هو الخُلُقُ الإنسانيُّ السليم؛ فإنَّ الإنسانَ إذا التزم الأخلاقَ السليمةَ التي جاء بها الإسلام فكُلُّ ما يَصدُرُ منه هو عملٌ صالح، وهذا الإنسان هو الإنسانُ المرضي عند الله، وهو الذي يَكْتُبَ اللهُ له سعادةَ الدّارَيْن، قال تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ١-٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، (٢١١/١).

(٢) صحيح مسلم، (١٩٩٤/٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٢٠٧٤/٤)، حديث رقم (٢٦٩٩).

مجالات العمل الصالح:

والعمل الصالح لا يقتصر على مجرّد الشعائر التعبدّية من صلاة وصيام وأذكار وغيرها من العبادات؛ إنّما هو أبواب واسعة متعددة كثيرة، فالعمل الصالح كلمة واسعة تشمل هذه العبادات وغيرها، فكُل عملٍ يفيد المجتمع الإنساني ويعود إلى الناس جميعاً بالخير والفائدة فهو من العمل الصالح الذي يأمر الله سبحانه وتعالى به، وإذا تُوِّجَ هذا العمل بالنّيّة الحسنة والقصد إلى اتباع مرضاة الله عز وجل فهو من لُبِّ العبادات التي يأمر الله سبحانه بها عباده.

ومن المفاهيم الخاطئة التي سادت عند كثير من الناس أن العمل الصالح الذي يُقَرِّبُ العبدَ من الله إنما هي قائمة هذه العبادات التي يُمارَسُ أكثَرُها في المساجد، فإذا خرج الإنسان إلى المجتمع أو إلى داره فلا شأن لله سبحانه وتعالى فيما يمارسه الإنسان من الأعمال الأخرى، وهذا خطأٌ كبيرٌ فادِح في فهم دين اللهِ سبحانه وتعالى.

إن المجتمع محرابُ عبادة: فعندما يكون الإنسانُ في بيته مع أسرته، مطلوبٌ منه أن يقوم على شؤونهم، ويسعدهم، ويربيهم، ويصلح أمور دينهم ودنياهم، وكل هذا من العمل الصالح.

وفي مجالات العمل مطلوبٌ من الإنسان أن يسعى في طلب رزقه وفي ذات الوقت مطلوب منه أن يطلب الحلال ويجتنب الحرام، وهو بذلك مأجورٌ مغفور له، ومطلوبٌ منه أن ينصح المسلمين في عمله ويقدم لهم الخدمة ويؤدي مصالح الناس وحاجاتهم ومنافعهم، وكل ذلك من العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه.

وفي العلاقات الاجتماعيّة سواءً العائلية أو المعارف والأصحاب والجيران، واجبٌ على الإنسان أن يكون حَسَن المعاشرة، طيّب الخلق، يتفقد أحوال أقاربه وجيرانه وأصدقائه، يزورُهم، يحسن إليهم، يتصدق على مُحْتاجِهم، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المُنكَر وينصحُ لهم، وكل هذا وذاك من الأعمال الصالحة العظيمة التي يحبها اللهُ ويرضاها، وتكونُ سبباً في دخول الإنسان الجنة ونجاته من النار.

تَقَطُّعُ الأنساب يوم القيامة:

ذكرنا أن المُعَوَّلُ عليه يومَ القيامة هو العملُ الصالحُ وحدَه، ولا ينفعُ الإنسانَ شيءٌ يوم القيامة إن لم ينفعْهُ عَمَلُه، يقول تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩]. "فإن الأموال والبنين لا تغني عن الإنسان شيئاً يوم القيامة إن لم يكن له عملٌ صالحٌ ينجيه، فلا ينفعُ شيءٌ من هذه

القِيَم الزائلة الباطِلة، التي يتكالَب عليها المُتَكالِبون في الأرض وهي لا تَزِنُ شيئاً في الميزان الأخير"[1].

ويقول تعالى أيضاً في تقَطُّع الأنساب: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣]. فهُنا الأنساب لن تغني عن الإنسان شيئاً، لن ينفعه أبوه، ولن تعطِفَ عليه أمُه، ولن تدفعَ عنه قبيلتُه وعشيرتُه، ولَن يبكيَ عليه ابنُه ولا بِنتُه، ولن تُشفِقَ عليه زوجتُه، كل هؤلاء وغيرُهم لا يملك أحدٌ لأحدٍ شيئاً، ﴿**يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ [الانفطار: ١٩]. نَسبُه هناك إنما هو عَمَلُه فقط، قال ابنُ مَسْعود رضيَ اللهُ عنه: "يُؤْخَذُ العبدُ والأَمَةُ يومَ القيامَةِ على رُؤوسِ الأشْهادِ، ويُنادي مُنادٍ: ألا إنَّ هذا فُلان، فَمَنْ له عليهِ حَقٌّ فَلْيأْتِ إلى حَقِّه، فَتفْرَحُ المرأةُ حِينَئذٍ أنْ يَثْبُتَ لها حقٌّ على أُمِّها أو أُخْتِها أو أَبيها أو أخيها أو ابْنِها أو زَوْجِها، فلا أنسابَ بينهم يومَئذٍ ولا يَتَساءَلون"[2].

---

(١) في ظلال القرآن، (٢٦٠٥/٥).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، (٢٠١/٤).

المطلب الخامس:
الترغيب في العلم وتشريف العلماء

إنَّ الإسلام دينُ العِلم، ونصوصُ القرآنِ والسُّنةِ مَليئةٌ بالشَّواهِدِ على فضيلةِ العِلم والترغيب فيه، وتشريفِ أهلِه، وإن أوَّل ما نزل من القُرآن الآيات: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١-٥]، الآيات تحدّثت عن القراءة، وأداة العلم وهي القلم، وتعليم الإنسان ما لم يعلم. وفي تعداد هذه النعم وتذكير الإنسان بها دليلٌ على فضيلتها، وعظمتها على غيرها من سائر النِّعم.

فكان سر تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات هو قابليّة الإنسان للتعلم، بما وضع الله فيه من حواس وعقل وجوارِح، وميّزه عن سائر المخلوقات بذلك، فإن الذي فُضِّل به آدم على الملائكة إنما هو العِلم، وما سجد الملائكةُ لآدم إلا بعدَ أن عرفوا فضيلَته بالعلمِ عليهِم.

في سورة فاطر ذكر اللهُ تعالى فضيلةَ أهل العلم وأنَّهم أهلُ خشيته: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٨]، "فالعلماء به الذين علِموه بصفاته فعظَّموه ومن ازداد علماً به ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمن"[١]، "وكفى بهذه الجملة الكريمة مدحاً للعلماء، حيث قصر سبحانه خشيتَه عليهم"[٢]، "وإن خشيةَ الله بقدر معرفته سبحانَه وتعالى، والعالِم يعرف الله فيخافُه ويرجوه؛ وهذا دليلٌ على أن العالم أعلى درجةً من العابِد، لأن الله تعالى قال: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، فبين أن الكرامة بقدرِ التقوى، والتقوى بقدر العلم؛ فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل"[٣].

التوجيهات التربوية المستنبطة:

١. القرآن بشكلٍ عام مليء بالتعاليم والمواعظ والآيات، وكلها تحتاج إلى عقول واعية، وقلوب فاهمة تستوعب هذه المعلومات والمراد منها، يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٣].
٢. الآيات التي تتحدث عن المخلوقات وشواهد الكون تدعونا لأن نتفكر فيها، ونبحث عن أسرار صُنعِ الله فيها، ونُعمل عقولنا فيها؛ لنصل من خلالها إلى الله العظيم مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣/٨٦).
(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي، (١١/٣٤٥).
(٣) مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٣٦).

٣. غايةُ العلم هي الوصول إلى معرفةِ الله سبحانَه وتعالى وتحقيق الخشيةِ منه.

٤. "كلما كانت المعرفة لله العظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، وكلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"(١).

٥. العلم سبيل الخشية، "فمن لا علم له بالله فلا خشية له؛ إنما يخشى الله من عباده العلماء"(٢).

٦. في الصراع بين الحضارات وبين الحق والباطل يكون للعلم دور خطير وحساس جداً في ترجيح كفة أحد الأطراف على الآخرين، فإنه بقدر الأخذ بوسائل العلم والتطور، ومفاجأة الخصم بمعادلات جديدة، وأسلحة جديدة، وخطط جديدة بقدر ما يحدث تغيير في معادلات الصِّراع.

٧. لا بُد لنا من وضعِ العِلم في مكانِه الصحيح من الدِّين، وأن دين الإسلام لا يتعارض مع العِلم ولا ينبُذُه، وأمةُ الإسلام ما سادت ولا تقدَّمت ولا حكمت العالم إلا بعد أن كانت سابقةً في العِلم، وما أصيبت الأمة بهذا الهوان والذل إلا بعد أن تخلَّفت عن ركاب العِلم، وانشغلت بمُتَع الدنيا الزائلة الزائفة، وتَقاعَسَت عن البحث في أعماق الكون وعن سَبْرِ أغوار مخفِيَّاتِ الأسرار، فنَسِيَت وظيفتَها في عمارةِ الأرض، ونسيَت استخلافَ اللهِ لها في هذا الأرض، ولن تَسودَ أمةُ الإسلامِ الأُمَمَ إلا بعد أن تعود إلى وظيفتِها، وتمسكَ بزمام العلم، وتُقَدِّمَ العلماء، وتخصيص جزء من ميزانية الدولة لتصرف على البحث العِلميّ، وتبحث عن الطاقات المدفونة هنا وهناك وتوفّر لها ما تحتاجُه لأجلِ أن تنبُغَ وتقدّم للعالم بدائعَ العلوم والتقنيات، وحينَ تؤدّي وظيفتها وتقوم بها على أحسنِ وجه؛ حينها ستستحقُّ نصر اللهِ وتمكينَه لها، ثُم في الآخرة تنالُ أعلى الدرجات في الجنَّات، والرضوانَ من رب البَريَّات.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/٥٤٤).

(٢) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤/٣٥٤).

المطلب السادس:
تشريفُ حَمَلَةِ القرآن

يُعْتَبَرُ القرآنُ الكريمُ أفضلَ كتابٍ أنزلَه الله إلى الأرض، وكذا هو أقوى مُعجِزةٍ تحدَّى اللهُ بها البَشر تجاوزت أبعادُها حدودَ الزمان والمكان والأشخاص، وحدودَ كلِّ فنٍّ وعِلم، ونال شرف الحِفظِ والتخليدِ من ربِّ العالمين.

لمَّا نالَ القرآنُ هذا الفضلَ والشَّرف، حازَ حَمَلَتُه ذلك الشَّرَف تَبَعاً لِما حَمَلوه من قُرآن، فقد شرَّف اللهُ سبحانه وتعالى حملةَ القُرآن وأثنى عليهم في كتابِه، ووعَدَهُم الثّوابَ العظيم والأجرَ الجزيل، فقال سبحانه: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

يخبرُ الله عن الذين اصطفاهم من عبادِه على سائر الأمم، وجعَلَهم أمةً وسَطاً، واخْتَصَّهُم بكرامة الانتماء إلى أفضلِ رُسُلِ الله، وحَمْلِ الكتاب الذي هو أفضلُ كتاب، وَوَعَدَهم على ذلك الفضلَ الكبير وجنّات عدْن[١].

وحَمَلةُ القرآنِ هم أهلُه الذين يتلونَه آناءَ الليل وأطرافَ النَّهارِ، ويعملون به فيُحِلّونَ حلالَه ويُحَرّمونَ حرامَه، والذينَ يتَخَلّقونَ بأخلاق القرآن ويترَقّونَ لكمالاتِه، ويتَدبّرونَ آياتِه، وهم أيضاً الذين يتعلّمونه ويُعَلّمونه ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى، وهُم الذين يحفظونَ آياتِه في صدورِهم، ويفهمونها بعقولهم وقلوبهم.

وقد اختَصَّ اللهُ سبحانه وتعالى أهلَ القرآن بميزةٍ لم يتميّز بها أحدٌ سواهُم، ففي الحديث عن أنس قال: قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّم: "إنّ للهِ أهْلِينَ من الناس" قيل: من هُم يا رسولَ الله؟ قال: "أهلُ القرآنِ هُم أهلُ اللهِ وخاصَّتُه"[٢].

"والحاصِل أنّه إذا كان خيرُ الكلامِ كلامَ اللهِ، فكذلكَ خيرُ النّاس بعدَ النّبيّين من يتعلّمِ القُرآنَ ويُعَلِّمُهُ، لكِن لابُدَّ من تَقْيِيدِ التَّعَلُّمِ والتَّعليمِ بالإخلاص"[٣]، وأهلُ القرآن هُمْ حَفَظَةُ القُرآنِ العامِلونَ

---

(١) انظر: الكشاف، (٦١٢/٣).

(٢) مسند أحمد، (٣٠٥/١٩)، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث (١٢٢٩٢)، وقال شعيب الأرنؤوط تعليقاً على الحديث: إسناده حسن، من أجل عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة العقيلي، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (١٤٥٣/٤).

به، وهُم أولياءُ اللهِ المُخْتَصُّونَ بِه اختصاصَ أهلِ الإنسانِ به، سُمُّوا بذلكَ تَعْظِيماً لهم كما يقال: بيتُ الله[١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا"[٢].

جاء في الأثرِ أنَّ عددَ آيِ القُرآن على قَدْرِ عددِ دَرَجِ الجَنَّة، "فمن استوفى قراءةَ جميعِ القرآنِ استولَى على أَقْصَى دَرَجِ الجنة، ومن قَرَأَ جُزْءاً منها كان رُقِيُّهُ في الدرج على قَدْرِ ذلك، فيكونُ مُنْتَهى الثَّوابِ على قَدْرِ مُنْتَهى القراءة"[٣]. وقال ابنُ حجرٍ: "ويؤْخَذُ من الحديث أنّه لا يَنَالُ هذا الثوابَ الأعْظَمَ إلا من حَفِظَ القُرآنَ وأتْقَنَ أداءَه وقِراءَتَه كما ينبغي له"[٤]

فكان شرفاً عظيماً أن يكون المسلمُ من حَمَلَةِ القرآن وأهلِه، لِما قد مرَّ من البِشارات والخيرات الحاصلة لحملته، كيف لا؟! وهم الذين حَوَوا في صدورِهم أعظَمَ كتابٍ أنزلَه اللهُ على البشريَّة، كيفَ وهم يسيرون بين الناسِ بنورِ الوَحيِ الإلهي، وهم يحملون في أيديهِم مصابيحَ تنيرُ للناس طُرُقَهم، وتُرشدُ الحَيارَى وهُم يتخبّطونَ في دياجيرِ الظلام.

وحملُ القرآن لا يكون بحفظ سوره، وتلاوة آياتِه في الجلوات والخلوات والمسابقات فحسب، إن حامل القرآن لا يكون حاملاً له حقاً إلا إذا كان ترجماناً له في صورة إنسان، يسيرُ بينَ النّاس بخُلُق القرآن، يقرأُ القرآن بالليل ثم يطبقه في النهار، يُحاكِمُ معاملاتِه وشؤونَ حياتِه إليه.

يقول الشهيد سيد قطب: "إنهم –في الجيل الأول– لم يكونوا يقرؤون القرآنَ بِقَصْدِ الثَّقافةِ والاطِّلاع، ولا بِقَصْدِ التَذَّوُّقِ والمَتاع، لم يكن أحدُهم يتَلَقَّى القرآن ليستكثِر به من زادِ الثَّقافةِ لمُجرَّد الثقافة، ولا لُيضيفَ إلى حَصِيلَتِه من القَضايا العِلميِّة والفِقهِيَّةِ مَحْصولاً يمْلأُ به جُعْبَته؛ إنما كان يتلقى القرآنَ ليتلقى أمرَ اللهِ في خاصّة شأنِه وشأن الجماعةِ التي يعيشُ فيها، وشأن الحياةِ التي يحياها هو وجماعتُه، يتلقى ذلك الأمرَ ليعمَلَ به فورَ سماعِه، كما يتلقى الجنديُّ في الميدانِ

---

(١) فيض القدير، زين الدين المناوي، (٨٧/٣).

(٢) مسند أحمد، (٤٠٤/١١)، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث (٦٧٩٩). قال شعيب الآرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. وأخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، (١٧٧/٥)، حديث (٢٩١٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) شرح سنن أبي داوود، بدر الدين العيني، (٣٨١/٥).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن الهروي، (١٤٦٩/٤).

"الأمرَ اليومي" ليعملَ به فورَ تَلَقِّيه! ومن ثَّم لم يكُن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة، لأنه كان يُحِسُّ أنه إنما يستكثِر من واجباتٍ وتكاليفَ يجعلها على عاتِقِه، فكان يكتفي بعشرِ آياتٍ حتى يحفَظَها ويعملَ بها، كما جاء في حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

هذا الشعورُ.. شعورُ التَلَقِّي للتَّنفيذ.. كان يفتحُ لهم من القرآنِ آفاقًا من المتاعِ وآفاقًا من المعرفةِ، لم تكن لتفتحَ عليهم لو أنهم قَصَدوا إليه بشعورِ البَحثِ والدِّراسةِ والاطِّلاع، وكان يُيَسِّرُ لهم العملَ، ويُخَفِفُّ عنهم ثِقَلَ التَّكاليف، ويَخْلِطُ القرآنَ بذواتِهم، ويُحَوِّلُه في نُفوسِهم وفي حياتِهم إلى منهجٍ واقعيٍّ، وإلى ثقافَةٍ مُتَحركةٍ لا تبقى داخل الأذهانِ ولا في بُطونِ الصحائف، إنما تتحول آثارًا وأحداثًا تُحَوِّلُ خَطَّ سَيْرِ الحَياة"(١).

إن النَّجاةَ الوحيدةَ للبشرية الضالَّة الشاردةِ في هذا الزَّمان هو كتابُ اللهِ سبحانه وتعالى، إن فيه حلولاً لمشكلاتهم السياسية، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والتّربويّة، والنّفسية، إلى غير ذلك من النّواحي التي يعيشها النّاس. والناظر إلى حال الأمم في هذا الزمان يرى انحداراً مُرَوِّعاً في سلوك البشر عن الفطرةِ التي فطر الله الناس عليها، وقد جرب الحكام والمشرِّعون من البشر جميع قوانينهم الأرضية واستنفدوا طاقاتهم، فما زادت البشريةُ إلا شقاءً؛ فالنجاةُ هي التمسك بكتاب الله، وإعادةُ دورِه في قيادة زمام الحياة، وتحكيمِه في حياةِ النَّاس، وتطبيقِه واقعاً في جميعِ شؤون حياتِهم، وبجعله الدستور الأعظم والأساس في قوانينهم وتشريعاتِهم.

لكن في النهاية لا يكونُ ذلك إلا برجالٍ يحملون القرآن كما حمله الصحابة الأولون، والخلفاءُ المهتدون العادلون، والعلماء المجدِدُون المصلحون، والمجاهدون الصادقون الصابرون، حينها ينزل أولئك بالقرآن في الحياة دحضاً للباطل، ومجاهدةً للفساد وأهله، وإصلاحاً وتعميراً للأرض بعدما ظهر الفسادُ في برّها وبحرِها بما كسبَت أيدي فُجَّارِها وكُفّارِها، وحينها يتحقق قولُه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

---

(١) معالم في الطريق، سيد قطب، (١٥/١).

المطلب السابع:
تزكية النفس بالأعمال الصالحة واجتناب السيئات

أولُ ما جاءت به الأديانُ –بعد قضيَّةِ الإيمانِ بالله سبحانه– إصلاحُ النفوسِ وتَزكيُتَها وتهذيبُها، وذلك لتَهْيِئَتِها لتحقيقِ العبوديّة لله سبحانه وتعالى، والخضوع له ولجلاله، وكذلك للترقي بالنفس والروح في معارج القُدُسِ والسُّموّ الرّوحي، ثم لاستقبالِ التكاليف الشرعية، والتعاليم الدينيّة.

ونصوصُ الشرعِ مليئةٌ بهذا الجانِب المهم من الدِّين، إذ تجدُ في القرآن حديثاً مستقلّاً عن التزكية، والأعجبُ أنّك تجد في ثنايا القَصص القرآني، والتشريعات القرآنيّة تذكيراً بقضية ما من قضايا التزكية، سواءً في وسطها، أو تعقيباً عليها عند نهايتها.

ولا عجبَ في ذلك، فإن وظيفةَ القصص القرآني والتشريعات هي تزكية النفوس وتهذيبها للوصول بها إلى مراتِب الكمال البشري، سواءً كان ذلك على صعيد علاقة الفرد بربّه، أو على صعيد علاقة الإنسان بنفسِه، أو في علاقته مع الناسِ حولَه.

وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

أولاً: معنى التزكية:

التزكية لغة: التَّزْكِيَة من زَكَا، بمعنى: النَّماء والرَّيع، وقوله تعالى: ﴿**وَتُزَكِّيهِمْ بِها**﴾، قالوا: تُطَهِّرُهم بها، وأصلُ الزكاة في اللغة: الطّهارةُ والنَّماءُ والبَرَكةُ والمَدح[(١)].

التزكية اصطلاحاً: والتزكية في الشرع: تطهير النُّفُوسِ من الأخلاقِ الذَميمَةِ، ونَزعُ تلك العاداتِ الرَّدِيئةِ، وتَعْوِيدُها الأعمالَ الحَسَنةَ التي تَطْبَعُ في النُّفوسِ مَلكاتِ الخَيْر، ويُبَغِّضُ إليها القَبيحَةَ التي تُغرِيها بالشَّر[(٢)].

ثانياً: كيفية تزكية النفوس:

---

(١) انظر: لسان العرب، (١٤/٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير المنار، (١/٣٨٩).

يقول تعالى في سورة فاطر: ﴿ **وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرِ**﴾ [فاطر: ١٨].

نذكر في نقاط كيفيّة التزكية:

١. تركُ عبادة الأصنام والأوثان، وكذلك كل ما يُعبَد من دون الله، وإفراد اللهِ سبحانه وتعالى وحده بالربوبية والألوهية.
٢. تطهيرُ النفوس من الأخلاق الذميمة، ونزع العادات الرديئة، وإبعادها عن كل المحَرَّمات، بتبغيضها في نفوسِهم، ثم تركِها والابتعادِ عنها وهجرِها.
٣. تخليص النّفس من العلائق الفاسدة، وتصفية القلب من التعلّق بغير الله سواءً كان بشراً، أم غير ذلك من مشتهيات النفوس.
٤. تعويدُ النفوسِ الأعمالَ الحسنة والطاعات والقربات التي تطبعُ في النُّفُوسِ مَلَكاتِ الخير والطبائعَ الحسنة.
٥. التزَوّد من الطاعات والقربات والنوافِل، والإقبالُ على الله سبحانه وتعالى بكُلِّه، وترك ما يُشْغِله عن الكمالات، وبالتالي تسمو الرّوحُ وتزكو النّفسُ أكثر فأكثر، فإنّ كلمةَ السِّرِّ في تزكيةِ النفوس هي عملُ الصالحات واجتنابُ السيئات.
٦. توحيدُ الله العظيم في ذاته وصفاته وأفعالِه؛ فإن هذا من أعظم ما يُزكِّي النفسَ ويُصلحها.

ثالثاً: التوجيهات التربوية المستفادة:

١. في تزكية النفس تحصيلُ الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة: يقول سبحانه وتعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ١٠]، فقد أقسمَ الله سبحانه وتعالى على فلاح ونجاة من زكّى نفسَه، وهذا الفلاح يشمل الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يفلحُ العبدُ بسلوك الصراط المستقيم، والثبات عليه، وفي الآخرة تكون النجاة من النيران والفوز بالجنان.
٢. في تزكية النفس تطويعُها للسير في طريق الحق، فإن الإنسان إذا زكَّى نفسَه وطهّرها وروَّضها، تصبح سهلةً منقادةً له، وبتعويدها الصبر وفطمها عن الشهوات ورجاء ما عند الله يسلُس له أن يخوض بها في طريق الحقّ المليء بالمصاعب والأشواك والمحن، وهذا يحتاج إلى نفوس قويّة، ذات روحٍ عالية، وهذا بالتزكية.
٣. في التزكية عز للنفس ورفعةٌ لها عن أن تخوض في غمار شهواتها، فتُصبِح ذليلةً أسيرةً ضعيفةً مهينة، فإن التزكية صونٌ لها عن ذلك المُسْتَنْقَعِ الآسن.

٤. تزكيةُ النفسِ تحرر النفسَ من الخضوعِ للشهوة والأسرِ لها، فيكسبها حُرِّيةً من هذه الأغلال، وتتحرر من هذا السلطان، فتنطلق في الآفاقِ مُحَلِّقةً في رحاب توحيد الله سبحانه، وفي التفكُّرِ في خلقِ الله وكونِه ونعمِه، ثم الانطلاق في رحاب العلمِ النافع الشرعيّ والكوني، فتقدّمَ للناس النافع المفيد تعليماً وخِدمةً ورحمةً.

٥. في تزكيةِ النفسِ تَخليصُ لها من أي سلطانٍ عليها من النّاس، وفي ذلك عدم الخضوع لأهل الباطل من الحُكّام الفجَرَة الظلمة، وبالتالي لا تجرؤ على التصفيق للظلم أو غض الطرف عنه، فضلاً عن قول كلمةِ الباطل، وتشريع الظلم والفجور من أولئك الحكام الفسقَة، وفي ذلك صيانةٌ للدين والصّدع بالحق.

وفي زماننا هذا نرى كثيراً من هذا الصَّنْف ممن يسمُّونَ أنفسَهم علماء، ويترأّسون هيئاتٍ، ويلبسون عباءاتٍ وعِمَم، لكنّهُم باعوا أنفسَهم للحكام الفجَرة، تراهُم يمَجّدون الفاجرَ الظالم، ويمدَحونَ الكافر والمُعْتَدِي، ويصبّون الويلات على المسلمين والجماعات الإسلامية الراشدة، كل ذلك تحت ظل السمعِ والطّاعةِ للحاكم، أيُّ دينٍ هذا؟ بل أي ذلّةٍ هذه؟ ليس هذا من دينِ الله في شيء؟ ولا من العِزّة في شيء، أذلُّوا أنفُسَهم للطّواغيت، فحرَّفوا وبدَّلوا وأجرَموا".

٦. في تزكية النّفس السلوك بها إلى الرضا عن أقدارِ اللهِ سبحانَه وتعالى، والتأدُّبِ معه في جميعِ الأحوال، وبالتالي يصلُ العبدُ إلى مراتبَ ساميةٍ في العلاقةِ مع ربِّه، ويَرْتَقي إلى مقامِ الرضا، وهذا يجلبُ له الفوز العظيم والفلاح في الدنيا والآخرة.

٧. البلوغ بالنفس والروح إلى مرتبة الإحسان، وهي أنْ يعلمَ أنَّ ربَّه يَراه فإن لمْ يَكُنْ يراهُ فإنَّ ربَّه يراه.

٨. تزكيةُ النفسِ تؤدِّي بها في النهايةِ إلى الاستقامةِ على الطاعة والبُعدِ عن المعاصي والفجور، وفي هذا سبيل إلى حصول الرحمات والبركات والخيرات في الدنيا والآخرة [١].

---

(١) انظر: موقع إسلام ويب، (ثمرات تزكية النفوس)، والرابط:https://www.islamweb.net/145928

المطلب الثامن:

التحذير من الكفر وبيان أنه سبيل إلى غضب الله والخسران المبين

في أوائل سورةِ البقرةِ يخاطِبُ اللهُ النَّاسَ تعجيباً من حال الكُفَّار: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨]، إذ كيف يكفُر النَّاسُ بربِّهم بعدَ نصبِ الدَّلائلِ ووُضوحِ البراهين؟ فقد كان بنو آدمَ ميِّتينَ نُطَفاً في أصلاب الآباء، فخلقهُم، ثم يميتُهم عند انتهاء الأجل، ثم يُحْيِيهم للبعثِ، ثمَّ إلى الله مصيرُهم![١].

فالمراد التَبْكِيتُ والتَّعْنِيف، لأنَّ عِظَمَ النِّعْمَةِ يَقْتَضِي عِظَمَ مَعْصيةِ المُنعِم، يُبَيِّن ذلك أن الوالدَ كلما عَظُمَت نِعمتُه على الولدِ بأن ربَّاه وعلَّمَه وخرَّجه ومَوَّله وعرَّضَه للأمورِ الحِسَانِ، كانت مَعْصِيَتُه لأبيهِ أَعظَمَ، فبيَّن سبحانه وتعالى بذلك عِظَمَ ما أقْدَموا عليه من الكُفْرِ، بأن ذَكَّرَهُم نِعَمَه العَظِيمَةَ عليهم ليَزْجُرَهم بذلك عما أقْدَموا عليه من التَمَسُّكِ بالكُفر ويبعثُهم على اكْتسابِ الإيمان[٢].

وفي هذا المطلَب فرعان كما يأتي:

أولاً: تعريف الكُفر:

الكفر لغةً: الكُفْر مُشْتَقٌّ من السِّتر، وهو التغطية، والكافر مغطىً على قلبِه، الكُفْرُ: نَقِيضُ الإِيمان؛ آمنَّا بِاللَّهِ وكَفَرْنا بِالطَّاغُوتِ؛ كَفَرَ باللَّه يَكْفُر كُفْراً وكُفُوراً وكُفْراناً. وَيُقَالُ لأَهل دَارِ الْحَرْبِ: قَدْ كَفَرُوا أَي عَصَوْا وَامْتَنَعُوا، والكُفْرُ: كُفْرُ النِّعْمَةِ، وَهُوَ نَقِيضُ الشُّكْرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ؛ أَي جَاحِدُونَ، وكَفَرَ نَعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرها كُفُوراً وكُفْراناً وكَفَر بِهَا: جَحَدَها وسَتَرها[٣].

الكفرُ اصطلاحاً: عدَمُ الإيمان باللهِ عز وجل وبرسولِه صلى الله عليه وسلم، سواءٌ كانَ معَه تكذيبٌ أو لم يكن معَه تكذيبٌ، بل عن شكٍّ ورَيبٍ، أو إعراضٍ عن ذلك حَسَداً وكِبراً أو اتِّباعاً لبعضِ الأهواء الصَّارفة عن اتِّباع الرسالة[٤].

---

(١) انظر: تفسير السَّمعانيّ، (٦٢/١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٣٧٥/٢).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٤٤/٥).

(٤): انظر: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، (٦٥/١).

ثانياً: عاقبةُ الكفرِ السَيِّئَة:

إنَّ أعظمَ ما قد يفعلُه العبدُ هو الكفرُ بالله العظيم، وليس بعد الكُفرِ ذنب، ومهما عمِل الإنسانُ من الذنوب ولو عَظُمَت فإنّها تدخُلُ في دائرةِ مشيئةِ الله: فإما أن يُعَذّبَه الله، وإنا أن يغفر له. أما الكُفر فليس له نصيبٌ من عفوِ اللهِ ومغفرَتِه إذا مات الإنسانُ عليه، وفي سورة فاطر يذكر الله تعالى عاقبة الكفر في عدد من الآيات، فقال على سبيل الإجمال: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد**﴾ [فاطر: ٧]، وهذا العذاب منه دنيوي ومنه أخروي، فمن العذاب الدنيوي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾ [فاطر: ٢٦]، فكان إنكارُ الله شديداً على هؤلاء الكفار بإذاقتهم ألوان العذاب الشديد في الدنيا واستئصال شأفتهم وقطع دابرهم.

والكفر يجلب الغضب والمقت والبغض على صاحبه، ومآلُه إلى الخسارة والبوار والهلاك والضلال، يقول تعالى: ﴿**فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَساراً**﴾ [فاطر: ٣٩].

ويذكُر تعالى طرفاً من العذاب الذي أعدَّه لأهل الكفر في الدار الآخرة: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]، والمعنى أنه لا يُحكَم عليهم بموتٍ ثانٍ، فيموتوا فيستريحوا، ولا يُخفف عنهم من عذابها بل كلما خَبَت زِيدَ إسعارُها، ثم هم يستغيثون ويصيحون فيها، ويتحسَّرون على ما عملوه من غير الصالح، فوبَّخهم الله وعنَّفَهم(١).

والكفر أيضاً يؤدِّي إلى حبوط العمل وبُطلانِه إن كانَ له عملٌ صالِح قبلَ كُفرِه، ولا يأخُذُ ثواباً -أي حسناتٍ- على أي عملٍ يعملُه ما دام أنَّه على الكُفر والخسران في الآخرة(٢): قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: ٥].

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٢٦٠/٤).

(٢) الكفار لا يأخذونَ ثواباً ولا حسناتٍ على أعمالهم الصالحة التي يعملونها في الدنيا، لكن الله سبحانه وتعالى يجازيهم في الدنيا على أعمالهم ومن ذلك العافية والرزق والولد، والذِّكر الحسن، والحياة الهنيئة، وقيل أنه في الآخرة يخفف عنهم من عذاب غير الكفر.

يقول: "فقد بَطَل ثوابُ عَمِله الذي كان يَعملُه في الدُّنيا، يَرجُو أن يُدرِكَ به مَنزِلةً عند الله، وهو في الآخرةِ من الهالكين، الذين غَبَنوا أنفُسَهم حُظوظَها من ثوابِ اللهِ بكُفرِهم بِمحمدٍ، وعَمَلِهم بغير طاعةِ الله"(١).

والكُفر يستَحِقُّ صاحِبُه عذابَ الدنيا بالهلاك والبوار والخُسران، ثُمَّ هذا لا يُقارَنُ بما ينتظرُه يومَ القيامةِ من أهوالٍ ومصاعبَ وعذابات: فملائكةُ العذاب تستقبِلُه عند موته، وفي قبرِه الذي يُضرَمُ عليه ناراً، ويُلاقي فيه صنوفَ العذاب، ثم يومَ يُبْعَثُ يقومُ وقد غَضِبَ عليه الملكُ القهَّار، وهذا الكافِرُ لا يملكُ من أمرِه شيئاً ولا ناصرٌ له ولا مُفدِي، ولا وليٌّ ولا شفيعٌ ولا صديقٌ حميم، وينتهي مصيرُه إلى النَّار خالداً مُخَلَّداً فيها إلى أبد الآباد لا يزدادُ فيها إلا عذاباً وشقاءً.

إنَّ الحِرمان الذي يلاقيه الكافر يوم القيامةِ ليس بعدَه حِرمان، إنّهُ مُحَّرمٌ عليه لقمةً سائغةً، وشربةً راويةً، وهو في جهنَّمَ لا يموتُ ولا يحيى، وأكبرُ حِرمانٍ يذوقُه الكافِرُ أنَّه محجوبٌ عن ربِّ العالمين، الذي خلَقَه وربَّاه ملكُ الملوك، صاحِبُ المُلكِ والمَلَكوت، خالقُ كلِّ شيء، لا إله إلا هو، إنَّ الحِرمان كلُّ الحِرمان في الكُفر الذي يُبعِدُ الإنسانَ عن ربِّه ويحجُبُه عنه في الدنيا والآخرة.

فأيُّ شرٍّ أعظمُ من هذا وأي بؤسٍ أشدُّ من هذا، وأيُّ شقاءٍ أبأسُ من هذا، وما تُغني الدنيا ومتاعُها الزائل عمّا سيلاقيه الكافرُ بعدَ موتِه، قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

---

(١) جامع البيان، (٥٩٢/٩).

المبحث الثاني:

التوجيهات التربوية المتعلقة بتصنيف الناس وبيان أحوالهم في ضوء سورة فاطر

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: أصناف الناس تجاه القرآن:**
- **المطلب الثاني: الناس فريقان يوم القيامة.**

المطلب الأول:
أصناف الناس تجاه القرآن في ضوء سورة فاطر

ذكر اللهُ تباركَ وتعالى في سورة فاطر أحوال الناس مع القرآن في آية واحِدة، وقَسَّمَهُم إلى ثلاثة أصناف: الظالِم لنفسِه، والمقتصِد، والسابِق بالخيرات، فقال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِير**﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣]. قال الرازي: "اتَّفَقَ أَكْثَرَ المُفَسِّرينَ على أَنَّ المُرادَ مِنَ الكِتابِ القُرآنُ، وعلى هذا فالذين اصْطَفَيْنا هُمُ الذين أخَذُوا بالكتابَ وُهُمُ المُؤمنونَ، والظالمُ والمُقْتصدُ والسَّابقُ كُلُّهم مِنهم ويَدُلُّ عليه قولُه تَعالى بعدها: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**﴾ أخبر بدخولهم الجنة"[1]، "أي جَعَلْنا القائِمينَ بِالكتابِ العَظيمِ، المُصَدِّقِ لِمَا بينَ يَدَيْه مِنَ الكُتُب، الذينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبادِنا، وهُمْ هذهِ الأُمَّة، ثم قَسَّمَهم إلى ثلاث"ةِ أنواع[2]، ويشهدُ لهذا حديثٌ، فعن أبي الدَّرداء رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: سمِعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: "قال الله: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾، فأمَّا الذينَ سبقوا فأولئكَ يدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، وأمَّا الذين اقْتَصَدوا فأولئك يُحاسَبونَ حِساباً يسيراً، وأما الذينَ ظلَموا أنفُسَهم فأولئكَ الذين يُحبَسونَ في طولِ المَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الذينَ تَلافاهُمْ بِرَحمَتِه..."[3].

إذن الأصنافُ الثلاثة هم من المؤمنين، لكنَّهُم يتفاوتون فيما بينهم بحَسْب قُربِهم وبُعدِهم من الأخذِ بكتابِ الله سبحانه وتعالى. وفي هذا ثلاثة فروع كما يأتي:

أولاً: الظالم لنفسه:

الظُّلم: وضعُ الشيء في غير موضعِه، وأصلُه الجَوْرُ ومُجاوَزَةُ الحَدِّ، والظُّلْمُ: المَيْلُ عن القَصْد[4]. وفي الشَّريعة: "عبارة عن التَعَدِّي عن الحَقِّ إلى الباطِلِ"[5].

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٦/٢٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/٥٤٦).

(٣) مسند أحمد، (٣٦/٥٧)، تتمة مسند الأنصار، حديث أبي الدرداء، حديث رقم (٢١٧٢٧). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٤) انظر: لسان العرب، (١٢/٣٧٣).

(٥) التعريفات، (١/١٤٤).

يقولُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله عن الظالم لنفسِه: "وهوَ المُفَرِّطُ في فِعْلِ بعضِ الواجِبات، المُرتَكِبُ لِبَعضِ المُحَرَّمات"[١]. وقيل هو الذي عَمِلَ الصغائِر[٢]، وقيل هو الذي ماتَ على كبيرةٍ ولم يتُب منها[٣]، وبخصوصِ القرآن ذكر العُلماء أنَّ الظالِمَ لنفسِه هو التَّالي للقُرآنِ غيرُ العالِمِ به والعَامِلِ بموجِبِه[٤].

والظالِمُ هو المُصِرُّ على المعصيةِ، فترَكَ أوامرَ اللهِ وارتكَبَ نواهيه، وغَلَبَتْهُ نفسُه الأمَّارةُ بالسُّوء وأمَرَتْه فأطاعَها[٥]، فهوَ معَ أنَّه مسلِم إلا أنَّه يفعلُ المعاصي ويُقَصِّرُ في الطَّاعات.

ومن ظلمِ النفس الرِّياءُ، ومن ظلمِ النَّفس هجرُ القرآن، والتقصير في فرائضِ الصلاة فضلاً عن النوافل، وكذلك ارتكاب المعاصي والمُحرَّمات بأنواعها، ومن ظُلْمِ النَّفس الغفلةُ عن ذِكرِ الله، ومن ظُلْمِ النَّفس عدمُ تعليمِها ومعرفة حلالها وحرامِها، وغير ذلك من الأمور الكثيرة من ترك مأمور أو فِعلِ محظور، التي لا بُدَّ للإنسانِ أن يجتنبها ويحتَرِزَ منها.

والظالِمُ لِنَفْسِه مع القرآن، يكونُ حالُه أنَّه هاجِرٌ للقرآن، أو يكون تالٍ له لكنَّه لا يعمَل بتلاوته، كحالِ بني إسرائيلَ مع توراتِهم؛ فإنَّهم كانوا يتلون التوراة، لكنَّهُم كانوا لا يعملون بما يتلونَه، ويأكلون الرِّبا والسُّحت والرَّشوة ويقتلونَ بعضَهم البعض، وكل ذلك مما تُحَرِّمه التوراة، لكنَّهم كانوا ظالمينَ لأنفُسِهم.

ثانياً: المُقْتَصِد:

من قَصَدَ، والقَصْدُ فِي الشَّيْءِ: خلافُ الإفراطِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الإسراف وَالتَّقْتِيرِ. وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ: أَن لَا يُسْرِفَ وَلَا يُقَتِّر. يُقَالُ: اقْتَصَدَ فُلَانٌ فِي أَمرِهِ أَي اسْتَقَامَ[٦].

قال ابن كثير: "المُقْتَصِدُ هو: المُؤدِّي لِلواجِباتِ، التَّارِكُ لِلمُحَرَّمات، وَقَد يَتْرُكُ بَعْضَ المُستَحبَّاتِ، ويَفعلُ بعض المَكْرُوهَاتِ"[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٥٤٦/٦).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٤٦/١٤).
(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، (٥١٢/٣).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٣٩/٢٦).
(٥) انظر: المصدر السابق، (٢٣٩/٢٦) .
(٦) انظر: لسان العرب، (٣٥٤/٣).
(٧) تفسير القرآن العظيم، (٥٤٦/٦).

وقال العلماء: المُقْتَصِدُ الذي يقرأُ القرآنَ ويعملُ به، والمقتصد هو المُجْتَهِدُ في تَرْكِ المُخَالَفَةِ وإنْ لَمْ يُوَفَّقْ لذلِك ونَدَرَ مِنه ذَنْبٌ وصَدَرَ عَنه إثمٌ فإنه اقْتَصَدَ واجْتَهَدَ وقَصَدَ الحَقَّ[1].

والمُقتَصِدُ مع القُرآن يكونُ حالُه أفضلُ من الظالِمِ لنفسِه، فإنَّه يتلو القرآنَ ويعملُ به، لكن ربما يحصُلُ له تردُّد، أو تقصير أحياناً، فحالُه مستورٌ، لكنَّه في الجُملةِ غيرُ مُقَصِّر.

وفي هذا يقول الطَّاهِرُ ابنُ عاشور في تفسيره: "والمُقْتَصِدُ: هو غَيرُ الظَّالِمِ نَفْسَه كما تَقْتَضِيه المُقابَلة، فهُمُ الذينَ اتَّقَوا الكَبَائر ولَمْ يَحرِمُوا أَنْفُسَهُم من الخيراتِ المَأْمور بها وقد يُلِمُّونَ باللَّمَمِ المَعْفُوِّ عنه منَ الله، ولم يَأْتُوا بمُنْتَهى القُرُباتِ الرَّافِعةِ للدَّرَجاتِ، فالاقْتِصادُ افْتِعالٌ من القَصْدِ وهو ارْتِكابُ القَصْدِ وهو الوَسطُ بينَ طَرَفَيْن يُبَيِّنُه المَقامُ، فلما ذُكِرَ هنا في مُقابَلةِ الظَّالِمِ والسَّابِقِ عُلِمَ أَنَّه مُرْتَكِبٌ حَالةً بين تَيْنِكَ الحالَتَيْن فهو ليس بظالِمٍ لِنَفسِه وليسَ بِسابقٍ"[2].

ثالثاً: السابق بالخيرات بإذن الله:

السَّبْق: القُدْمةُ فِي الجَرْيِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيُقَالُ: لَهُ سابِقَةٌ فِي هَذَا الأَمر إِذَا سَبَق الناسَ إِلَيْه[3] ، "وَالسَّابِقُ أَصْلُهُ: الْوَاصِلُ إِلَى غَايَةٍ مُعَيَّنَةٍ قَبْلَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَاشِينَ إِلَيْهَا"[4].

"والخيراتُ: جمع خَيْرَةٍ، وهي الفاضِلَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"[5].

وفيمن هو السَّابقُ بالخيرات يذكُرُ العُلماء أقوالاً عديدةً في وصفِ هذا الصِّنف من المؤمنين، فيقول ابن كثير: "هو الفاعلُ للواجبات والمُستَحَبَّات، التَّارِكُ للمُحَرَّمات والمَكْروهاتِ وبعضِ المُباحات"[6]، وقيلَ: هو مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُه على سَيِّئَاتِه، أو الذي سبق إلى الأعمال الصالحة، والسَّابِقُ: الذي لا ينسى ربَّه، وقيل: هو صَاحِبُ الأحْوالِ، وهو الذي أَسْقَطَ مُرَادَهُ بِمُرَادِ الحق، فهو الذي سبق غيرَه في أمورِ الدين[7].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٣٩/٢٦).

(٢) التحرير والتنوير، (٣١٣/٢٢).

(٣) انظر: لسان العرب، (١٥١/١٠).

(٤) التحرير والتنوير، (٣١٣/٢٢).

(٥) لسان العرب، (٢٦٤/٤).

(٦) تفسير ابن كثير، (٥٤٦/٦).

(٧) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (٤٠١/٤).

فالسَّابقُ أصلُهُ: الواصِلُ إلى غايةٍ مُعَيَّنةٍ قبلَ غَيْرِهِ من الماشينَ إليها، وهو هنا مجازٌ مُكَنًّى عن الإكثارِ من الخيْرِ، أي: الطاعات؛ لأنها أعمالٌ صالحةٌ نافعةٌ لعامِلِها وللناسِ بآثارِها[1].

وحال هذا الصِّنف مع القرآن أفضلُ الأحوال، فهو يتلو آياتِه آناءَ الليلِ وأطرافَ النَّهار، عالِماً بآياتِه ومعانيها وأحكامِها، مُتَدَبِّراً غوَّاصاً في معانيها وجماليَّاتِها، وتراه عاملاً بالقرآن وقَّافاً عندَ حُدودِه، يُحِلُّ حَلالَه، ويُحَرِّمُ حرامَه. تراهُ مُهَذَّباً بأخلاقِ القرآنِ متُحلِّياً بها، ومُتَأدِّباً بآدابِهِ العالِيَة. ترى همومَه ليست دُنْيَويَّةً دنيئةً، إنما همومُه دينيَّةً أُخْرَوِيَّةً –وهو لا ينسى حظَّه من دُنْياه– ، تَجِدُه مسْتَشْعِراً الأمانةَ الثقيلةَ التي عُرِضَت على الأرضِ والجبالِ وأبت أن تحمِلنها، فتَحَمَّلَ تلك الأمانة، وفَهِمَ دَوْرَه في هذه الدُّنيا، فِهِمَ أن الإنسان مُستَخلَفٌ في هذه الدُّنيا مُستَعمَرٌ فيها من قِبَلِ مَولاه ينظُرُ كيفَ يعملُ فيها، تَجِدُه يُراقِبُ ربَّه في طاعاتِه وعِباداتِه، وخَلَواتِه وجَلَواتِه، في إتقانِ عَمَلِه، في مَسْؤليَّاتِه في جميعِ أمورِه، ثُمَّ لو رأيتَه مع والِدَيه وأهله وأرحامِه والمُسلمينَ بل والبهائم؛ لرأيتَ أخلاقَ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَ النَّاسِ تسري، ولو فَعَلَ النَّاسُ ذلكَ لعاشوا جنَّة الدُّنيا، قبلَ أن يدخُلوا جنَّة الفِردوسِ في الآخرة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٣١٣/٢٢).

المطلب الثاني:
الناس فريقان يوم القيامة

إنَّ غايةَ ما يسعى إليه الناس في دُنياهُم السَّعادةُ، وتلبيةُ طلباتِهم ورغباتِهم، والتَّنَعُّم بمُتَعِ الدُّنيا، لكن لم يحْصُل لأحدٍ أن كانت دُنياه كما يتمنَّى من سعادةٍ وهناء، فإنَّ الدُّنيا طُبِعَت على كدرٍ، واللهُ سُبحانَه خَلَقَ الإنسانَ في كَبَدٍ، وإنَّ الشرَّ قرينٌ للخير في هذه الدُّنيا –وإن كانَ نِسبيًّاً– ، فإنَّ نِعمَ الدُنيا سرعان ما تنقضي لذَّتُها، وتنتهي نِهْمَتُها بتلبِيَتِها وانقضائها، ثم إن حياةَ المرءِ لا تخلو من أمراضٍ، وأوجاعٍ، وفقدِ أحبةٍ، وحوائجَ في النَّفسِ غيرُ مقضيَّةٍ، وأنكادٍ وأحزانٍ، وأخيراً إن طال بالإنسان عُمُرُه لا يبلُغُ ما بَلَغَ من العمر حتَّى يكونَ قد عانى ما عانى في دُنياه، وأقلُّ ذلك أنَّك تجِده يتحسَّرُ على ما فات من شبابِه.

فكان على العاقِلِ ألا تكونَ هذه الدُّنيا هي غايةُ مُناه ولا مُنْتَهى آمالِه وأحلامِه، وإلا ستكونُ عواقِبُه وخيمةً بقدرِ وَخَامَةِ هذه الحياةِ الدُّنيا، وسيُصبِحُ تائهاً حيرانَ في تصوُّراتِه الكُبرى عن الكونِ والموتِ والحياة.

لا بُدَّ لنا أن نُدْرِكَ حقيقةَ الدُّنيا ومكانَها من الآخرة، حتى يكونَ مسارُنا في هذه الدُنيا سليماً صحيحاً، نُدركُ أننا خُلِقنا لعبادةِ اللهِ سُبحانَه، وأنَّ حياتَنا –مهما طالت– محدودةً، وأننا سنلقى حِساباً على ما نعملُ في هذه الدُنيا، وأنَّ مصيرَنا إمَّا إلى جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرض، وإما إلى نارٍ تذيبُ الجبالَ والوِديان.

يُعتبر يومُ القيامةِ نهايةَ كل ما نَعْرِفُه من الدُّنيا، ونهايةَ كُلِّ حادثٍ قبلَه، وبوقوعِ هذا اليوم تُطوى كلُّ صفَحاتِ الحياةِ الدُّنيا، وقوانينُها، وصحائِفُها، وأخبارُها، وحَرَكاتُها، وأيامُها، ثُمَّ يقومُ النَّاسُ من قُبُورِهم بعد النَّفخةِ الثَّانية، فيجدونَ أمامَهُم عالماً غير العالَمِ الذي كانوا يعيشونَه، يَجِدونَ عالَماً ليسَ فيه مَعْلَمٌ لأحدٍ، ويُعَايِنُ النَّاسُ في هذا اليومِ أهوالاً عِظاماً، وشدائدَ كِباراً، وليسَ في يدِ النَّاسِ ذلكَ اليومِ إلا ما قدَّموا من خيرٍ أو شر.

وفي نِهايةِ الأمرِ يَنْقَسِمُ النَّاسُ إلى فَرِيقَيْن: فريقٌ يَدْخُلونَ الجنَّة يَتَنعَّمونَ فيها، وفريقٌ يَدْخُلونَ النَّارَ يُعَذَّبونَ فيها، لا يجدُ أحدُهم غيرَ ما عَمِلِ، ولن يُنجِي أحداً شيءٌ إلا عمَلَه، قال تعالى: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي هذا المطلب فَرْعان كما يأتي:

أولاً: أهلُ الجنة المُنَعَّمون فيها:

دارُ السَّعادةِ الحقيقيَّةِ هي الجنَّةُ التي أعدَّها اللهُ ثواباً لعبادِه المؤمنين، وكلُّ ما في هذه الدُّنيا من ألوان السعادةِ إنَّما هي انعكاسٌ لظل حديقةٍ مُترامية الأطراف يتنعَّمُ النَّاسُ فيها، لكنَّ الظِلَّ سرعانَ ما يزولُ بزوال الشَّمس.

والجَنَّةُ هي الجزاءُ العظيمُ، والثوابُ الجزيلُ، الذي أعَدَّهُ اللهُ لأوليائِه وأهلِ طاعتِه، وهيَ نَعيمٌ كاملٌ لا يَشوبُه نَقْصٌ، ولا يُعَكِّرُ صَفْوَهُ كَدَرٌ، وما حدَّثَنا اللهُ به عنها، وما أخبَرَنا به الرسولُ –صلى الله عليه وسلم– يُحَيِّرُ العَقْلَ ويُذْهِلُه، لأن تَصَوُّرَ عَظَمةِ ذلك النَّعيمِ يَعْجَزُ العَقْلُ عن إدْراكِه واسْتِيعابِه[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله "أَعْدَدْتُ لِعبَادِيَ الصَّالِحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشرٍ، فاقْرَؤُوا إن شِئْتُم ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن**﴾ [السجدة: ١٧]"[2].

وفي سورة فاطر أخبر اللهُ عن الجنة جزاءً لعباده المؤمنين في قوله: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ**﴾ [فاطر: ٣٣]، "وجَنَّات عَدْنٍ يُقَالُ: عَدَنَ بِالْمَكَانِ: إِذَا أَقَامَ بِهِ، ومنه المعدن وقيل: هِيَ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: أَوْسَطُهَا، وَقِيلَ: قُصُورٌ مِنْ ذَهَبٍ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ"[3].

ثم ذكر حُليَّ أهل الجنة ولباسَهم، فأخبر أنهم يُحلَّون من أساور –وهي ما تلبس في اليد– من الذهب واللؤلؤ، وهما أنفس المعادن، ولباسهم من الحرير وفيه ما فيه من اللذة والمتعة. ثم أخبر جل وعلا عن مقال أهل الجنة بعد دخولها والتنعُّم فيها: ﴿**وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ**﴾ [فاطر: ٣٤–٣٥]، فهم يحمدون الله تعالى على نعمةٍ عظيمةٍ ألا وهي ذهاب الحَزَنِ عنهم، "والحَزَن: خوفُ النار، أو: خوفُ الموت، أو: الخاتمة، أو: هم الرزق. والتحقيق: أنَّه يعمُّ جميعَ الأحزان والهموم، دنيويَّةً أو أخرويَّة"[4].

---

(١) انظر: الجنة والنار، الأشقر، (١١٧/١).

(٢) صحيح البخاري، (١١٨/٤)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٤٣٥/٢).

(٤) البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد، (٥٤٣/٤).

ويحمدُ أهلُ الجنة ربهم على نعمةٍ أخرى عظيمة وهي نعمةُ الإقامةِ والخلودِ في الجنان، فإنهم لا يبيدون فيها، ولا يتحولون عنها، ولا يرغبون في غيرها. "فدارُ الْمُقامَةِ هي الجنة، والمُقامة هي الإقامة، والموضع، وإنما سميت الجنة دار المقامة، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها"(١).

وفي الجنة تخلو حياةُ المؤمنين من التعب والكدح والإعياء، فقد انتهى السعيُ في طلب الرزق، وانتهت مكابدةُ الأسقامِ والأوجاع، وتلاشت الهموم التي تقتلُ القلوبَ والعقول، قال تعالى عن حال أهل الجنة: ﴿**لاَ يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ**﴾ [فاطر:٣٥]، "والنصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفس اللازم عن تعب البدن"(٢).

وتظهرُ عَظَمةُ النعيمِ بمُقارَنَتِه بمتاعِ الدُّنيا، فإنَّ مَتَاعَ الدُّنيا بجانِبِ نَعيمِ الآخرةِ تافِهٌ حَقِير، لا يساوي شيئاً. فعن سهلِ بن سعد الساعدي قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "موضعُ سَوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها"(٣).

ونَعِيمُ الجَنَّةِ يَعلو على الوَصْف، ويَقْصُرُ دُونَه الخيالُ، ليس لجمالِها نَظِيرٌ في دنيا الناس، ومهما تَرَقَّى النَّاسُ في دُنْيَاهُم، فسَيَبْقَى ما يَبْلُغُونَه لا يقارَن بالنسبة لنعيمِ الآخرة، والجنَّةُ كما جاء في الأثر:"هي نورٌ يَتَلَأْلَأُ، ورَيْحانَةٌ تَهْتَز، وقَصْرٌ مَشِيد، ونَهرٌ مُطَّرِد وفاكهةٌ نَضِيجَةٌ، وزَوْجَةٌ حَسْنَاءَ جَميلةَ، وحُلَلٌ كثيرةٌ، في مقام أبداً، في حَبْرَةٍ ونَضْرَةٍ، في دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ"(٤).

وبناء الجنة لَبِنَةٌ مِن ذَهَب، ولَبِنَةٌ من فِضَّة، ومِلاطُها المِسكُ الأَذْفَر، وحَصْبَاؤها اللُؤلُؤ والياقوت، وتُربَتُها الزَّعفَران، من يَدخُلها يَنعمُ ولا يبأس، ويَخْلُدُ ولا يَموتُ، ولا يبلى ثِيابُها، ولا يفنى شبابُهم(٥).

"يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجنةَ على أكملِ صورةٍ وأَجْمَلِها، على صورةِ أبيهم آدمَ عليه السَّلامُ، فلا أكملَ ولا أَتَمَّ من تِلك الصُّورةِ والخِلْقَةِ التي خَلَقَ اللهُ عليها أبا البشرِ آدمَ، فقد خَلَقَه اللهُ تعالى بيدِه فأَتَمَّ خَلْقَه، وأحْسَنَ تَصْوِيرَه، وكلُّ من يَدْخُلُ الجنة على صورةِ آدمَ وخِلْقَته، وقد خَلَقَه اللهُ طِوالاً

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٧٦/٢).

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤٤٠/٤).

(٣) صحيح البخاري، (١١٩/٤)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٥٠).

(٤) سنن ابن ماجه، (١٤٤٨/٢)، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، حديث رقم (٤٣٣٢).

(٥) سنن الترمذي، (٦٧٢/٤)، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، حديث (٢٥٢٦).

كالنَّخْلَةِ السَّحُوق، طُولُه في السَّماء سِتُّونَ ذِرَاعاً، وإذا كان خَلْقُهُمُ الظَّاهِرِيُّ مُتَّفِق، فكَذلكَ خُلُقُهم في باطِنِهم واحدٌ، نُفُوسُهم صافيةٌ، وأرْواحُهم طاهرةٌ زَكِيَّةٌ"[١].

ثانياً: أهل النار المصطرخون فيها:

كما أنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى أعدَّ لأهل الجنَّةِ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، فإنَّ اللهَ كذلِكَ أعدَّ للكافِرينَ نارَ جَهَنَّمَ التي لا يقارَنُ بها أيُّ عذابٍ ولا أيُّ شدَّة، ومَهما تصوَّرَ العقلُ من ألوان العذابِ أو ذاقَ منها ما ذاق فإنَّ ذلكَ لا يكادُ يُذكرُ أمامَ عذابِ النَّار وجَحِيمِها، وقد حذَّرنا اللهُ سبحانَه وتعالى من النَّارِ كثيراً في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيِّنا الكريم صلى الله عليه وسلَّم، فإنَّ هذه النَّار تُحرِق الحجارةَ، فهي أولى أن تُحرِقَ النَّاسَ حينئذٍ.

في سورة فاطر يقول تعالى واصفاً جانباً من عذابِ النار: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾ [فاطر: ٣٦]، وجهنم: من أسماء النار التي يعذب الله بها الكافرين، أجارنا الله منها. في القاموس: "بئرٌ جهنم: بعيدةُ القعر، وبه سُمِّيَت جهنَّم لبُعدِ قعرها"[٢].

وعذابُ جهنَّم لا نهايةَ له، فالذينَ كَفَروا في نار جهنَّم، مُخَلَّدونَ فيها، لا يُقضَى عليهم فيَموتوا، "أي: لا يُحكَم بموتٍ ثانٍ فيستريحوا، ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابِها ساعةً، بل كُلَّما خَبَتْ زِيدَ إسعارُها، وهم يصطَرِخونَ فيها ويستَغيثونَ، بأعلى أصواتِهم، يطلبون من الله أن يُخرِجهم منها، وأن يرُدَّهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، لكن الجواب كان: ﴿**فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر:٣٧]"[٣].

"وأهلُ النَّار فيها في شقاءٍ دائمٍ، وبؤسٍ مُقيم، وعذابٍ لا ينقطِعُ ولا يفتُر، بل هو في ازديادٍ مستمر، وأبوابُها مطبِقةٌ عليهم، فلا يُفتحُ لها باب، ولا يخرُجُ منها غم، ولا يدخُلُ فيها روحٌ، آخرَ الأبد"[٤].

---

(١) الجنة والنار، عمر الأشقر، (٢٢١/١).

(٢) لسان العرب، (١١٢/١٢).

(٣) انظر: البحر المديد في في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، (٥٤٧/٤)، بتصرف.

(٤) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، زين الدين السلامي، (٨٣/١).

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم قال: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: "فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"[١].

"إن النارَ تُشبه الطاحُونةَ التي ينحدِرُ إليها أُلوفٌ وألوف من أطنانِ الحُبوبِ فتدورُ بذلك كلّه لا تكِلُّ ولا تَمَل، وينتهي الحب والطاحونة تدور انتظاراً للمزيد. وقد جاء في حديث احتجاج الجنة والنار أن الله يقول للنار: "إنما أنتِ عذابي أُعذِّبُ بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار، فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ، ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللهُ من خلقه أحداً"[٢][٣].

ونارُ جهنَّم سوداءُ مُظلمةٌ شديدةُ الحَرِّ، شديدةُ الزَّمهرير، تغلي بأهلها كما يغلي القِدرُ، وهيَ تكادُ تتفرَّقُ عن بعضها وتَتَفطَّرُ غيظاً على أهل المعاصي، وغضَباً لله عزَّ وجلَّ وانتقاماً له.

وعن عبد الله بن عباس، أنَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: "اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتُم مُسلِمون"، لو أن قَطرةً من الزَّقومِ قُطِرَت في دارِ الدُّنيا لَأَفسدَت على أهل الدنيا معايِشَهم، فكيف بمن يكونُ طعامَه"[٤].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. على العاقِلِ ألا تكونَ هذه الدُّنيا هي غايةُ مُناه ولا مُنْتَهى آمالِه وأحلامِه، وإلا ستكونُ عواقِبُه وخيمةً بقدرِ وَخَامَةِ هذه الحياةِ الدُّنيا، وسيُصبِحُ تائهاً حيرانَ في تصوُّراتِه الكُبرى عن الكونِ والموتِ والحياة.
٢. علينا أن ندرك أننا خُلِقنا لعبادةِ اللهِ سُبحانَه، وأنَّ حياتَنا –مهما طالت– محدودةً، وأننا سنلقى حِساباً على ما نعملُ في هذه الدُّنيا، وأنَّ مصيرَنا إمَّا إلى جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرض، وإما إلى جهنم والعياذ بالله.

---

(١) صحيح البخاري، (١٢١/٤)، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٦٥).

(٢) صحيح البخاري، (١٣٨/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وتقول هل من مزيد)، حديث رقم (٤٨٥٠).

(٣) الجنة والنار، الأشقر، (٢٢/١).

(٤) سنن الترمذي، (٧٠٦/٤)، أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث رقم (٢٥٨٥)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٣. يوم القيامة يَنْقَسِمُ النَّاسُ إلى فَرِيقَيْن لا ثالث لهما: فريقٌ يَدْخُلونَ الجنَّة يَتَنعَّمونَ فيها، وفريقٌ يَدْخُلونَ النَّارَ يُعَذَّبونَ فيها، لا يجدُ أحدُهم غيرَ ما عَمِل، ولن يُنجِي أحداً شيءٌ إلا عمَلَه.

٤. الجَنَّةُ هي الجزاءُ العظيمُ، والثوابُ الجزيلُ، الذي أَعَدَّهُ اللهُ لأوليائِه وأهلِ طاعتِه، وهيَ نَعيمٌ كاملٌ لا يَشوبُه نَقْصٌ، ولا يُعَكِّرُ صَفْوَهُ كَدَرٌ وهي دارُ السَّعادةِ الحقيقيَّةِ هي الجنَّةُ التي أعدَّها اللهُ ثواباً لعبادِه المؤمنين؛ فينبغي على المرءِ أن يعمل لها، ويسعى للحصول على أعلى المنازل فيها.

٥. جهنَّم هي دار الشقاء والبؤس والعذاب أعدَّها الله للكافرين به والمكذِّبين برسلُه، وكل عذابٍ دون النار عافية؛ فينبغي على الإنسان أن يجتنب هذه النار باجتناب الأعمال التي تؤدي بصاحبها إلى النار.

المبحث الثالث:

التوجيهات التربوية المتعلقة بسنن الله في ضوء سورة فاطر

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريف بسنن الله.
- المطلب الثاني: سنن الله الواردة في سورة فاطر.
- المطلب الثالث: أهمية الأخذ بسنن الله.

المطلب الأول:
التعريف بسنن الله

أرشَدَنا القُرآنُ الكريمُ في ثناياهُ أنَّ في الكَونِ سُنناً وضعها الله سُبحانَه في أيَّامِه، فإنَّ اللهَ سبحانه هو خالِقُ هذا الكون، وهو الذي يعلمُ ما يُصلِحُه وما يُفسِدُه، ويعلَمُ أمرَه وتدبيرَه، وقد جَعَل اللهُ عز وجل سننه في الكونِ ثابتةً لا تتغيَّر ولا تتبدَّل فقال تعالى: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ [فاطر: ٤٣].

وفي هذا المطلب فرعان كما يأتي:

أولاً: سنن الله لغةً واصطلاحاً:

السُّنَن جمع سُنَّة وهي: السيرة من العملِ أو الخُلُقِ الذي يُلازِم المرءَ صدورُ العملِ على مِثالِها، وقد تردد اعتبار أئمة اللغة إياها جامداً غير مشتق، أو اسم مصدر سن، إذ لم يرد في كلام العرب السن بمعنى وضع السُّنَّة، وفي «الكشاف» في قوله: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ**﴾ [الأحزاب: ٣٨]: "سُنَّةَ الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا"(١)، وعلى هذا يكون فعل سن هو المشتق من السُّنَة اشتقاق الأفعال من الأسماء الجامدة، وهو اشتقاق نادر، والجاري بكثرة على ألسنة المفسرين والمعربين: أن السُّنَّة اسم مصدر سن ولم يذكروا لفعل سن مصدراً(٢).

وسنن الله هي:

النَّواميسُ المُتَحَكِّمة في الإنسان، باعتباره فرداً وجماعةً وأمةً، وفي فِكرِه وسُلوكِه وحَركته في المجتمع وفاعليتِه في التاريخ. أو هي مجموعة من القواعد والضوابط والمبادئ والأحكام التي رسمها الله تعالى من أجلِ إصلاح الأفراد والجمعات والأمم في شؤونها الدنيويَّة والأخرويَّة، والارتقاء بالنفس البشريَّة إلى المراتب العلويَّة(٣).

---

(١) الكشاف، (٥٤٣/٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٩٦/٤).

(٣) انظر: مقال على مدوَّنة الجزيرة، بعنوان: في تعريف السنن الإلهية، د.رشيد كهوس، رابط المقال: https://www.aljazeera.net/blogs/2018/7/17/

ثانياً: ماهيَّة سنن الله:

أخبَرَنا الله سبحانَه وتعالى في القرآن كثيراً من قصص الأمم والحضارات وكيف عاشوا ثم كيف بادوا، وليس ذلك ضرباً من التندُّر بهذه القصص ولا من سبيل المعرفة والثقافة، إنما هي الآياتُ والعِبَرُ تَجَلَّت في سياقِ الوقائع بينَ الرُّسِل وأقوامِهم، لبيان سُنَنِ اللهِ تعالى فيهم، وإنذاراً للكافرينَ بما جاء به الرسولُ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وتثبيتاً لقلبه وقلوب المؤمنين به[1].

وسُنن اللهِ في ثباتِها تُشبه القوانين التي تدورُ بها الأفلاك، وتتحرك بها المادَّة، وتُضبَطُ بها قوانينُها في كل جامدٍ وسائل، في كل برٍّ وبحر، وقوانين اللهِ وسُنَنُه الثابتة في سير المجتمعات البشريَّة هي هذه القوانين التي تجعلُ مجتمعاً يزدهِر، وآخرُ يضطرب، وهي القوانين التي تجعلُ أمةً تنتصر وأمة تنهزم، وإن تجاهُلَ هذه القوانين لا يُفيد، ولا بد أن تثأَرَ هذه القوانينُ لنَفسِها، وأن يُنزِلَ اللهُ النَّاسَ على حُكمِها[2].

والعِلمُ بِسُنَنِ اللهِ تعالى من أَهَمِّ العُلومِ وَأنفَعِها، وَالقُرآنُ سَجَّلَ عَلَيه فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَقَد دَلَّنا عَلى مَأخَذِه مِن أَحوالِ الأُممِ إذ أمَرَنا أن نَسِيرَ في الأرضِ لِأَجْلِ اجْتِلائِها وَمَعْرِفَة حَقِيقتِها.

أي إن أَمر البَشَرِ في اجتِماعهم وما يَعرض فِيه مِن مصارعةِ الحَقِّ لِلباطِلِ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الحرب والنزال والمُلْكِ والسِّيادَةِ وغَيْرِ ذلِك قَد جَرَى عَلَى طُرُقٍ قَويمَةٍ وقَواعِدَ ثابتَةٍ اقْتَضاها النِّظَامُ العَام[3].

والقرآنُ بَيَّن للناس أن مشيئةَ اللهِ تعالى في خَلْقِه إنما تَنْفَذُ على سُنَنٍ حَكيمةٍ وطرائقَ قويمة، فمن سار على سنته في الحرب –مثلا– ظفرَ بمشيئةِ اللهِ وإن كان مُلحِداً أو وَثَنِيًّاً، ومن تَنَكَّبَها خسر وإن كان صِدِّيقاً أو نَبِيًّاً، وعلى هذا يتخرَّجُ انهزامُ المسلمينَ في وَقْعَةِ أُحُد[4].

والقرآنُ الكريم –من خلال طرحِه للوقائع والأحداث– يُعَلِّمُ المُسلمينَ سُنَنَ الله في الأرض، ويرُدُّهم إلى الأصولِ التي تجري وفقها الأمور، فهُم ليسوا بِدَعاً في الحياة، فالنَّواميس التي تحكُمُ الحياةَ جاريةٌ لا تتخلَّف، والأمور لا تمضي جُزافاً، إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها، تَكَشَّفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبيَّنت لهم الأهداف من وراء الوقائع،

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٢/١٦٥).

(٢) انظر: محاضرة على اليوتيوب للشيخ محمد الغزالي رحمه الله بعنوان: (سنن الله وقوانينُه في سير المجتمعات)، رابط المحاضرة: https://www.youtube.com/watch?v=-jL0xUDpfWM

(٣) انظر: تفسير المنار، (٤/١١٥).

(٤) انظر: المصدر السابق، (٤/١١٦).

واطمأنُّوا إلى ثبات النِّظامِ الذي تتَّبِعُه الأحداث، وإلى وجودِ الحكمةِ الكامنَةِ وراء هذا النِّظام، واستَشرَفوا خطَّ السير على ضوء ما كان في ماضي الطَّريق[١].

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١/٤٧٨).

المطلب الثاني:
سنن الله الواردة في سورة فاطر:

ذكر القُرآنُ الكريم في ثناياه كثيراً من سنن الله سبحانه وتعالى في كونه، وفي سير المجتمعات وعلوِّها وهبوطِها، وجاء كثيرٌ منها تعقيباً على قصصٍ ماضيةٍ، أو أحداثٍ ووقائعَ حدثَت مع المُسلمين في عهد نزول القرآن الكريم، وفي سورةِ فاطر يقولُ تعالى تعقيباً على سلوكيات المشركين الضالة، وكفرِهم وصدِّهم عن سبيلِ الله، وتكذيبِهم بالنبيِّ محمدٍّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: ٤٣]، ذكرت الآيات سنة من سنن الله الجارية، وهي سنة الله في إهلاك الظالمين في قوله: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ**﴾، ثم قرر اللهُ سبحانَه قاعدةً مهمَّةً في أن سنن الله ثابتة مُطَّردة لا تتغيَّر: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾، وخُتمت السورة بسُنَّةٍ أخرى من سنن الله هي سُنَّةُ إمهال الناس وعدم ومعاجلة عبادِه بالعقوبة في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً**﴾ [فاطر: ٤٥].

وسنتحدث بشيء من التفصيل عن هاتين السنتين من سنن الله:

أولاً: سنة الله جارية في إهلاك الظالمين:

ذكرنا أن من صفات سنن الله الثبات والاطِّراد، ومن هذه السنن المُشاهَدَة في تاريخ البشريَّة سُنَّة إهلاك الظَّالِمين، وأنّه مهما طال بهم الزَّمان فإنَّ مَصيرَهم إلى زوال وإلى الهلاك والبوار.

وقد ذكَرَ القُرآنُ الكريمُ كثيراً من نهايات هؤلاء الظالمين، وبيَّن كيفَ انتقمَ منهُم وأخذَهم أخذ عزيزٍ مُقتَدر، قال تعالى: ﴿**وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود:١٠٢]. بل وفصَّل في نهايات بعضِهم فذكر مشهَد هلاكهم من أكثر من زاوِية، كما أخبر تعالى عن هلاك فرعون وجندِه، حيث ذكر سبحانه مشهد نهايتِه في أكثر من سورة.

وأصبحت هذه السنَّة من المُسَلَّمات في حياة النَّاس العُقَلاء وعقيدةً في فِكرهم، أن الظالمين لا بد لهم من يومٍ ينتقم الله فيه منهم، ولا زالَت آثارُ بعضِ القرى البائدةِ شاهدةً على عذابِ الله وبأسه، وما حلَّ بتلك الأقوام من الانتقام والبطش الشديد. فبعضُها قائمٌ لا تزال آثارُه تشهدُ بما بلغَ أهلَه من القوة والعمران، كبقايا عادٍ في الأحقاف، وبقايا ثمود في الحِجر، وبعضُها حصيدٌ كالزَّرعِ المحصود اجتُثَّت من فوق الأرض وتَعَرَّى وجهُها منه، كما حلَّ بقومِ نوحٍ أو قوم لوط[1].

---

(١) في ظلال القرآن، (١٩٢٧/٤).

أحوال الظالمين قبل أن يحِلَّ بهم العذاب:

اللهُ سبحانَه وتعالى لا يوقعُ عذاباً بقومٍ إلا بعد أن يستَحِقُّوه تماماً، ولا يبقى لهم أي حجَّة ولا عُذرٍ عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم**﴾ [هود: ١٠١].

فما كانَ إهْلاكُهم بغيرِ جُرمٍ استَحقُّوا به الهَلاك، ولكن ظَلَموا أنفُسَهم بشِرْكِهم وفَسادِهم في الأَرْضِ، وإصرارِهم حتى لم يَعُد فيهم بَقِيَّةٌ من قَبول الحقِّ وإيثارِ الخَيْرِ على الشَرّ، بحيث لو بَقُوا زمناً آخرَ لما ازْدادُوا إلا ظُلماً وفُجوراً وفَساداً، كما قال نوح عليه السلام: ﴿**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾ [نوح: ٢٧]، وقد بالغَ رُسُلُهم في وَعْظِهم وإرْشَادِهم، فما زادَهم نصحُهم لهم إلا عِناداً وإصْراراً، وأَنْذَرُوهم العذابَ فتمَارَوْا بالنُّذُر استِكْبَاراً(١).

ثمَّ إن مسيرة الظُّلمِ لهؤلاء الظلمة تكون مسيرةً طويلةً حافلةً بالفساد، والظُلم، والفُجور، والجحود، والتكذيب، والإنكار، فتجدهم ما سلكوا مسلكاً إلا وللشيطان فيه أكبر نصيب.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى وعَدلِه بعبادِه أنَّه يُرسِلُ لهم الرُّسلَ فيقيم عليهم الحجة، ولا يبقى عذرٌ لجاهلٍ ولا غافل، بل إنَّ الله يبعثُ بالمصائب والرسائل التي تُنذرُ بأن القوم ليسوا على صواب، وأنهم على خطأ وخطر، حتى يعود هؤلاء ويؤوبوا إلى ربهم، وينتَهوا عمَّا هم فيه من الكفر والجحود والظلم والفساد، قال تعالى مُخبراً عن فرعونَ وقومِه: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٣٣-١٣٦].

فأخبرَ اللهُ سبحانه أنه أرسلَ عليهم هذه الآيات لكي يؤمنوا ويتوبوا ويعودوا إلى ربهم، فكانوا في كلِّ مرةٍ يعطون العهود والمواثيقَ على الإيمان والتوبة، لكنَّهم كانوا ينكثون في كل مرة ويعودونَ إلى أخبَثِ أعمالِهم(٢).

وفي سُنَّةِ اللهِ مع هؤلاء الظالمين لا يُعاجِلُهم اللهُ بالعقوبة، بل يُمْلِي لهم ويُؤَخِّرُهم، وهم ما يزدادون إلا فساداً وطُغياناً، ويزيدُهم اللهُ في الدنيا من الأموال والمتاع، فيظنُّون أنَّهم على خير، ويحسَبونَ أنَّ اللهَ يُحِبُّهم ولذلك يعطيهم، كما أخبر اللهُ سبحانه عن صاحب الجنَّتين: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦]، فهو ما ظَنَّ أن تهلِك هذه الجنة أو أن تَبيد لطولِ أملِه

(١) تفسير المنار، (١٢/١٢٧).

(٢) انظر: تفسير البغوي، (٢/٢٢٤)، وانظر: تفسير السمعاني، (٢/٢٠٩).

وتمادِي غفلتِه واغترارِه بالمُهلة[1]، لكن كانت نهايتُه وخيمة بأن أرسلَ اللهُ على جنَّتَيْه عذاباً من السماء فأصبحَت خاويةً على عُروشِها وباتَ مُتَحسِّراً يضرب كفاً بكف.

فإذا وصلَ هؤلاء الظالمون إلى مرحلةٍ هم أكثر ما يُفسِدون فيها، وفي أكثر أيامِهم أمناً من مكرِ الله سبحانه وتعالى، حينئذٍ يأخذُهم شرَّ أخذةٍ، وينتَقِمُ منهم شَرَّ انتِقام، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ" قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: ١٠٢][2]، فاللهُ سبحانَه وتعالى يمهِلُ هذا لعلَّه يتوب ويرجع ويؤمن، لكنَّه سبحانه إذا أخذه وعاقَبَه لم يُفلِته، ولم يُخلصه، ولم يترُكه حتى ينالَ عقابه.

وذكر اللهُ تعالى في آيةٍ واحدةٍ صنوفَ عذاباتٍ مختلفةٍ أسامَها اللهُ للظالمين، قال جل في عُلاه: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٠]، فتنوَّعت عذابات ونهايات الظالمين، ولا يعلمُ جنودَ ربِّكَ إلا هو، فما منهم من ظالِم إلا وأخذَه اللهُ العزيزُ بذَنْبِه: فمنهُم من أرسل عليه حاصباً، وهم قومُ لوطٍ، والحاصِبُ: الرِّيحُ التي تَحْمِلُ الحَصَا وهي الحَصَا الصِّغار، ومنهم من أَخَذَتْه الصَّيْحَة، يعني: ثمودُ ومَدْيَن، ومنهم من خَسَفَ به الأرضَ، يعني قارونُ وأصحابُه، ومنهم من أغْرَق، يعني قَوْمُ نُوحٍ وفِرْعَوْن وقومُه، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون[3].

ونحن في زمانِنا هذا عاصرنا قبل بضع سنوات نهايات بعض الظالمين من الحُكَّامِ المُجرِمين، فقد طوى اللهُ سبحانه وتعالى فصولاً وأياماً من ظلمِ هؤلاء الظَّلَمة، ونسألُ اللهَ العظيم ببأسِه وانتقامِه وجبَروتِه أن يزيحَ باقي الظَّالمين القابِعين على الشعوب المقهورة، وإنَّ سُنَّةَ اللهِ ماضيةٌ في إهلاك الظالمين وخلاص المظلومينَ منهم، وإن النهايات يحتكِرُها المؤمِنون والمصلِحون والمظلومون، ولن تجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلاً، ولن تجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تحويلاً.

---

(١) انظر: تفسير النسفي، (٢/٣٠١).

(٢) صحيح البخاري، (٦/٧٤)، كتاب تفسير القرآن، باب بَابُ قَوْلِهِ: {**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**}، حديث رقم (٤٦٨٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي، (٣/٥٥٧)، تفسير النسفي، (٢/٦٧٧).

ثانياً: بيانُ رحمةِ اللهِ تعالى بعباده في أنه لم يُعاجلهم بالعقوبة:

من رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه ولطفِه أنَّه لا يُعاجِلُهم بالعقوبة على معاصيهم وكفرِهم، وذلك من مقتضى أسماءِ الله: الرَّحيم، واللطيف، فهو سبحانَه رحيمٌ بعبادِه يعطف عليهم ويتودَّدُ لهم أن يتوبوا ويُقلِعوا عمَّا هم فيه من المعاصي والكُفر.

ومصداقُ هذا الأمر في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً**﴾ [فاطر: ٤٥].

لمَّا ذَكرَ سبحانَه كفرَ النّصارى في عقيدة التثليث وتأليهَهُم لعيسى ابن مريم في سورةِ المائدة، ذكر اللهُ سبحانَه وتعالى آيةً بعدَها يدعوهم فيها إلى التوبة والاستغفار، رغم ما هم فيه من الكفر والضلال، فقال سبحانه: ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائدة: ٧٤].

ولو شاءَ اللهُ لعاجَلَهم بالعقوبةِ أوَّل ما كفروا، ولقضى عليهم وهم في كُفْرهم، لكنَّ اللهَ سبحانه يمتنُّ على عبادِه بالهدايةِ والرَّشادِ وسُلوكِ طريقِ الرُّسل، ومن لُطفِه بعبادِه يُيَسِّر لهُم سُبُلَ الهداية، ويَحلُم عليهِم، ويُخرِجُهم من الظُّلُماتِ إلى النُّور.

واللهُ لا يُؤَاخِذُ الناسَ بنفسِ الظُّلمِ فإنَّ الإنسانَ ظَلُومٌ جَهُولٌ، وإنما يؤاخِذُ بالإصرارِ وحُصولِ يَأْسِ الناسِ عن إيمانِهم ووُجودِ الإيمانِ مِمَّن كَتَبَ اللهُ إيمانَه فإذا لَمْ يَبْقَ فيهم مَنْ يُؤمِن يُهلِكُ المُكَذِّبينَ، ولو آخَذَهُم بِنَفسِ الظُّلمِ لكان كُلُّ يومٍ إهلاكٌ(١).

إنَّ تعاليمَ الإسلام وهِداياتِه مليئةٌ بالرَّحمة والرأفة بكُلِّ ما في الوجود، حيثَ إنَّه يدعونا إلى النَّظرِ بعين الرأفةِ والشَّفقةِ على العُصاة والمذنبين، وأن لا نتعاملَ معهم بازدراءٍ ولا نبذٍ، بل أن نرحَمَهم، ونعفوَ عنهم ونصفحَ، ونقيلَ عثراتِهم، إذا هم تابوا وأنابوا وندموا على أفعالِهم.

المطلب الثالث: أهميَّة الأخذ بسُنَنِ الله

الأخذ بسنن الله له العديد من الفوائد أهمها:

١. تقدُّم المجتمعات وتأخُرها وازدهارُها وتخلُّفها مرتبط بما يرشد إليه فهم هذه السنن.
٢. فهم هذه السُّنَن ينمي روح المثابرة والعمل، وعمارة الكون، وتقويم عقائد الناس وفكرهم، وضبط سلوكِهم الإيجابي، وترسيخُ دوافع الخير وحُبِّه.

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٤٩/٢٦).

٣. إِنَّ إِرْشَادَ اللهِ إِيَّانَا إِلَى أَنَّ لَهُ فِي خَلْقِهِ سُنَنًا يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ هَذِهِ السُّنَنَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ الْمُدَوَّنَةِ لِنَسْتَدِيمَ مَا فِيهَا مِنَ الْهِدَايَةِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، فَيَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ فِي مَجْمُوعِهَا أَنْ يَكُونَ فِيهَا قَوْمٌ يُبَيِّنُونَ لَهَا سُنَنَ اللهِ فِي خَلْقِهِ كَمَا فَعَلُوا فِي غَيْرِ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ بِالْإِجْمَالِ وَقَدْ بَيَّنَهَا الْعُلَمَاءُ بِالتَّفْصِيلِ عَمَلًا بِإِرْشَادِهِ، كَالتَّوْحِيدِ وَالْأُصُولِ وَالْفِقْهِ.

المبحث الرابع:

الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية الوعظية في ضوء سورة فاطر

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: أسلوب التوكيد.
- المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام.
- المطلب الثالث: أسلوب القصر.
- المطلب الرابع: أسلوب الإيجاز والإطناب.
- المطلب الخامس: أسلوب التقديم والتأخير.

المطلب الأول:
أسلوب التوكيد

سبق تعريف التوكيد في الفصل السابق.

وقد ورد أسلوبُ التوكيد في التوجيهات التربويَّة الوعظيَّة في عدد من المواضع: في قولِه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾ [فاطر: ٥]، جاء التوكيدُ في سياق تذكير النَّاسِ بالبعث، ولغفلةِ الناس وانشغالِهم بالدُّنيا؛ جاء التذكير بأسلوبِ التوكيد ليكون أوقعَ في نفوسِهم المنكرةِ الجاحِدة الناسية الغافلة.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر: ٦]. في الحديث عن الشيطان والتحذير من عداوته استخدم أسلوب التوكيد، وتأكيدُ الخبرِ بحرفِ التأكيد لقَصد تَحقِيقه، لأنَّهم بِغَفلتِهم عن عداوةِ الشيطانِ كحالِ من يُنكر أن الشيطانَ عَدُوّ[١].

قولُه تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾ [فاطر: ٢٩]. أكَّد الخبر بحرف التأكيد (إنَّ) زيادةً في تحقيقِه، ولِما في التَّاكيدِ من الإيذانِ بكونِ ذلكَ عِلَّةً لِتَوْفيَةِ الأجور والزيادة فيها[٢].

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٦٠).

(٢) المصدر السابق، (٢٢/٣٠٨)، بتصرف يسير.

المطلب الثاني:
أسلوب الاستفهام

لأسلوبِ الاستفهام في الكلام فوائدُه وأغراضُه، فيأتي كثيراً لتقرير حقيقةٍ ما وإثباتها، ويأتي أيضاً للإنكار والنفي، ولأسلوبِ الاستفهام جمالُه الذي يُضفيه على الجملة.

ووردَ أسلوبُ الاستفهام في التوجيهات التربوية الوعظيَّة في عدد من المواضع:

١. قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [فاطر: ٨].

استخدمَ أسلوبَ الاستفهام هنا للمقارنة بينَ حالتين مختلفتين، وهما المهتدي والضَّال، وفي الآية حذفٌ مَجازُه: أَفَمَنْ زُيِّنَ له سوءُ عَملِه فَرأَى البَاطِلَ حقَّاً كَمَن هَدَاهُ اللهُ فَرَأَى الحَقَّ حقاً والباطلَ باطِلاً؟ [١]، فعندما تحصُلُ المقارنة بينهما عن طريق طرح التساؤل، فإنَّ نموذج الضلال يسقُطُ في هذه المقارنة، إذ إنَّ سبيل كلِّ واحدٍ منهما مختلفٌ تماماً.

وكذلك فإنَّ حالةَ هؤلاء الضَّالين في استمرارِهم في ضلالِهم، وتحَسُّرُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّم على حالِهم، كان ذلك مدعىً لاستخدام أسلوبِ الاستفهام في إثبات أنَّ هؤلاء قد زيَّنَ الشيطانُ لهم أعمالَهم وحسَّنها في أنظارِهم، فالاستفهام هنا غرضُه الإيضاح.

٢. قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر: ٣٧]. إنَّ عذابَ جهنَّم لا يقوى على مُعاناتِه أحد، وإنَّ الكُفَّار في جهنَّم في زيادةٍ دائمةٍ من العذابِ والنَّكالِ، وفي شدَّة هذه الأهوال والنيران، يطلُبونَ من الله العزيز أن يُخرِجَهم منها، وأن يُعيدَهم إلى الدُّنيا ليعمَلوا صالِحاً؛ فينْجُوا من جهنَّم، لكنَّ اللهُ سبحانَه وتعالى ردَّ عليهم بقولِه: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾، جاء الاستفهام وغرضُه هنا التوقيف والتوبيخ[٢]، وهو أيضاً للتقرير، فإنهم قد عمَّروا تعميراً يتذكَّرُ فيه من تذكَّر، وهو عُمْرٌ يتمكَّنُ فيه المُكَّلفُ من إصلاحِ شأنِه، وإن قصَّر، والتَّوبيخُ في المُتطاولِ في العُمرِ أَبْلغُ[٣]، لأنَّ العبدَ إذا بلغَ الستِّين والسَّبعين ولم يتعظْ، ولم يعُدْ إلى ربِّه ويصلِحْ ما أفسدَ، فإنَّه يستحقُّ يومَ القيامة العذاب والنَّكال،

(١) انظر تفسير البغوي، (٤١٣/٦).

(٢) تفسير ابن عطيَّة، (٤٤١/٤).

(٣) تفسير النسفي، (٩٠/٣).

والتقريع والتَّوبيخ على تقصيرِه وتفريطِه بعدَ أن عُمِّرَ ما عُمِّر، وهم أيضاً قد جاءهم النَّذير -وهو الرسول- ولم يرعَوُوا، ولم يستجيبوا، فبعدَ كُلِّ هذا ليسَ لهم إلا العذاب والتوبيخ والتقريع والنَّكال.

٣. قال تعالى: ﴿**اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ [فاطر: ٤٣]. جاء الاستفهام هنا بِهَلْ، وجاءَ السؤالُ تفريعاً على إصرارِهم على الكُفر بعد إنذارِهم، ومَكرِهم وكيدِهم، أن يُسأَلَ عنهم: ماذا ينتظرون؟ ويُجابُ بأنَّهُم ما يَنْتَظِرون إلا مثلَ ما حَلَّ بمَن قَبلَهم ممن سِيقَت قَصَصُهم في الآياتِ الماضية، ووقع الاستفهام بِهَل؛ لإفادَتِها تحقيقَ السُّؤالِ، وهو باعتبارِ تحقيقِ المَسْؤولِ عنه وأنه جديرٌ بالجوابِ بالتَّحقِيق. والاستِفهامُ مَجَازٌ تَهَكُّمِيٌّ إنْكارِيٌّ، نَزَلُوا مَنْزِلةَ من ينتظرون شيئاً يأتِيهم ليؤمِنوا، وليسَ ثَمَّةَ شيءٌ يصلُحُ لأن يَنْتَظِروه، إلا أنْ يَنْتَظِروا حُلولَ مثلَ أيَّامِ الذين خَلَوْا من قبلهم، التي هلَكوا فيها. وضمنَ الاستِفهامُ معنى النفي بقَرينة الاستثناءِ المُفَرَّغ، والتقدير: فهل يَنْتَظِرونَ شيئاً ما ينتظرون إلا مثلَ أَيَّامِ الذينَ خَلَوْا من قَبْلِهم(١).

وقرر أسلوبُ الاستفهامِ هنا حقيقةً مُهمَّةً، وهي ثباتُ سننِ الله سبحانَه وتعالى في الكونِ وفي مجتمعات النَّاس، فهي ثابتةٌ مُطَّرِدَةٌ لا تتغيَّر على مدارِ الأزمان.

٤. قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً**﴾ [فاطر: ٤٤]. هذه الجملةُ مَسُوقةٌ لتَقريرِ معنى ما قبلَها وتأكيدِه، أي: ألَم يسيروا في الأرضِ فيَنْظُروا ما أنْزَلْنا بِعادٍ وثَمُود، ومَدْيَن وأمثالِهم مِنَ العَذابِ لما كَذَّبُوا الرسل، فإن ذلك هو من سنةِ الله في المُكَذِّبين التي لا تُبَدَّل ولا تُحَوَّل، وآثارُ عذابِهم وما أنزلَ الله بِهم موجودة في مساكنِهم ظاهرةٌ في منازِلِهم، والحالُ أن أولئك كانوا أشَدَّ منهم قوةً وأطولَ أعْماراً، وأكثرَ أموالاً، وأقوى أبداناً(٢).

فالاستفهامُ تقريريٌّ للمعنى السابِق وهو ثباتُ سنَنِ الله في المكذِّبين والمعاندين، وفي نفسِ الوقت فيه تحريكٌ وإثارةٌ للنُّفوسِ للسَّيرِ في الأرض، حيثُ يُفهَم من الكلام مشروعيَّة السَّير في الأرض للنَّظر والاعتبار والتفكُّر بأحوالِ الأمم السابِقة وكيفَ قامَت وازدَهَرَت، ثم كيف زالَت وبادَت.

---

(١) التحرير والتنوير، (١١/٢٩٧-٢٩٨)، بتصرف يسير.

(٢) فتح القدير، (٤/٤٠٩).

المطلب الثالث:
أسلوب القصر

١. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨].

استخدَمَ أسلوبَ القصرِ في قصرِ الانتفاع بالنَّذارةِ على الذينَ يخشَوْن ربهم، واستخدَمَ أداةَ القصرِ (إنَّما)، وتعلُّق الفعل المقصور عليه (تُنذِر) بالخشية إنما هو تعلق على معنى حصول أثر الفعل، فالمقصودُ من القَصْرِ أنَّه قَصْرُ قَلْبٍ لأن المَقصودَ التَّنبيه على أن لا يظن النبيُّ صلى الله عليه وسلم انتفاع الذين لا يؤمنون بنذارته[١].

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

استخدم في القصر (إنما)، وتقديمُ المفعولِ لأن المقصودَ حصرُ الفاعليَّةِ[٢].

وذكر محط الفائدة وهو من ينفع إنذاره فقال: "العلماء"، أي: لا سواهم وإن كانوا عُبَّاداً وإن بلغَت عِبادتُهم ما عسى أن تَبلُغ، لأنه لا يخشى أحدٌ أحداً إلا مع مَعرفَته، ولا يعرِفُه جاهلٌ، فصار المعنى كأنه قيل: إنما ينفع الإنذار أهل الخشية، وإنما يخشى العلماء، والعالمُ هو الفقيه العامل بعلمه[٣]. وهنا حقيقةٌ لا بد منها: أن العلمَ ليس بكثرة التأليف والتصنيف؛ إنما بما يقعُ في قلبِ العبدِ من خشيةِ الله ومعرفته وتقواه.

٣. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

لا فضلَ يعدِلُ فضلَ اللهِ سبحانَه وتعالى، وإنَّ ما عندَ اللهِ سبحانَه وتعالى من الرحماتِ والخيراتِ لهي الفضلُ الحقيقيّ. وكلُّ ما أوتيَ الناسُ من نعيمِ الدُّنيا ومتاعِها لا وزنَ له أبداً في مُقابِل فضلِ اللهِ سبحانَه وتعالى في الآخرة.

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٩١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٧/١٥١).

(٣) نظم الدرر، (١٦/٤٨).

ولذا فإنَّ نعمةَ الاصطِفاء بالإيمان والدين والطاعات والعبوديَّةِ لله العظيم، وخصيصةَ العباد بالرحمات من ربِّ البريَّات لَهِيَ الفضلُ الحقيقيُّ، وما سِواها زائلٌ فاني لا يُقاسُ بتلك العوالِي والفضائلُ.

وجاء أسلوبُ القصرِ باستخدام ضمير الفصل (هو) في قولِه ﴿**ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾، وهو من باب قصر المسند في المسنَد إليه، ناسبَ ذلك الفضلَ والاصطفاء والرحمة أن يستخدمَ معها أسلوبَ القصرِ، لإفادَتِه المعنى الذي ذكرنا، وحَصرِ الفضلِ العظيم في تلك الفضائل من الاصطفاء والرحمة من رب العالمين.

٤. قال تعالى: ﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: ٤٣].

جاءَ أسلوبُ القصرِ هنا ليثبِّتَ سنةً اجتماعيَّةً، وقاعدةً مُطَّرِدةً في حياة النَّاس، وهِيَ أنَّ المكرَ السَّيِّءَ لا يَحيقُ إلا بصاحِبِه، وأنَّ دائرةَ المكرِ هذه لا بُدَّ أن تُغلَقَ على صاحِبِها مهما طالَ الزَّمن، وأنَّ حِسابَه لا بُدَّ أن يُدفَعَ يوماً ما.

واستخدَمَ في القصرِ النفي والاستثناء، "ليُفيدَ هنا أنَّه لا بُدَّ أنْ يَحيقَ بهِم إمَّا في الدُّنيا وإلا ففي الآخرةِ فعاقِبَتُه الفاسدةُ لهم، وإن حاقَ في الدنيا بغيرِهم أحْياناً فعاقِبةُ ذلكَ على أهلِه"[(١)].

---

(١) المحرر الوجيز، (٤٤٣/٤).

المطلب الرابع:
أسلوب الإيجاز والإطناب

أولاً: تعريف الإيجاز والإطناب:

١. **الإيجاز لغةً:** وجز: وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً ووَجْزاً وأَوْجَزَ: قَلَّ فِي بَلَاغَةٍ، وأَوْجَزَه: اخْتَصَرَهُ، يُقَالُ: أَوْجَزَ فلانٌ إيجازاً فِي كُلِّ أَمر [١].

٢. **الإطناب لغةً:** (طَنَبَ) الطَّاءُ وَالنُّونُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ثَبَاتِ الشَّيْءِ وَتَمَكُّنُهُ فِي اسْتِطَالَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الطُّنُبُ: طُنُبُ الْخِيَامِ، وَهِيَ حِبَالُهَا الَّتِي تُشَدُّ بِهَا [٢]، وأَطْنَبَ فِي الكَلَام: بَالَغ فِيهِ، والإِطْنَابُ المُبَالَغَةُ فِي مدْح أَو ذَمَ والإِكثَارُ فِيه [٣].

٣. **الإيجاز اصطلاحاً:** هو وَضعُ المَعانِي الكثيرةِ في ألفاظٍ أقلَّ منها، وافيةً بالغرضِ المقصود، مع الإبانةِ والإفصاح [٤].

٤. **الإطناب اصطلاحاً:** زيادةُ اللَّفظِ على المعنى لفائدةٍ، أو هو تَأْديةُ المعنى بعبارةٍ زائدةٍ عن مُتَعارَف أوساطِ البُلَغاءِ: لفائدةِ تَقْوِيَتِه وتَوْكِيده [٥].

ثانياً: ورودُه في سورة فاطر:

١. قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [فاطر: ٨].

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقاً والقبيح حسناً، كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه، فحذف الجواب لدلالة: فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وقيل تقديره أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة، فحذف الجواب لدلالة: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم وإصرارهم على التكذيب [٦].

---

(١) لسان العرب، (٤٢٧/٥).

(٢) مقاييس اللغة، (٤٢٦/٣).

(٣) تاج العروس، (٢٨٠/٣).

(٤) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، (١٩٧/١).

(٥) المصدر السابق، (٢٠١/١).

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٢٥٤/٤).

٢. قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ [فاطر: ١٠].

من شرطية، وجعل جوابها فلله العزة جميعا، وليس ثبوت العزة لله بمرتب في الوجود على حصول هذا الشرط فتعين أن ما بعد فاء الجزاء هو علة الجواب أقيمت مقامه واستغني بها عن ذكره إيجازا، وليحصل من استخراجه من مطاوي الكلام تقرره في ذهن السامع، والتقدير: من كان يريد العزة فليستجب إلى دعوة الإسلام ففيها العزة لأن العزة كلها لله تعالى، فأما العزة التي يتشبثون بها فهي كخيط العنكبوت لأنها واهية بالية[١].

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٧٠).

المطلب الخامس:
أسلوب التقديم والتأخير

جاء أسلوبُ التقديم في التوجيهات الوعظية في موضعٍ واحدٍ:

١. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر: ٦]. في الآية قدَّمَ لكم على مُتَعَلَّقه (عدو) والتقديم هنا للاهتمام بهذا المتعلَّق، وفرَّع عنه أن أُمِروا باتخاذِه عدوًّاً؛ لأنهم إذا علِموا أنه عدو لهم حُقَّ عليهم اتخاذُه عدوًّاً وإلا كانوا في حماقة، وفيه تنبيهٌ على وجوبِ عداوَتِهم لدعاةِ الضلالةِ أتباعِ الشيطان[١].

فهذه أساليب متنوعة استعملها القرآن الكريم في تقرير المعاني وإفادة المقاصد، ولا شك أن اختلاف هذه الأساليب له أثره على النفس، فيكون ذلك أوقع عليها مما لو كان الخطاب على أسلوب واحد، وهذه هي بلاغة القرآن.

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، (١٤٤/٧)، التحرير والتنوير، (٢٦٠/٢٢).

الفصل الثّالث

التوجيهات التربوية التعبدية وأساليبها في ضوء سورة فاطر

الفصل الثالث

التوجيهات التربوية التعبدية وأساليبها في ضوء سورة فاطر

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة فاطر:**
- **المبحث الثاني: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة فاطر:**

المبحث الأول:

التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة فاطر

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه.
- المطلب الثاني: تقرير أن العلم سبيل الخشية.
- المطلب الثالث: تلاوة القرآن وإقام الصلاة والنفقات موصلة إلى فضل الله ورضوانه.
- المطلب الرابع: وجوب العمل بالقرآن.
- المطلب الخامس: عبادة الدعاء وصرفها لله وحده.
- المطلب السادس: مشروعية ركوب البحر لقضاء الحاجات والانتفاع مما فيه.

المطلب الأول:
وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه

لمَّا خلق الله سُبحانه وتعالى السماوات والأرض، جعلها شاهدةً عليه سبحانه، ما من شيء فيها إلا وينطِقُ بأسمائه، ويُخبِرُ عن جليل صِفاته. وخلَقَ اللهُ جلَّ جلالُه الإنسانَ، وزوَّده من الحواسّ ما يجعلُه يشعُرُ بالامتنان إلى خالقه ومُرَبّيه، وعلّمه ما لم يكن يعلم، وكان فَضْلُ اللهِ عليه عظيماً، ثُمّ إن المولى جلّ وعَلا قدّرَ فَهَدى، وأخرَج المَرعى، فجعَله غثاءً أحوى، فيَسَّر الله للمخلوقات عامة وللإنسان خاصة أسباب الحياة من أرزاق ومعايش ومساكن وغيرها من أمور الدنيا، فكلُّ ذلك يقتضي –عقلاً– على الإنسان أن يحمَدَ ربَّه ويشْكُرَهُ على ما أنعَمَ به وأَولَى، فكَيْفَ وقد أرسل الله إليه رُسُلاً يعَرِّفونه بربِّه ويذكِّرونَه بمعادِه وحسابه، وأنزل معهم كُتُباً تبقى فيهم، ليزدادوا تمسُّكاً بحبلِ الله المتين، ثُمّ أوجب الله على عباده أن يَحْمَدوه ويَشْكُرُوه ويطيعوه؛ وذلك لأنه خَلَقَهُم ورَزقَهم ورَعاهم وكَلأَهُم، فكان واجباً على العباد أن يحمَدوه ويشكروه؛ امتثالاً لأمره سبحانه، ومقابل نِعَمه وآلائه.

أولاً: تعريف الحمد والشكر في الاصطلاح والفرق بينهما:

الحمد: الثناء، وهو نقيضُ الذّم[١]. وهو: الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها[٢].

الشكر: عِرْفانُ الإحسانِ ونَشْرُه[٣]، وهو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمُنعِم[٤].

الفرق بين الحمد والشكر:

١. الشُّكرُ لا يكون إلا مقابل النعمة، بينما الحمدُ يكون ابتداءً للثناء، ويكون في مقابل النّعمة، ويصلحُ الحمدُ على الصفات؛ فالحمدُ أعم من جهة متعلّقاته، والشكر في ذلك الباب أخصّ[٥].

---

(١) العين، الفراهيدي، (١٨٨/٣).
(٢) التعريفات، (٩٣/١).
(٣) تاج العروس، (٢٢٤/١٢).
(٤) الفروق اللغوية، العسكري، (٤٩/١).
(٥) انظر: الفروق اللغوية، (٤٩/١)، تاج العروس، (٢٢٦/١٢).

2. الشّكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانةً، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعةً وانقياداً، بينما الحمدُ لا يكون إلا باللسان؛ فالشكرُ أعمُّ من جهة أنواعه وأسبابه، والحمدُ في ذلك الباب أخصّ[1].
3. يجوز أن يَحْمَد الإنسانُ نفسَه في أمور جميلة يأتيها، ولا يجوز أن يَشْكُرَها لأن الشُّكر يجري مجرى قضاء الدين[2].

ثانياً: معنى "الحمد لله":

هذه كلمة جليلة عظيمةٌ لا منتهى لسعاداتِها ولا لخيراتِها، وقد ابتدأ الله بها سورة الفاتحة بعد البسملة، ومعناها الثناء بالجميل، والمدحُ بالكَمال ثابتٌ لله دون سائر ما يُعْبَد من دونِه، ودون كلّ ما برأ من خلقِه[3]. يقولُ فخرُ الدين الرازيُّ: "حمدُ المُنْعِم عبارةٌ عن كلّ فعلٍ يُشْعِرُ بتعظيم المنعم بسبب كونِه مُنعِماً، وذلك الفعلُ إما أن يكون: فعلُ القلبِ، أو فِعلُ اللسان، أو فعل الجوارح، أما فعلُ القلبِ فهو أن يعتقدَ فيه كوْنَه مَوْصوفاً بصفات الكمال والإجلال، وأما فعلُ اللسان فهو أن يَذكُرَ ألفاظاً دالَّةً على كَوْنِه موصوفاً بصفاتِ الكمال، وأما فعلُ الجوارحِ فهو أن يأتيَ بأفعالٍ دالَّةٍ على كَوْنِ ذلك المُنْعِمِ موصوفاً بصفات الكمال والإجلال، فهذا هو المُرادُ من الحمد"[4]. ويقول في موضع آخر: "الحمد والشكر ليس معناه مُجَرَّدَ قولِ القائل بلسانه: الحمدُ لله، بل معناه علمُ المنعَمِ عليه بكون المُنْعِم موصوفاً بِصفات الكمالِ والجلالِ، وكلُّ ما خَطَر ببال الإنسانِ من صفات الكمال والجلالِ فكمالُ اللهِ وجلالُه أعلى وأعظَمُ من ذلك المُتَخَيَّلِ والمُتَصَوَّرِ، وإذا كان كذلك امتَنَعَ كونُ الإنسانِ آتياً بحَمْدِ اللهِ وشُكْرِه وبالثّناء عليه"[5].

ثالثاً: إثبات الحمد كله لله عز وجل:

الله سبحانه وتعالى يستحقُّ الحمدَ بأجمعِه؛ إذ له الأسماءُ الحُسْنَى والصِّفَاتِ العُلا[6]، ولِما له من الجلال والعَظَمة والوَحدَانيّة والعِزّة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصّفات، ويتضمّن معاني أسمائه الحُسنى التسعة والتسعين، ويقتضي شكرَه والثناءَ عليه بكُلّ نعمةٍ أعطى

---

(1) انظر: تاج العروس، (12/226).
(2) الفروق اللغوية، (1/49).
(3) محاسن التأويل، (1/226).
(4) مفاتيح الغيب، (1/197).
(5) المصدر السابق، (1/193).
(6) الجامع لأحكام القرآن، (1/133).

ورحمةٍ أولى جميعَ خلقِه في الآخرة والأولى[١]، وهو سبحانه حَمِدَ نَفْسَه في كتبِه وصُحُفِه بتعريفه بصفاته الكماليّة وأفعاله الجليلة[٢]، وهو مُستَحقٌ للحمد على صفاته، وعلى أفعاله.

إنَّ الله محمود على كلّ شيء، وحمدُه شاملٌ لكل ما يُحْدِثُه من إحسانٍ ونعمةٍ وامتحانٍ وبليّة، وما يقضيه من طاعةٍ ومعصيةٍ، فهو سبحانه محمود على ذلك مشكور[٣]، فكلُّ حمدٍ وثناء فهو لله وحَقُّه ومِلْكُه، وكلُّ حمدٍ أتى به أحدٌ من الحامدين فهو لله، وكلُّ حمدٍ لم يأتِ به أحدٌ من الحامدين وأمكنَ في حُكمِ العقلِ دخُولُه في الوُجود فهو لله، وذلك يدخُلُ فيه جميعُ المَحامِدِ التي ذكَرها ملائكةُ العَرشِ والكُرْسِيّ وساكنوا أطباق السماوات، وجميع المحامد التي ذكَرها جميعُ الأنبياء من آدم إلى محمد صلواتُ الله عليهم، وجميعُ المحامد التي ذكرها جميعُ الأولياء والعلماء وجميع الخلقِ، وجميع المحامِدِ التي سيذكرونَها إلى وقتِ قولهم: ﴿**دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾ [يونس: ١٠]، ثُمَّ جميعُ هذه المَحامِد مُتَناهِية، وأما المَحامِدِ التي لا نهايةَ لها هي التي سيأتونَ بها أبَدَ الآباد ودَهرَ الداهرينَ، فكلُّ هذه الأقسامِ التي لا نهايةَ لها داخلةٌ تحتَ قولِ العَبْدِ: الحمدُ لله ربِّ العالمين[٤].

رابعاً: ورود الحمد في سورة فاطر:

سورةُ فاطر واحدة من السور التي ابتدأت بحمد الله جل جلالُه، وفي كل سورةٍ من تلك السور يذكُر الله تعالى شيئاً من الحقائق أو الشواهد التي توجبُ علينا أن نحمد الله عليها، وفي سورة فاطر ذكر سبحانَه وتعالى أنه فاطرُ السماواتِ والأرض، أي خَلقهما على غير مثالٍ سابق وابتدأ خلقهما، وذكر مع هذا خَلْقَ الملائكةِ وعظمتِها، وعقَّب بعد ذلك بالنداء للناس بأن يذكروا نعمته عليهم في خلقهم وإمدادهم بأمور معاشهم؛ ولذلك كان جل جلاله مُستحقّاً للحمدِ على هذه النعم وغيرها، يقول تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١].

فالحمدُ كان عنوان سورةِ فاطر ومقدَّمتها، وهذا ينسحبُ على السورةِ كلها، إذ كل ما في السورةِ يؤدِّي بالسامعِ إلى حمدِ الله تعالى: من إثبات تفرُّد الله تعالى بالإلهية على ما أبدعَ من الكائناتِ والمخلوقات، وكذلك في إثباتِ صدقِ الرسول صلى الله عليه وسلم، وإثبات البعث والدار

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٦٣/١).

(٢) روح البيان، إسماعيل حقّي، (١١/١).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادة، ابن القيم، (١١٨/١).

(٤) مفاتيح الغيب، (١٩٤/١).

الآخرة، وفي إثبات عجزِ الآلهة المزعومة من دونِ الله، وفي جزاءِ المؤمنين بالجنة، وجزاء الكافرين بالنار، وغيرها من موضوعات السورة؛ فناسب أن ينسحبَ الحمدُ على كل السورة.

وفي موضعٍ آخر من السورة ذكر الله سبحانَه وتعالى الحمدَ في العالم الآخَر، فبعدَ أن يدخلَ المؤمنون الجنَّةَ ويتنعموا فيها يحمدون الله الكريم على ما أولاهم من هذه النعمة العظيمة الجليلة، وعلى ما صرف عنهم من الشقاء والبؤس والحَزَن، يقول تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٣٤]، فبعدَ أن ذكرَ حالَ أهلِ الجنةِ ذَكَرَ مقالَهُم وهو حمدُهم لله على نعمةِ دخولِ الجنة وذهابِ أحزانِهم وآلامهم؛ فالله سبحانه وتعالى له الحمدُ في الأولى والآخرة، وله الحمدُ على كلِّ ما يولي من نعم وآلاء، وله الحمدُ على كلِّ فعلٍ له في الأكوان.

خامساً: التوجيهات التربوية المستفادة:

١. جميع ما في السماوات والأرضِ شاهدٌ على الله سبحانَه وتعالى ناطقٌ بعظمته، مخبرٌ عن جليلِ صفاتِه، وحميد أفعالِه؛ وهذا يوجبُ على العبادِ حمدَ ربهم في جميعِ أحوالِهم.
٢. الحمدُ لا يكونُ فقط مقابلَ النعمة، وإنما هو الثناءُ على الجميل من أفعالِ الله سبحانَه سواءٌ كان ذلك واصلاً للعبدِ أم لغيره؛ فكل أفعالِ اللهِ خيرٌ، وكل أفعال الله محمودةٌ، وكل أفعالِ الله فيها من الحكمِ الكثيرةِ ما دقَّ منها وما ظهر.
٣. معرفةُ العباد بأن الله حميدٌ محمودٌ، وأنَّه حكيمٌ في أفعالِه تجعلُهم عندما يُبتلون بالمصائب يصبِرون ويحمدونَ الله، ويسلِّمونَ أمورهم لله تعالى مع الرضا الكاملِ عنه، وبالتالي يزيدُهم ذلك إيماناً وقرباً من الله، ويعطيهم الله على ذلك الثوابَ الجزيل في الدنيا والآخرة.
٤. الحمدُ قوليٌّ وفعليٌّ وقلبيٌّ: أما القولي فحمدُ اللسانُ والثناءُ على المُنْعِم بما أثنى به الحقُّ على نفسِه على لسانِ أنبيائه ورسله الكرام والتحدث بالنعم، وأما الفعليُّ فهو العمل بطاعةِ الله والإتيان بالأعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء وجه الله، وأما القلبيُّ فهو معرفةُ مقدارِ النعمةِ، والعلمُ بأنها من الله وحدَه، والعلمُ بأنها تفضُّلٌ لا باستحقاقِ العبد، والاتصافُ بالكمالاتِ الروحيَّة والتخلُّق بالأخلاق العالية(١).
٥. مهما خَطَرَ ببالِ الإنسانِ من صفاتِ الكمال والجلال فكمالُ الله وجلالُه أعظم وأجلُّ من ذلك، ومهما حمدَ العبادُ ربَّهم فلن يحصوا ثناءً عليه، كما في الحديث: "وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ

---

(١) انظر: التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزي، (٦٤/١)، روح البيان، إسماعيل حقي، (١١/١).

لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"(١)، أي لا أُطيقُه ولا آتي عليه، ولا أُحيطُ به، وفيه اعترافٌ بالعجز عن تفصيلِ الثناء وأنه لا يقدرُ على بُلوغِ حقيقتِه(٢).

---

(١) صحيح مسلم، (٣٥٢/١)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٦).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، (٢٠٤/٤).

المطلب الثاني:
تقرير أن العلم سبيل الخشية

بيَّن اللهُ سبحانَه في القرآن الكريم للناس كلَّ ما يحتاجونه من أمور معاشِهم ومَعادِهم، وأوضح لهم سُبُلَ الوُصول إليه، وعَرَّفهم بمَعَالِمِ الرُّقيّ إلى المَقامات والأحوال التي يُحِبُّها ويرضاها من عباده، وهذا كلّه من فضلِ الله العظيم ومَنِّه الكريمِ على عبادِه؛ إذ ما تَرَكَ من خيرٍ إلا ودَلَّهُم عليه وأرشَدَهم إليه، وأوضح لهم طرق الوصول إليه. ومن تلك المقامات الشريفة مقامُ الخَشْية، وهو مقامٌ يَطْمَحُ إليه عِبادُ اللهِ الصَّالحون، ويتطلّعُ إليه العابدون النَّاسكون، فقرر سبحانه أن السبيل إلى خشيته هو العلم، وكلّما ازداد المرء علماً؛ كان ذلك أحرى أن يزداد المرءُ معرفةً بربِّه العظيم فيزدادَ خشيةً منه وتعظيماً له سُبحانه. وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

أولاً: فضيلةُ العِلم والترغيبُ فيه:

إن شواهد وآثار فضائل العلِم في القرآن والسنّة كثيرةٌ جليلة، ونذكر أمْرَيْن يوضِّحان مدى أهمّيّة العلم ومكانته في ديننا الجميل:

الأمر الأول: في قصة آدم عليه السلام مع الملائكة الكرام، كان أن فَضَّلَه الله عليهم بالعلم وإمكانيّة التّعليم، فقال سُبحانه: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ٣١-٣٢]. أظهر الله فضيلة آدم على الملائكة بالعِلم وظهر للملائكة لمَ كان آدم خليفةُ الله في أرضه، وبان فيه من الفوائدِ العِلميّة التي هي أصول الفوائد كُلِّها ما يَسْتَأهِلُونَ لأجلِه أن يُسْتَخْلَفوا، وأفادت الآيةُ أن علم الأسماء فوق التخلِّي للعبادة فكيفَ بعِلم الشريعة(١). ويمكن القول: قياساً على ذلك بأن العلوم المفيدة الدينية والدنيوية هي أفضل من التفرغ للعبادة لأنها تظهر أفضلية الإنسان في التعلم والعلم، ويكون النَّفعُ فيها مُتَعَدِّياً وهذا إذا استخدم العلم في نفع الناس وتيسير أمور معاشهم.

الأمر الثاني: أَوَّلُ ما نَزَلَ من القرآن قولُه تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١-٥]. ذكرت الآيات الفعل "اقرأ" مرتين، ومادةّ "العلم" ثلاث مرات، وذكرت القلم الذي هو أهمّ أداة تعليم في حياة الإنسان. وتبرز حقيقة التعليم، تعليم الرَّبِّ للإنسان "بالقَلَم"؛ لأن القلم كان وما يزال أوسَعَ وأعمَقَ أدوات التّعليمِ أثراً في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٧٩/١).

الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله سبحانه كان يعلَمُ قيمة القلم، فيُشيرُ إليه هذه الإشارة في أوّل لحظة من لحظات الرّسالةِ الأخيرة للبشريّة في أوّل سورة من سورِ القُرآنِ الكريم"[١].

فدلَّ على كمال كَرَمِه سُبحانَه، بأنّه علَّم عبَادَه ما لم يَعْلَموا، ونقَلَهُم من ظُلْمَة الجَهلِ إلى نور العلم، ونبّهَ على فضلِ العِلْمِ والتَّعْليمِ والكتابة؛ لما فيها من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إنسان، من تدوين العلوم وتقييد الحِكَم، وحفظ أخبار الأولين ومقالاتهم، وحفظ كُتبِ الله المُنزَلة، ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين[٢].

ثانياً: العلم يؤدّي إلى الخشية:

قرَّرَت سورة فاطر هذه الحقيقة في ثناياها، فبعدَ أن تحدَّثت السورة عن شواهدِ الربوبية في الكون، وتنوُّع أصناف وألوان الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام ذكرت الآيات أن الذي يعظِّم مقام الله تعالى وخشاه هم العالمون به؛ لأنهم عرفوا صفاتِه ورأوا قدرتَه في الكون، ومُلكه، وعزته، وسلطانه، يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٧–٢٨]. فالعلم بالله العظيم وصفاته ونعمه وآلائه يؤدي بالإنسان إلى الخشية؛ لأن من كان عالماً بالله اشتدّت خشيتُه[٣].

إن دراسةَ العلوم الدينية: كالتفسير والحديث والفقه والعقيدة تزيد من إيمان العبد وترتقي بروحِه وتَسْمُو بها، وتُكسِي صاحبها سَمتاً حسناً، وتقرِّب العبدَ من ربِّه، وكلّما ازداد فيها باعاً كلما ازدات خشيته لله، لأنه علم أوامر الله ونواهيه، وحلاله وحرامه، وتعرّف على صفات ربِّه وما له من الجلال والكمال والعظمة، وقرأ آيات ربِّه، فكلّ هذا يجعل العبد أتقى لله وأخشى له.

والعلوم الدنيوية والمادية والحياتية الطبيعي فيها أن تقود العالِم بها إلى معرفة الله وخشيته وعبادته؛ لأن خالق هذه الأسباب والسنن والنواميس هو الله سبحانه وتعالى، وفي كل يوم يكتشف العلماء أموراً جديدةً في هذا الكون الفسيح، تحار العقول في إتقانِها وبراعتها وخَلْقِها.

ويرى الباحث: أن قوانين الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء وغيرها مما توصل إليه العلماء ومما لم يتوصلوا إليه؛ إنما هي في الحقيقة اكتشافٌ لحقائقَ ونواميسَ وسننٍ وعوالمَ خَلَقَها

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٩٣٩/٦).

(٢) تفسير القرطبي، (١٢٠/٢٠).

(٣) الوجيز، الواحدي، (٨٩٢/١).

اللهُ سبحانه، وجعل نظام الكون يسير وفق هذه القوانين، وبالتالي فإن هذه المعلومات والتفاصيل اللانهائية في الكون إنما هي علامات على وحدانيّة الله وجليل صفاته، فالحجر والشجر دليلٌ، والبحار دليلٌ، وقوانين الذّرّة دليلٌ، وكُلّ ما في العلوم الثابتة دليلٌ على الوحدانيَّة؛ لأن الله هو الذي أوجد هذه القوانين وهيّأ للبشر أن يتوصلوا إليها ويعرفوها، فكانت نتاج تراكمات علمية على مدار مئات وآلاف السنين. إنّ الطّبيعيَّ والمَنْطِقِيَّ في التَّعامُلِ مَعَ هذه العلوم أنْ تزيدَ إيماننا ومَعْرِفَتَنا بالله وقُدْرَتِه وحِكْمَتِه وبَدِيعِ نِظامِه وإتْقانِه لهذا الكَوْنِ الفَسيح من الذرة وحتى المَجَرَّة، ولا يزالُ البشرُ يَكتَشِفون من هذه القُدرة ومعالِمِها يوماً بعد يوم، لكن للأسف في زماننا هذا طغت موجات الإلحاد، وفي علوّ الغرب العلميّ علينا فَصَلوا العِلم عن الدين، ونادوا بأعلى صوتهم أن الدين يتعارض مع العلم، وألَّهُوا الطّبيعة والمادَّة وجعلوها هي التي تَخْلُق وتُبْدِعُ وتُحْيِي وتُمِيتُ، سبحان الله العظيم، مع أن القوانين التي وضَعَها الله في كونِه العَظيمِ تقودُ إليه وتُرْشِدُ عليه، فاستخدموا هذه القوانين في كلِّ مجالات الحياة، وأعملوا عقولهم للوصول إلى أسرار العلوم جميعاً؛ لكنَّهم في جانب الألوهيّة عطّلوا عقولهم، وعطّلوا قوانينهم، ونسفوا كلّ المقدّمات والنتائج، وشَوَّهوا وَجْهَ الحقيقة الناصِعِ الأَجْلَى، بل أَخْفَوْا حقائقَ قاطعةً تَوَصَّلوا إليها تقود إلى الله الواحد، فهُم بين مُنْكِرٍ جاحِدٍ للإله، وبين مُشَوِّهٍ للتصور عن الإله في عقول البشر. لكن أنّى لهم ذلك، فهُم ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٣٢]. يَأبى اللهُ إلا أن يتُمَّ نوره، فإن الله سبحانه يُسَخِّر لهذا الدين من يُدَافِعُ عنه ويَدْفَعُ عنه، بل يجعل الحق أحياناً يجري على ألسنة عُلماءِ الغربِ غيرِ المُسْلِمين، ففي كثير من شهاداتهم في شتى المجالات، ذكروا حقيقة هذا العلم، وأن وراء هذه القوانين وهذه المعلومات، يدٌ صانعةٌ حكيمةٌ قادرةٌ، وأن ما علِمَه العلماء من الكون نقطةٌ من بحر هذا الكون الهائل، وما يعلمه الإنسان لا يقارَن بما يجهله في هذا الكون العظيم.

المطلب الثالث:

تلاوة القرآن وإقام الصلاة والنفقات موصلة إلى فضل الله ورضوانه

إن الإيمان والعملَ الصالِح هو الطريقُ إلى مَحَبَّةِ اللهِ وفَضْلِه ورِضْوَانه، وليس بين الله وبينَ وأحدٍ من خلقِه امتيازٌ ولا نسبٌ ولا محاباةٌ مجردَ كونِه من جنسٍ مُعَيّن أو لونٍ مُعَيَّن، فالكُلُّ خَلْقُه وعَبِيدُه، وكُلُّ النّاس لآدمَ، وآدمُ من تراب. لن يشفع لإنسانٍ كونَ أبيه نبيّاً أو مَلِكاً أو وزيراً أو وليّاً من أولياءِ الله مادام أنّه ليس من أهل الإيمان والعمل الصالح. إذَنْ إنَّما هو الإيمانُ والعملُ الصالح، به يَتَمايَزُ العبادُ عند ربّهم، ولأجلِه يَتَفاوَتُون في المنازل في الدنيا والآخرة عندَ مولاهم وخالقِهم. والعملُ الصالحُ اسمٌ لأجناسٍ مُختلفةٍ من الأمور الكثيرة في هذا الميدان، وقد جمعت سورة فاطر أعمالاً عظيمةً في آيةٍ واحدة، وهي تلاوة القرآن، وإقام الصلاة، والإنفاق وجاء هذا في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾ [فاطر: ٢٩].

وسنتحدث هنا عن هذه الأعمال في ثلاثة فروع كما يأتي:

أولاً: تلاوة القرآن:

تُعتبرُ تِلاوةُ القُرآن من العبادات العظيمة القدْر في ديننا الجميل، فهي كالوقود الذي لا ينقطِعُ نورُه ولا عَطَاؤه، ولا يَنْضَبُ مَعِينُه، وبدوام هذه العبادة يحافظ العبدُ المؤمنُ على رُوحِه وقلبِه وضميرِه ومشاعرِه، ويبقى إيمانُ العبدِ حيّاً غضّاً طريّاً ما دام يسقيه بتلاوة القرآن.

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. التعرُّض لكلامِ الله وتلاوتِه يزيدُ الإيمانَ والنُّورَ في قلب العبد المؤمِن، ويُديم السُّموَّ الرّوحي، فهو في تذّكُّرٍ دائمٍ لجلالِ الله وعظمتِه، وفي تطلُّعٍ مستمر للعوالم العُلويّة والرّحمات الربّانية.

٢. قراءة أحوال الأنبياء والمُصْلِحين في القرآن الكريم يُعين على الثبات على الحقّ ودعوة الرّسل؛ لأن العبدَ يرى له سَلَفاً صبروا على المِحَن وثبتوا على الإيمان والصراط المستقيم، وقد برزَ هذا الجانب في حياة النبيّ صلى الله عليه وسلّم حيث أنّ الله سُبْحانَه وتعالى يُذَكّرُ نبيّه بسيرة الأنبياء قبلَه بأن يَقتديَ بهم، في سورة الأنعام ذكرَ الله سُبحانه بعد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه عدداً من الأنبياء، ثم ذكر قال لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ٩٠]. فيكون في ذلك تثبيت لقلب النبيّ صلى الله عليه وسلم.

٣. حفظ المؤمن من الانحراف عن هَدْيِ الإسلام، وهَدْيِ الأنبياء، وتحُثُّه على الثَّبات على الطاعات والعمل الصالح؛ لأنه في تذكّر دائم للحساب واليوم الآخِر، وأنَّهُ سيُحاسِب على ما قدَّم من خيرٍ أو شر، ويسمَعُ قول الله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [هود: ١١٢]. فتجعلُ المرءَ كلما قرأها يقوِّمُ مسارَه ويراجعُ أحواله ويُحاسِب نَفْسَه على كل تقصير.

٤. مداومةُ تلاوةِ القرآن يحفظُ عقل الإنسان من الخبل والجنون؛ لأنه بذلك يقوي عقله ويغذيه بالعلم النافع، ويُعرِّفُ الإنسان بحقيقةِ الدنيا ومآلاتها وأحوالها، وبالتالي يستقر فؤادُ الإنسان ويجسُر قلبُه تجاه أي مُلمَّة.

٥. إن تلاوة القرآن حقلٌ كبيرٌ من حقول الأجر والثواب والحسنات، وقيامُ الليلِ بتلاوة آيات القرآن هي أعظم النوافل بعدَ الفريضة، وبالتالي زيادة رصيد الحسنات، وتقَرُّباً في أبواب النوافِل، مما يؤدّي إلى زيادةِ محبّةِ اللهِ سبحانَه للعَبْد، واستحقاق فضِل اللهِ ورِضوانه؛ فاللهم اجعلنا من أهل القرآن المكثرين من تلاوته، العاملين بآيته، المُستحقِّين فضلَ الله ومحبِّتِه ورضوانِه، آمين.

ثانياً: إقام الصلاة:

تُعَدُّ فريضةُ الصَّلاةِ من أعظِم شعائرِ دينِنا العظيم، وهي الفريضة التي فرضَها الله في السّماء بعد أن عُرِجَ بِنَبِيِّه الكريم إلى السماواتِ العُلَى، وفي باطن هذه الشعيرة عُروجٌ لروحِ الإنسان إلى الله سُبْحانَه وتعالى، وهي قُرّة عيونِ المُحبّين، ولذّة أرواح الموَحّدين، وبستان العابدين ولذة نفوس الخاشعين، ومَحَكُّ أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمةُ الله المُهداة إلى عبادِه المؤمنين(١)، والصلاة من الأمور التي تُريح النفسَ لقوله صلى الله عليه وسلم: "حُبِّبَ إليَّ النساء والطِّيب، وجُعِلَت قُرَّةُ عيني في الصلاة"(٢). وتُعَدُّ الصلاة من أفضل أعمال الدين، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة على ميقاتها" الحديث(٣). وهي أوّل ما يُحاسب عليه العبدُ يوم القيامة، وبدونها لا وزن لإيمان العبدِ ولا لإسلامه، بل إن الذي يمنع الإنسان من الشرك أو الكفر كون الإنسان يصلّي، فإذا تركها لم يبقَ بينه وبين الشرك حائلٌ بل دخل فيه، في الحديث عن جابر

---

(١) انظر: أسرار الصلاة، ابن القيّم، (١/١).

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، (٢/١٩٠)، كتاب النكاح، باب حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة، حديث رقم (٢٧٣٣)، قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) صحيح البخاري، (٤/١٤)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم (٢٧٨٢).

رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: "إن بينَ الرَّجُل وبين الشِّرْك والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاة"[١]، فما دامت الصلاة عظيمة الخَطْرِ هكذا؛ دلَّ ذلك على عِظَمِها وأهَمِيَّتِها، وكذلك على كبير فضلها وثوابها عند الله، واستحقاق صاحبها عظيمِ فضلِ الله ورِضوانِه.

ثالثاً: النفقات:

تتنوَّع أبواب الخير والفضل والقربة عند الله سبحانه وتعالى، وفي هذا خير كثير للعباد، ومن هذه الأبواب الفسيحة باب النفقات والصّدقات، وهو بابٌ جميلٌ عميمُ النّفعِ على العِباد، سواءً على المُعطِي الآخِذ، وكذلك على سائر العِباد والمخلوقات.

وتُعتَبَرُ النفقاتُ عنوانَ الأعمالِ المُتَعَدّيةِ النَّفعِ التي يُعطي اللهُ عليها الفضلَ العظيم والثوابَ الجسيم، فهي لا يقتصرُ نَفْعُها على فاعِلِها كما الصلاة والذّكر وما شاكَلَهُمَا من العبادات؛ إنما يتعدّى نفعها وفضلُها إلى العِباد، ولذا كانت هذه ميزةً فضّلتها في هذا الجانب على العبادات القاصرةِ النّفع، وبالتالي يزداد أجرُها ويتضاعف ثوابُها بحَسْبِ تعدّيها ونَفْعِها للعِباد.

والنّفقات تشملُ النَّفَقَةَ الواجبةَ على الأهلِ والولد وذي القُربى وصَدَقة التّطوّع، والإنفاقُ في سبيلِ اللهِ أَظْهَرُ آياتِ الإيمانِ الصحيح، وهو من أقوى أَماراتِ الإيمان بالغيبِ؛ لأن كثيراً من الناس يأتون بضُروبِ العِباداتِ البدنيّةِ كالصّلاةِ الصّومِ، ومتى عُرض لهم ما يقتضِي بذلَ شيءٍ من المالِ لله تعالى يُمسِكون ولا تَسمحُ أَنْفُسُهم بالبَذل، والإنفاقُ المُعتبَر هو النّاشئُ عن شُعورٍ بأن الله تعالى هو الذي رَزَقَه وأنْعَمَ عليه به، وأنّ الفقيرَ المحرومَ عبدٌ لله مثلُه، وأنّه حُرِمَ من سَعةِ العَيْشِ لِضَعفٍ أو حِرمانٍ من الأسبابِ التي توَصِّلُ إلى الرِّزق، أو عن إحساسٍ بأنَّ مصلحةً من مصالحِ المسلمين تحتاج إلى بذلِ المال فيُنفِقُ من مالِه لأجلِ اللهِ سُبحانَه فهذا الذي يستَحقُّ الفضلَ من اللهِ سُبحانَه[٢].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. استحقاق الثوابِ العظيم عند الله سبحانه وتعالى، حيث يقول المولى الكريم في مُحْكَمِ آياتِه: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١]. وهذا مَثَلٌ ضربَهُ اللهُ تعالى يُرَغِّبُ فيه على الصّدقات، ويُقَرِّب فيه مقادير الأجور العظيمة التي

(١) صحيح مسلم، (٨٨/١)، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، حديث رقم
(٢) انظر: تفسير المنار، (١١٠/١).

سيحصلون عليها جزاءً على صَدَقاتِهم؛ حيث إن الله سبحانه يعطي الأجر العظيم ويضاعِفَه أضعافاً كثيرة لمن يشاء.

٢. في الصَّدقة تهذيبٌ لنفسِ المؤمن وتطهير لها من أمراض الشُّح والبُخل والحِرص، وتخليصٌ للقلوبِ من حُبِّ الدنيا، وتطهير للنفوس من الذنوب والمعاصي والآثام؛ فإن الصدقة تُطْفِئُ الخطيئةَ كما يطفئُ الماءُ النارَّ، وهي كذلك تُذهِبُ أدرانَ القلوب وشَوَائبَها وعلائِقَها.

٣. الصدقاتُ تُحَوِّلُ المجتمع إلى أُسرة يَسودُها التعاون والتكافُل، والتَّوادّ والتّراحُم وتَرفعُ البَشَرِيّةَ إلى مستوى كريم: المُعطي فيه والآخَذُ على السَّواء[١]، ويكون التضامن بين عيال الخالق، والشعور بالآصرة الإنسانية، وبالأخوة البشرية[٢].

٤. الصّدقات يدفعُ اللهُ بها من السُّوء عن العبدِ ما لا يعلمُه إلا الله، فهي تطفئُ غضب الرّب تبارك وتعالى، وتدفعُ النِّقَم والبلايا والمصائِب في الأهل والمال والولد.

---

(١) في ظلال القرآن، (٣٠٤/١).

(٢) المصدر السابق، (٤٠/١).

المطلب الرابع:
وجوب العمل بالقرآن

أنزلَ اللهُ القرآن الكريم ليكون منهاج حياة، وعالجَ به كل القضايا الأساسية في المجتمع، فغيَّر الله بالقرآن نفوس أقوام وعقولهم، فما فتئوا إلا وقد أصبحوا سادةَ الدُّنيا ودانت لهم العرب والعجم. وما كان ذلك ليكون لولا أنهم فهموا رسالة القرآن وتدبروا آياته وعملوا بها واقعاً في حياتِهم؛ فكان القرآن مصدرهم التشريعي، والإيماني، والرُّوحاني، والأخلاقيُّ، والأدبيُّ، والفكريُّ.

لا بدَّ لنا أن ندركَ وظيفة القرآن أولاً، يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله عن القرآن الكريم: "فهو كائنٌ حيٌّ مُتَحرِّك، ونحن نراه في ظل هذه الوقائع يعمل ويتحرك في وسط الجماعة المسلمة ويواجه حالاتٍ واقعةً فيدفع هذه ويقر هذه ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها، إنه في ميدان المعركة وفي ميدان الحياة، وهو العنصر الدافع المحرك الموجه في الميدان، ولم تعد له تلك الصورة الحقيقية التي كانت له عند نزوله في حس المسلمين. ودرجنا على أن نتلقاه إما ترتيلاً منغماً نطرب له، أو نتأثر التأثر الوجداني الغامض السارب! وإما أن نقرأه أوراداً أقصى ما تصنع في حِسِّ المؤمنين الصادقين منا أن تنشئ في القلب حالة من الوجد أو الراحة أو الطمأنينة المبهمة المجملة، والقرآن ينشِيء هذا كله؛ ولكن المطلوب -إلى جانب هذا كله- أن ينشيء في المسلم وعياً وحياة، المطلوب أن يراه المسلم في ميدان المعركة التي خاضها، المطلوب أن يتوجه إليه المسلم ليسمع منه ماذا ينبغي أن يعمل- كما كان المسلم الأول يفعل- وليدرك حقيقة التوجيهات القرآنية فيما يحيط به اليوم من أحداث ومشكلات وملابسات شتى في الحياة، فلا بد لنا من استشارة القرآن في حركات حياتنا وملابساتها، وإلى رؤيته يعمل ويتحرك في مشاعرنا وفي حياتنا كما كان يعمل ويتحرك في حياة الجماعة الأولى"[1].

فالقرآن جاء ليعمل النّاسُ به، وجاء ليعملَ في حياة الناسِ والأمم، وإلا فلمَ كان معجزةً؟ ولِمَ تكفّل اللهُ بحفظه، ولِم نزلَ مُفَرّقاً على الوقائع في ثلاثٍ وعشرين سنةً؟!

والصحابة الكرام فهموا هذا الأمر وَوَعُوهُ جيّداً فكانت معاملتُهم مع القرآن تتناسبُ مع الحكمة التي نزلِ القرآنُ لأجلها، فكانوا يحفظون السورة ولا يتجاوزونها إلا بعد أن يعملوا بها. وبذلك صُنِعوا على عينِ الله وتَرَبَّوْا أحسن تربيةٍ، وكانوا أهلاً للقرآن بحقٍّ.

---

(١) في ظلال القرآن، (٣٠٥/١)، مع تصرف يسير.

فالله سبحانه وتعالى أمر عبادَه بتلاوة القرآن ثم أورثهم إياه وأمرهم بحملِه والعمل به، يقول تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ [فاطر: ٣٢].

والله سبحانه وتعالى أمر الناس بالعمل بالقرآن الكريم وأثنى على من هذه صفتُه، فقال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ**﴾ [البقرة: ١٢١]. ومن حق التلاوة أن يُحلَّ حلاله ويُحرّم حرامه ويعمل بمُحكمه[١].

فنخلُصُ إلى أنَّ العمل بالقرآن لا ينفكُّ عن تلاوته وقراءته، بل ما فائدةُ القرآن إذا لم يُعمَلْ به ولم يُحْكَم به بين الناس، فكان العمل بالقرآن أمراً خطيراً مُهِمَّاً.

وإنَّ من العمل بالقرآن الحكم به بين الناس بشرع الله، وفي دساتير الدول، وفي المعاملات التي تحكم بين الناس، وفي علاقات الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السِّلم والحرب.

فإنه ما ضلَّ المسلمون وشقَوا في عصرنا هذا إلا بعدما تركوا العمل بالقرآن الكريم والاحتكام إليه، وقدّموا الدساتير الغربية والشرقية وأهواء الزعماء الفسَقة عليه، واتبعوا القوانين والتشريعات الأرضية –التي فشلت في بلادها أولَ ما فشلت– فكان أن تشتَّت المسلمون وتمزّقوا، وذهبت هيبتهم عند أمم الأرض؛ فترى المسلمين يعانون الأزَمات والمَجاعات والوَيْلات هنا وهناك، كل هذا بسبب بعدنا عن كتاب ربّنا، ولأننا ابتغينا العزة بغير القرآن.

إن خلاصنا هو فقط بالرجوع إلى كتاب الله والاحتكام إليه والعمل به، فهو أقصر الطرق للوصول إلى بر الأمان وشاطئ السعادة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٩]. وهذا يعني العِصمة عن الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة كما بني إسرائيل، وفيه ضمان سلامة أمّة القرآن من الحَيْدةِ عن الطريق الأقوَم، لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم[٢].

والهُدى يشمل أقواماً وأجيالاً بلا حدود من الزمان أو المكان، فيشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكلُّ خيرٍ يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان [٣].

---

(١) انظر: تفسير السعديّ، (٦٥/١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٤٠/١٥).

(٣) في ظلال القرآن، (٢٢١٥/٤).

المطلب الخامس:
عبادة الدعاء وصرفها لله وحده

الدُّعاء عبادة جليلةُ القَدْر، وهي من العبادات التي تتجلّى فيها عبودية المسلم بوضوح، حيث يقترب العبدُ من ربِّه، ويفتقر إليه، ويَتَمَسْكَنُ بين يديه، ويرفعُ حوائجَه إليه، ويشكو أحزانَه وأشجانه، ويَبُثُّ مَشَاعِرَه، ويرفعُ أمنياتِه وأحلامَه إلى مولاه الكريم.

وعبادةُ الدعاء من أعظم العبادة، في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدعاء هو العبادة" ثم قرأ: "﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾ [غافر: ٦٠]"[١].

فالدّعاء هو إظهار غاية التّذلُّل والافتقار إلى الله والاستكانة له، وما شُرِعت العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه[٢]. وقد رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العبادة في أحاديث كثيرة، بل إنه كان أحياناً يطلب من الصحابة أن يدعوا له، وجاء في حديث: " إنه من لم يسأل الله يغضَبْ عليه"[٣]، والله سبحانه يُحِبُّ العبد اللحوح، وهو الذي يُكثِرُ الدُّعاء ويُلِحُّ في طلبه من الله سبحانه.

شروط استجابة الدعاء:

١. الإخلاص: وهو أن يدعو الله سبحانه بإخلاص، ويُصفِّي دعاءه من كل شائبةٍ تشوبه، ولا يفعل ذلك رياءً ولا سمعةً، ولا تَصَنُّعاً، وإنما يرجو العبدُ ثوابَ الله ويخشى عِقابَه، ويطمعُ في رضاه[٤].
٢. ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم: فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل"

---

(١) مسند أحمد، (٢٩٨/٣٠)، حديث رقم (١٨٣٥٢)، قال شعيب الآرناؤوط في تحقيقه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يُسيع الكندي وهو ثقة.

٢)) فتح الباري، ابن حجر، (٩٥/١١).

(٣) سنن الترمذي، (٤٥٦/٥)، أبواب الدعوات، حديث رقم (٣٣٧٣)، صححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (٤٧٥/١).

(٤) شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطانيّ، (١١/١).

قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: "قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء"(١).

٣. عدم الاستعجال في الدعاء: بأن يقول دعوت ودعوت فلم يستجب لي، فهذا من موانع إجابة الدعاء.
٤. أن يكون طيب المطعم والملبس: فإن المطعم الحرام والملبس الحرام يمنعان إجابة الدعاء، فيجب على المسلم أن يطيب مطعمه وملبسه.
٥. العزم في الدعاء والثقة بالله واليقين على الإجابة، فإن الإنسان يدعو ملك الملوك، مالك الدنيا والآخرة الذي بيده مقاليد السماوات والأرض؛ فيكون على يقين بالإجابة.

وروده في سورة فاطر:

وفي سورة فاطر ذكر الله سبحانه وتعالى أصناف المخلوقات والكائنات ونسبَها له مبرزاً قدرتَه ومُلكَه، فقال: ﴿**وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ [فاطر: ١٢-١٣] ثم عقَّب بقوله: ﴿**ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر: ١٣-١٤]. فإن صاحب هذه المخلوقات الذي له المُلك هو الذي ينبغي أن تُصرف العبادةُ له، وهو الذي ينبغي أن يُقصَدَ بالدعاء والتذلل؛ لأنه المَلِك وهو صاحبُ كل شيء، لا تلك الآلهة المزعومة التي لا تملكُ فتيلاً ولا قطميراً، ولا تسمعُ نادياً، ولا تجيبُ داعياً، وإن قدِّرَ لها أن تسمع، فهي أعجزُ من أن تُلَبِّيَ طلباً لأحدٍ.

التوجيهات التربوية المستفادة:

في هذه العِبادة يُحقِّقُ العبدُ توحيد الألوهية بإخلاص الدعاء لله وحده لا شريك له؛ فهو يوقنُ بأن اللهَ هو الضار النافعُ، وأنّ ما شاء اللهُ كان وما لم يشأْ لَمْ يكن، وأنّ الله هو المستحق وحده لهذه العبادة وغيرها من صنوف العبادات.

وعبادة الدعاء تزيد إيمان العبدِ من عدة جوانب: فهي في نفسها عبادة يحبها الله ويرضاها تجعل صاحبها يتقرب إلى ربه بها، وهي باب عظيم في معرفة جلال الله وقدرته وعظمته وأن الكون كلّه بيده، وأنه على كل شيء قدير، ثم هي تزيد قوة العبد في توكُّلِه على ربّه واعتماده عليه

(١) صحيح مسلم، (٢٠٩٦/٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، حديث (٢٧٣٥).

وتفويض شؤونه إليه، ثمّ تزيد في رجاء العبدِ وحُسن ظنِّه بربّه، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم: قال الله: "أنا عند ظنِّ عبدي بي"(١). فعبادة الدعاء تقوّي حُسن ظنِّ العبدِ بربه وتزيدُ في رجائه مما يحقق له الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح البخاري، (١٤٥/٩)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله، حديث رقم (٧٥٠٥).

المطلب السادس:

مشروعية ركوب البحر لقضاء الحاجات والانتفاع مما فيه

امتَنَّ اللهُ علينا كثيراً في القرآن الكريم بعديد نِعَمِه وآلائه؛ لنَشْكُرَه عليها ونعرِفَ الله فيها، ومن هذه النِعَم الجليلة نعمة البحر، وفي امتنان الله علينا بهذه النعمة إباحة الانتفاع بها.

وقد تحدثنا في الفصل الأول في مبحث التوجيهات التربوية المتعلقة بالتوحيد، مطلب إثبات التوحيد ولفت الأنظار إلى دلائله من الكون عن خلق البحار وما فيها من أسرار وما فيها من فوائد وجمال وإبداع فيُرجع إليها.

وقد ذكر اللهُ تعالى في سورة فاطر جانباً من هذه النعمة فقال تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [فاطر: ١٢]. نستدلّ من هذا مشروعية ركوب البحر والانتفاع مما فيه، حيث دل قوله في صفة الفُلْك على إباحة رُكُوبها، وعلى إباحة الاكتساب والتجارة وعلى الانتفاع باللّذّات[١].

جوانب الانتفاع من نعمةِ البحر:

١. طعام البحر وهو الأسماك ذات اللحم الطريّ، وغيرها من أصناف الكائنات البحرية المأكولة، وفيها من الأرزاق لبني آدم وغيرهم من المخلوقات طعاماً طيّباً طريّاً مفيداً.
٢. الحُليِّ من البحر وهي اللؤلؤ والمرجان والأصداف وغيرها مما ينتفع به بنو آدم في الحُليّ للنساء، والأحجار الكريمة التي هي ثروة كبيرة.
٣. ركوب السفن التي تمخُرُ البحر للتجارة والسَفَر، وفيها من التسهيل في شؤون بني آدم في مختلف أمور معاشهم: التّجارة وتبادل السلع، والسفر للمداواة والتعليم وغير ذلك من شؤون البشر.
٤. يعد البحر مصدراً مهماً للطاقة والمعادن ولا يخفى ما في هذه الأمور من الفوائد للدول والأمم في تقدمها الاقتصادي والتقني.
٥. تساعد البحار على إبقاء مناخ الأرض صحيًّا، بتنظيم درجة حرارة الهواء وتوفير الرطوبة للأمطار، ولا يمكن أن توجد حياة على كوكب الأرض إذا لم يكن المحيط موجودًا، إذ بدونه تصبح الأرض حارةً محرقةً قاحلة جرداء[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب، (١٦٩/٤).

(٢) الموسوعة العربية العالمية، (٣٧٩/٢٢).

يقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾ [البقرة: ١٦٤]: "هذه الآية وما كان مثلُها دليلٌ على جواز ركوب البحر مُطلَقاً لتجارةٍ كان أو عبادة، كالحجِّ والجهاد. ومن السنة حديث أبي هريرة قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، "إنا نركبُ البحرَ ونحملُ معنا القليلَ من الماء"[١]. الحديث، وحديث أنس بن مالك في قصة أم حرام، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ – وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ – فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ: مِثْلَ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ "، شَكَّ إِسْحَاقُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» – كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ – قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»، فَرَكِبَتِ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ[٢]، ففيه دليلٌ واضحٌ على ركوب البحر في الجهاد للرجال والنساء، وإذا جاز ركوبه للجهاد فركوبه للحجِّ المفترَضِ أولى وأوجب. ولو كان رُكوبُه يُكرَه أو لا يجوزُ لنهى عنه النبيَّ صلى الله عليه وسلّم الذينَ قالوا له: "إنا نركبُ البحر" ومما يدلُّ على جواز ركوبِه من جهة المعنى أن الله تعالى ضرب البحرَ وسْطَ الأرض، وجعل الخلقَ في العدْوَتين، وقسّم المنافع بين الجهتين فلا يوصلْ إلى جَلبِها إلا بشَقِّ البحرِ لها، فسهّل الله سبيله بالفُلك"[٣].

التوجيهات التربوية المستفادة:

١. يعتبر البحر آية من آيات الله سبحانَه وتعالى تتحدث عن عظمته؛ فهو مخلوقٌ عظيم، وأسرارُه عجيبة، ويحوي في طياتِه الكثير من الجمال والإحكام والقدرة والإبداع ما يجعلُ الإنسانَ يعجَبُ من هذا الإتقان، فيلهجُ لسانُه مسبِّحاً باسم ربه العظيم.

---

(١) سنن الترمذي، (١/١٠٠)، أبواب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر وأنه طهور، حديث رقم (٦٩)، حكم الألباني: صحيح.

(٢) صحيح البخاري، (٤/١٦)، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، حديث رقم (٢٧٨٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبيّ، (٢/١٩٥).

٢. امتنان الله عز وجل على عبادِه بأن خلق لهم ما يعينهم على حياتهم ومعاشهم، وطوَّع لهم الكائنات والمخلوقات لخدمتهم ورفاههم؛ ففي البحر غذاءٌ للإنسان، وأرزاقٌ كثيرة متنوعة، وفيه تعبر السفن والمراكب لسفره وترحالِه؛ فهو نعمةٌ عظيمةٌ في حياة الناس.
٣. نعمة البحر تستوجبُ شكرَ الله تبارك وتعالى وحمدَه على جميل آلائه ونَعْمَائه.
٤. هذا البحر مخلوق من مخلوقات الله، وهو ملكٌ لله وحده، فالذي خلقَ هذا البحر قادرٌ على تفريج همِّك، ووضعِ أوزارِك عنكَ، وتيسير أمورك، وإجابةِ دعائك، وإنهاء معاناتِك؛ فالجأ إليه، ولُذْ بجنابِه؛ فإنَّه ربٌّ كبير.

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا المبحث التوجيهاتِ التربوية المتعلقة بالقضايا التعبدية في سورة فاطر؛ من وجوب حمده سبحانه وشكره على إنعامه، وبيان أن العلم سبيل خشيته، ثم الدوام على قراءة القرآن الكريم والعمل به، وما إلى ذلك مما تضمنته السورة الكريمة.

المبحث الثاني:

الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة فاطر

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: أسلوب التوكيد.**
- **المطلب الثاني: أسلوب القصر.**

المطلب الأول:
أسلوب التوكيد

كنا قد ذكرنا في الفصل الأول أهميَّة أسلوبِ التوكيد وأغراضُه التي يُفيدُها في المعنى والكلام، ومن ذلك تقويةُ الكلام، وتثبيت المعاني، وإظهار كمال الاعتناء بالمعنى المراد ترسيخُه.

وجاء أسلوبُ التوكيدِ في التوجيهات التربوية التعبُّدية في موضع واحد:

١. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾ [فاطر: ٢٩].

ذكرَ اللهُ سبحانَه وتعالى صفاتٍ عظيمةً من صفات المؤمنين، وهي المُداوَمة على تلاوة كتابِ الله، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وخبرُ هؤلاءِ المؤمنين أنَّهم يرجونَ تجارةً لن تبور ولن تكسد، ولن تهلك بالخُسران. وفي خبر إنَّ وجهان، أحدهما: الجملةُ مِنْ قولِه ﴿**يَرْجُون**﴾ أي: إنَّ التالِين يَرْجُون، الثاني: أن الخبرَ ﴿**إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ جَوَّزه الزمخشري على حَذْفِ العائدِ أي: غفورٌ لهم. وعلى هذا فإنَّ ﴿**يَرْجُون**﴾ حالٌ مِنْ ﴿**أَنْفَقُوا**﴾ أي: أَنْفَقوا ذلك راجين[(١)].

صدَّر ذلك بأسلوب التوكيد وأداتِه "إنَّ" ليُفيدَ تثبيتَ أنَّ هؤلاء المتصفين بهذه الصفات، والعاملين لهذه الطاعات، فعلوا ذلك رجاءَ الثوابِ عند اللهِ سبحانَه وتعالى، وأنَّه سبحانَه سيوفيهم أجورَهم ويزيدُهم من فضلِه العظيم؛ لأنَّه غفورٌ شكور.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، (٢٣١/٩).

المطلب الثاني:
أسلوب القصر

ومن الأساليب الواردة في سورةِ فاطر أسلوبُ القَصْر، وهو كغيرِه من الأساليب له استخداماته وأغراضُه ولمساتُه التي يُفيدُها في الكلام.

أولاً: تعريف القصر:

١. القصر لغةً: الحَبس، يُقال: قَصَرَ الشيءَ يَقْصُره قَصْراً: حَبَسَه[1]، وَمِنْه: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَام**﴾ [الرحمن: ٧٢].

٢. القَصْرُ اصطلاحاً: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بعبارة كلاميّةٍ تدلُّ عليه، ويُقال في تعريفه أيضاً: جَعْلُ شيءٍ مقصوراً على شيءٍ آخر بواحدٍ من طُرُقٍ مخصوصة من طُرُق القول المفيد للقصر[2].

ثانياً: وروده في سورة فاطر:

ورد أسلوبُ القصر في التوجيهات التربوية التعبدية في موضعين:

١. قوله تعالى: ﴿**إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ**﴾ [فاطر: ١٨].

إنما ينتفعُ من الإنذار أهلُ خشيةِ الله، والذين يقيمون الصلاة، فلا بد من توفر هذه الصفات حتى ينتفع صاحبها بالنذارة، واستخدمَ في هذا المعنى أسلوبَ القصرب ب"إنما"، فالمعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار[3]، فالرسل لا يخصُّون أحداً بالبلاغ، لكن المنتفعين من ذلك هم أهل الخشية والطاعة.

٢. قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور**﴾ [فاطر: ٢٨].

بعدما ذكر اللهُ تعالى أصنافاً من المخلوقات والآيات الشاهدة عليه سبحانَه، عقَّبَ بذكرِ أهلِ خشيتِه، وهم العلماء الذينَ يعرفون الله سبحانَه، فكلما زادَ المرءُ علماً، كلما زادَ خشيةً لله تبارك وتعالى، والمراد: العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده، وما يجوز عليه وما لا يجوز، فعظموه وقدروه حق قدره، وخشوه حق خشيته، ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا، ومن كان علمه به أقل كان آمن، فكأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك: ممن عَرِفَه حقَّ معرِفَتِه، وعَلِمَهُ

---

(١) لسان العرب، (٩٨/٥).

(٢) البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة، (٥٢٣/١).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٧٤/٢).

كُنْهَ عِلْمِه[1]. واستخدمَ في هذا إثبات هذا المعنى أسلوبَ القصر بالأداة: "إنما"، وهذا يفيدُ حصرَ أهلِ الخشيةِ على هؤلاء العالِمين بالله جل جلالُه، وكذلك قدَّم المفعول به "الله" على "العلماء" لأن المقصودَ حصرُ الفاعليَّةِ ولو أُخِّرَ انعكس الأمرُ[2]، ومعنى هذا: أن المقصود من تقديم لفظ الجلالة على "العلماء" حصرَ فعل الخشيةِ في هؤلاء العلماءِ دون غيرهم ولو عُكِسَ لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله: ﴿**ولا يخشون أحدا إلا الله**﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وبينهما تغاير: ففي الأول بيان أن الخاشين هم العلماء، وفي الثاني بيان أن المخشي منه هو الله تعالى[3].

---

(١) الكشاف، (٦١١/٣).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٢٥٨/٤).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٨٧/٣).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم، بعد هذا العرض للتوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة فاطر، سأذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها، وهي كالتالي:

أولاً: أهم النتائج:

١. سورة فاطر من السور المكية التي تثبت مفاهيم جديدة وأفكار أصيلة تجاه مجتمع مكة ابتداءً، ثم إلى كل البشرية انتهاءً، وبرز فيها جوانب عديدة: إيمانية عقدية، وتعبدية، ووعظية، لها اسمان هما: "فاطر"، و"الملائكة"، ولها مناسبات متعددة ومتنوعة، وفيها من التوجيهات التربوية والأساليب وقد بيَّنتُها، ولها محور عام جاءت لترسيخِه وهو: (بيان قدرة الله في عوالم المخلوقات، وتذكير الناس بربهم الخالق ووجوب شكره، وإزالة كل ما يحول بين الناس وبين هذه الحقائق العظيمة).

٢. تعزيز الإيمان في قلوب المؤمنين يكون بقراءة آيات الله المنظورة في الكون والمتلوَّة في القرآن الكريم، وإن النظر في كتاب الله يؤدِّي إلى التفكُّر في الكون ومعرفة الله من خلال آياتِه الكونيَّة، وكذلك التفكُّر في الآيات الكونيَّة يُعيننا على فهمِ كلام الله سبحانَه وتعالى؛ فيظهرُ التكاملُ بين القراءتين حتى نصل إلى الرؤية الصحيحة والإيمان السليم.

٣. إيمان العبد بأسماءِ الله وصفاتِه في الكون وتأثيرها في حياة البشر، فما دام رحيماً فإنه يرحم، وما دام سميعاً فإنه يسمع كل شيء ويجيب الداعي، وما دام غفوراً فإنه يغفر، وما دام يغفر فإن العباد يذنبون، فإن الغفار يستدعي مغفوراً، كما أن الرزاق يستدعي مرزوقاً؛ هذا مما يقوي إيمان العبد ويزيده قرباً ومعرفةً بالله سبحانه وتعالى.

٤. إذا كان الله سبحانه وتعالى هو الخالق المتفرد لكل المخلوقات، ولم يكن أحدٌ سواه إلا وهو مخلوق؛ فوجب أن يُفْرَدَ الله وحدَه بالعبادة؛ إذ كيف يُعبَدُ المخلوق، وهذا المخلوق بحاجةٍ إلى خالقِه في كل لحظةٍ وحركةٍ ونَفَسٍ؛ فوجبَ أن يتوجَّه العبادُ إلى خالِقِهم ألا وهو الله الواحد.

٥. وجود عقيدة التوحيد في قلب الإنسان المؤمن، وهي أن الله هو الذي خلق الكون، تُريحُه من عناءِ التيه والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة؛ لعلمه بالحكمةِ من خلقِ الكون، وعلمه بخالق الكون، فتسكُنُ ضميرَه السعادةُ والاطمئنان والراحة.

٦. سرُ انتصارِ الدعوات، وغلبةُ أهل الحق على أهل الباطل، هو بطلب العزة من الله، فهو الذي يؤيِّد، وهو الذي ينصُر، ومَن ينصرْه اللهُ فلا غالبَ له.

٧. الإيمان بالملائكة يحمي العقل من الوقوع في الخرافات، والتُّرَّهات، والعقائد المنحرفة فيما يتعلق بالكون وتدبير شؤونِه، فالإيمان الصحيح والعلم السليم وقاية من الانحرافات والشبهات العقدية والفكرية.

٨. القرآنُ الكريم اختصَرَ الزمانَ والمكانَ، اختَصَر الماضي والحاضِر، واختزلَ الأزَلَ والأبَد، واستوعَبَ في صفحاتِه أكواناً، وأعماراً، وأمماً، وحضاراتٍ، وطوى في حروفِه وكلماتِه أسراراً تفنى دون استخراجِ مكنوناتِها الأعمار.

٩. مَلاكُ النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة هو الخُلُقُ الإنسانيُّ السليم؛ فإنَّ الإنسانَ إذا التزم الأخلاقَ السليمةَ التي جاء بها الإسلام فكُلُّ ما يَصدُرُ منه هو عملٌ صالح، وهذا الإنسان هو الإنسانُ المرضي عند الله، وهو الذي يَكْتُبَ اللهُ له سعادةَ الدّارَيْن.

١٠. الدنيا مزرعةٌ للآخرة، ووظيفة الإنسان في هذه الحياة هي معرفةُ الله وعبادته، وعمارةُ الأرض بكل ما هو صالح.

١١. في الصراع بين الحضارات وبين الحق والباطل يكون للعلم دور خطير وحساس جداً في ترجيح كفة أحد الأطراف على الآخرين، فإنه بقدر الأخذ بوسائل العلم والتطور، ومفاجأة الخصم بمعادلات جديدة، وأسلحة جديدة، وخطط جديدة بقدر ما يحدث تغيير في معادلات الصِّراع.

١٢. لا بُد لنا من وضعِ العِلم في مكانِه الصحيح من الدِّين، وأنه لا يوجد دين سماوي يتعارض مع العِلم أو ينبُذُه، وأمةُ الإسلام ما سادت ولا تقدَّمت ولا حكمت العالم إلا بعد أن كانت سابقةً في العِلم، وما أصيبت الأمة بهذا الهوان والذل إلا بعد أن تخلَّفت عن ركاب العِلم.

١٣. أولُ ما جاءت به الأديانُ –بعد قضيَّةِ الإيمانِ بالله سبحانه– إصلاحُ النفوسِ وتَزكيُتَها وتهذيبُها، وذلك لتَهْيِئَتِها لتحقيقِ العبوديّة لله سبحانه وتعالى، والخضوع له ولجلاله، وكذلك للترقي بالنفس والروح في معارج القُدُسِ والسُّموّ الرّوحي، ثم لاستقبالِ التكاليف الشرعية، والتعاليم الدينيّة.

١٤. الجَنَّةُ هي الجزاءُ العظيمُ، والثوابُ الجزيلُ، الذي أعَدَّهُ اللهُ لأوليائِه وأهلِ طاعتِه، وهيَ نَعيمٌ كاملٌ لا يَشوبُه نَقْصٌ، ولا يُعَكِّرُ صَفْوَهُ كَدَرٌ وهي دارُ السَّعادةِ الحقيقيَّةِ هي الجنَّةُ التي أعدَّها اللهُ ثواباً لعبادِه المؤمنين، وجهنَّم هي دار الشقاء والبؤس والعذاب أعدَّها الله للكافرين به والمكذِّبين برسلُه، وكل عذابٍ دون النار عافية.

١٥. تقدُّم المجتمعات وتأخُرها وازدهارُها وتخلُّفها مرتبط بما يرشد إليه فهم سنن الله في المجتمعات؛ ففهم هذه السُّنَن ينمي روح المثابرة والعمل، وعمارة الكون، وتقويم عقائد الناس وفكرهم، وضبط سلوكِهم الإيجابي، وترسيخُ دوافع الخير وحُبِّه.

١٦. أهميَّة استخدام الأساليب المناسبة في الخطاب بما يتناسب مع المُخاطَب، وبما تقتضيه الحكمة؛ فقد استخدمَت السورة العديد من الأساليب البيانية والبلاغية بحسب ما يقتضيه المعنى، كأسلوب التوكيد، والاستفهام، والترغيب والترهيب، والقصر، وغيرها من الأساليب، ولا شك أن اختلاف هذه الأساليب له أثره على النفس، فيكون ذلك أوقع عليها مما لو كان الخطاب على أسلوب واحد، وهذه هي بلاغة القرآن.

١٧. التعرُّض لكلامِ الله وتلاوتِه يزيدُ الإيمانَ والنُّورَ في قلب العبد المؤمِن، ويُديم السُّموَّ الرّوحي، فهو في تذَكُّرٍ دائمٍ لجلالِ الله وعظمتِه، وفي تطلُّعٍ مستمر للعوالم العُلويّة والرّحمات الربّانية.

١٨. النَّجاةُ الوحيدةُ للبشرية الضالَّة الشاردةِ في هذا الزَّمان هو كتابُ اللهِ سبحانه وتعالى، إن فيه حلولاً لمشكلاتهم السياسية، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والتّربويّة، والنّفسية، إلى غير ذلك من النّواحي التي يعيشها النّاس.

أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث طلبة العلم والباحثين بضرورة البحث والكتابة في التوجيهات التربوية القرآنية لسور القرآن الكريم، مع تطبيق نظرية التفسير الموضوعي.

٢. يوصي الباحث المعلمين والمربين والدعاة والعلماء بغرس العقيدة الصحيحة السليمة في نفوسِ المسلمين، وتربيتهم عليها، مع الاستفادة من التوجيهات التربوية الواردة في سورة فاطر وسائر سور القرآن الكريم.

٣. يوصي الباحثُ الدعاةَ أن يدرسوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم جيداً، ويتعلّموا أخلاق النبوّة في الدعوة إلى الله، إذ ليست الدعوة كلماتٍ تلقى على المنابر، ودروس تترى في

المدارس والمكاتب فَحَسْب، إن الداعية قلبٌ ينبض بحُب الله أولاً، ثُم هو يتحمّل أمانةً عظيمة في إيصال الدين إلى الناس، وفي نفس الوقت مشحونٌ بمعاني الخير والرحمة والشفقة على الناس، فهو كالطبيب لهم يداوي جراحَهُم ويمسَحُ آلامهم ويفتح لهم سُبُل الخير والخلاص.

٤. يوصي الباحث القائمين على المناهج التعليمية بحشد الأدلة التي تُعزِّز الإيمان في قلوب المؤمنين وتربطهم بالله سبحانه وبالدين الإسلامي، عن طريق آيات الله المنظورة في الكون والمتلوة في القرآن الكريم، وهذا لا يختص بمادة التربية الإسلامية، بل لا بُدَّ من تعزيز ذلك في المواد الدراسية الأخرى، كالتاريخ والفيزياء والأحياء والكيمياء وغيرها؛ حتى نربط العلوم بالله سبحانه وتعالى، ونُبرِز التداخُل والتكامل بين الدين والعلم في جميع مناحي الحياة.

٥. يوصي الباحث الزعماء والسادة إلى تحكيم كتاب الله في شؤون الدول والمجتمعات، وإعادةِ دورِه في قيادة زمام الحياة، وتحكيمِه في حياةِ النَّاس، وتطبيقِه واقعاً في جميعِ شؤون حياتِهم، وبجعله الدستور الأعظم والأساس في قوانينهم وتشريعاتِهم؛ فالنَّجاةُ الوحيدةُ للبشرية الضالَّة الشاردةِ في هذا الزَّمان هو كتابُ اللهِ سبحانه وتعالى، فإن فيه حلولاً لمشكلاتهم السياسية، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والتّربويّة، والنّفسية، إلى غير ذلك من النّواحي التي يعيشها النَّاس.

هذا ما يسَّر الله لي كتابتَه وإعدادَه، وأحمدُ الله على التمام، فما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو سهوٍ، فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يجعل هذا الكلام حجةً لي لا عليَّ، والله الموفق والهادي السبيل، وهو نعم المولى ونعم النصير، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م.
٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤. الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام – القاهرة، ط6، 1424هـ.
٥. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، دار عمار للنشر والتوزيع، 2000م.
٦. أسرار الصلاة، للإِمَام العلامَة أبي عَبد الله محمَّد بن أبي بَكر بن أيُّوب الزَّرعي الدِّمشقي الشَّهير بابن قيِّم الجَوزيَّة، الكتاب موجود على الشبكة العنكبوتية.
٧. الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط13، 2003م.
٨. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط9، 1421هـ - 2001م.
٩. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ - 2003م.
١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.
١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.
١٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ - 2003م.
١٣. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2003م.
١٤. الإيمان بيوم القيامة وأهواله، علي بن نايف الشحود.

١٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1419هـ.
١٦. البركة في الرزق والأسباب الجالبة لها في ضوء الكتاب والسنة، عبد الله مرحول السوالمة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1423هـ - 2003م.
١٧. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1410هـ - 1990م.
١٨. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ - 1957م.
١٩. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.
٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
٢٢. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان – دمشق، ط2، 1409هـ - 1988م.
٢٣. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط1، 1416هـ.
٢٤. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ - 2002م.
٢٥. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1421هـ.

٢٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1990م.

٢٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.

٢٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.

٢٩. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م.

٣٠. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م.

٣١. التفسير القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1410هـ.

٣٢. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946م.

٣٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط2، 1418هـ.

٣٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، 1998م.

٣٥. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ.

٣٦. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

٣٧. تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، دار المصطفى للطباعة والنشر والتوزيع، 2020م.

٣٨. تيسير التفسير، إبراهيم القطّان
٣٩. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط1، 1423هـ - 2002م.
٤٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
٤١. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند، ط1، 1393هـ - 1973م.
٤٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
٤٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
٤٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
٤٥. جامع مَعْمَر بن راشد، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، ط2، 1403هـ.
٤٦. الجنة والنار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط7، 1418هـ - 1998م.
٤٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – بيروت.
٤٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، دار السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.
٤٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق.
٥٠. دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، –بيروت– القاهرة، ط7، 1414هـ - 1993م.

٥١. الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م.
٥٢. دلائلُ الإعجاز، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1995م.
٥٣. الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط4، 1410هـ – 1989م.
٥٤. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، دار الفكر – بيروت.
٥٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ.
٥٧. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1422هـ.
٥٨. زاد المعاد في هدى خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ – 1994م.
٥٩. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
٦٠. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
٦١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395هـ – 1975م.
٦٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ – 1985م.

٦٣. سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1398هـ – 1978م.
٦٤. شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمود توفيق محمد سعد،
٦٥. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط10، 1417هـ – 1997م.
٦٦. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل حسن هراس، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، ط3، 1415هـ.
٦٧. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ.
٦٨. شرح سنن أبي داوود، بدر الدين العيني، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1420هـ – 1999م.
٦٩. شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
٧٠. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – بيروت – لبنان، 1398هـ – 1978م.
٧١. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1414هـ – 1993م.
٧٢. الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، 1419هـ.
٧٣. طريق الهجرتين وباب السعادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية – القاهرة – مصر، ط2، 1394هـ.
٧٤. عالم الملائكة الأبرار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط3، 1403هـ – 1983م.
٧٥. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط2،

٧٦. العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الكتاب العربي – بيروت.
٧٧. عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2005م.
٧٨. العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف – الرياض، ط2، 1420هـ – 1999م.
٧٩. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط3، 1415هـ – 1994م.
٨٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ.
٨١. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.
٨٢. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٨٣. في رحاب القرآن، محمد سالم محيسن، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1989م.
٨٤. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17، 1412هـ.
٨٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط1، 1356هـ.
٨٦. القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن، ط13، 1425هـ – 2005م.
٨٧. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ.
٨٨. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1403هـ – 1983م.

٨٩. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٩٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407هـ.

٩١. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

٩٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

٩٤. لطائف الإشارات تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط3.

٩٥. لمعة الاعتقاد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ – 2000م.

٩٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

٩٧. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1381هـ.

٩٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ.

٩٩. المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق – القاهرة، 1409هـ.

١٠٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.

١٠١. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ–1999م.
١٠٢. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ – 1999م.
١٠٣. مختصر السهل في عقيدة أهل الإيمان، زكريا بن طه شحادة، مكتبة سمير منصور – غزة – فلسطين، ط1، 1437هـ – 2016م.
١٠٤. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ.
١٠٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب – بيروت، ط1، 1419هـ – 1998م.
١٠٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2002م.
١٠٧. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ– 1990م.
١٠٨. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط1، 1404هـ – 1984م.
١٠٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ – 2001م.
١١٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "صحيح مسلم"، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١١١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ - 1997م.

١١٢. معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب، ط1، 1351هـ - 1932هـ.

١١٣. معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، ط1.

١١٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1408هـ - 1988م.

١١٥. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ - 1988م.

١١٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١٧. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

١١٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.

١١٩. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضة مصر – القاهرة، 2005م.

١٢٠. من بلاغة القرآن، علوان

١٢١. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، 1410هـ - 1990م.

١٢٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.

١٢٣. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي – سوريا – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا، ط2، 1426هـ - 2005م.

١٢٤. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الرياض، ط2، 1419هـ - 1999م.

١٢٥. نبذة في العقيدة الإسلامية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1412هـ - 1992.

١٢٦. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط3، 1405هـ - 1985م.

١٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

١٢٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ - 1979م.

١٢٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ - 2000م.

١٣٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط1، 1415هـ.

الفهارس العامة

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
(هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً)	الإنسان	١	١٧
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	فاطر	١١	١٧
(وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ)	الرعد	٨	١٨
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	فاطر	١٢	١٨
"مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ"	الرحمن	١٩-٢٠	١٩
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾	فاطر	١٣	٢٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾	فاطر	٢٧	٢١
﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾	فاطر	٩	٢١
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء	٣٠	٢٢
"وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"	الأنعام	٥٩	٢٤
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	فاطر	١	٢٥
"وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ"	الأنبياء	٣٢	٢٦

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
"اللهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاواتٍ ومِنَ الأرْضِ مثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ وأنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَا"	الطلاق	١٢	٢٦
"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا"	فاطر	٤٤	٢٦
﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾	فاطر	٣١	٢٧
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾	فاطر	٤٥	٢٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	فاطر	٤١	٢٨
﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	فاطر	٣٠	٢٩
"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد"	الإخلاص	١	٣١
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	فاطر	٢٨	٣٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾	فاطر	٣	٣٢
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾	فاطر	٤٠	٣٢
"اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ"	الرعد	٢٦	٣٥
"وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ"	لقمان	٣٤	٣٥
"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"	هود	٦	٣٥
"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"	الأعراف	٤٣	٣٧

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.	٥	الأحقاف	خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.
٤١	١٤	فاطر	**"إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"**
٤٢	٢	الإخلاص	**"اللَّهُ الصَّمَدُ"**
٤٢	١٨٦	البقرة	**"وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ"**
٤٣	١٥	فاطر	**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**
٤٧	٢٨٥	البقرة	**﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**
٤٨	٦	التحريم	**﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**
٤٩	١٩	الأنبياء	**﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾**
٤٩	١٠-١٢	الانفطار	**﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾**
٤٩	١٧	الحاقة	**﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾**
٤٩	١١	السجدة	**﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾**
٤٨	١٩٢-١٩٣	الشعراء	**﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾**
٤٩	١٨	ق	**﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**
٤٩	٦١	الأنعام	**﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾**
٥١	٢٢	الحديد	**﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾**

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾	الكهف	١٠٩	٥١
﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾	الأحزاب	٣٨	٥٢
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر	٤٩	٥٢
﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾	فصلت	١٢	٥٢
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	الصافات	٩٦	٥٤
﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾	فصلت	٣٩	٥٩
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	فاطر	١٠	٦٣
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾	محمد	١٥	٦٣
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾	يونس	٢٦	٦٣
﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	العنكبوت	٤٠	٦٤
﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	فاطر	٢٦	٦٤
﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾	فاطر	٣٣	٦٤
﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوب﴾	فاطر	٣٤-٣٥	٦٤
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾	فاطر	٣٦	٦٥
﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾	فاطر	٣٧	٦٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الذين كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾	فاطر	٧	٦٥
﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾	مريم	٧٥	٦٥
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	النساء	١٣٦	٦٩
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	النساء	٦٤	٦٩
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	النساء	١٦٥	٧١
﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	النساء	٨٠	٧٢
﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾	ص	٢٦	٧٢
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	الحج	٧٥	٧٣
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	الشعراء	٢١٤	٧٣
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾	المسد	٢	٧٤
﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾	فاطر	٨	٧٤
﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	فاطر	٤	٧٨
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾	الأنعام	٩٠	٨٠
﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	القصص	٤٤-٤٦	٨٠
﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	هود	٤٩	٨٠
﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	طه	١٢٣- ١٢٤	٨١

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٨٥	١٦	يس	﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إليكم لمرسلون﴾
٨٨	٧٣	الحج	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾
٨٨	٥٧	الحجر	﴿قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾
٨٨	٥١-٥٢	الواقعة	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾
٨٩	١٨٧	الأعراف	﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها﴾
٩١	٨٧	النساء	﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾
٩٢	٤٥	الفرقان	﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾
٩٣	٥٦	الأعراف	﴿ولا تُفْسِدوا في الأَرْضِ بعدَ إِصْلَاحِها﴾
خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.	١٨	النحل	خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.
٩٤	٨	آل عمران	﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا﴾
٩٤	١٥١	الأنعام	﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
٩٤	١٤٤	البقرة	﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾
٩٤	٧	التحريم	﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
٩٤	٤٩	الدخان	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾
٩٤	٦	الفاتحة	﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
٩٤	١٠٨	المؤمنون	﴿قالَ اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾
٩٤	٤٠	فصلت	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
٩٤	٣٨	يونس	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ وَلا الظُّلُماتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ وَما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَلا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾	فاطر	١٩-٢٢	٩٦
﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾	فاطر	٣٣-٣٥	٩٧
﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	فاطر	١٦-١٧	٩٨
﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾	فاطر	٢٥-٢٦	٩٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	فاطر	٢٩-٣٠	٩٨
﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ﴾	الرحمن	٧٢	٩٩
﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾	فاطر	٢٣	١٠١
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	الحديد	٢٠	١٠٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾	فاطر	٥	١٠٧
﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾	الشعراء	٢٠٥-٢٠٧	١٠٨
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ*وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	الشعراء	١٣١-١٣٥	١٠٩
﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِناثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً *لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأَنْعَامِ	النساء	١١٧-١٢٠	١١١

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورا﴾
١١١	٥-٦	فاطر	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
١١٣	١٩-٢٠	فاطر	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّور﴾
١١٥	١٤	التكوير	﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾
١١٥	١٣	العنكبوت	﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾
١١٥	١٨	فاطر	﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى﴾
١١٧	٨٧-٨٩	الشعراء	﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
١١٨	١٩	الانفطار	﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾
١١٨	١٠١-١٠٣	المؤمنون	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾
١١٩	١٣	الحجرات	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾
١١٩	١-٥	العلق	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
١١٩	٤٣	العنكبوت	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾
١١٩	٢٨	فاطر	﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾
١٢١	٣٢-٣٣	فاطر	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير﴾
١٢٣	١٠٥	الأنبياء	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
١٢٥	١٠	الشمس	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	البقرة	٢٨	١٢٧
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	المائدة	٥	١٢٨
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾	فاطر	٣٦-٣٧	١٢٨
﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَساراً﴾	فاطر	٣٩	١٢٨
﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	الكهف	٤٩	١٣٥
﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	السجدة	١٧	١٣٦
﴿لاَ يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾	فاطر	٣٥	١٣٧
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	فاطر	٤٣	١٤٢
﴿وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	هود	١٠٢	١٤٥
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾	الأعراف	١٣٣- ١٣٦	١٤٦
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾	الكهف	٣٥-٣٦	١٤٦
﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾	نوح	٢٧	١٤٦
﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم﴾	هود	١٠١	١٤٦
﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	المائدة	٧٤	١٤٨

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ﴾	فاطر	٢٩	١٥١
﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾	فاطر	٦	١٥١
﴿دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾	يونس	١٠	١٦٤
﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾	فاطر	٣٤	١٦٥
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾	البقرة	٣١-٣٢	١٦٧
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	التوبة	٣٢	١٦٩
﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	هود	١١٢	١٧١
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة	٢٦١	١٧٢
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾	الإسراء	٩	١٧٥
﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾	البقرة	١٢١	١٧٥
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾	فاطر	٣٢	١٧٥
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾	غافر	٦٠	١٧٦
﴿وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾	فاطر	١٢-١٣	١٧٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	فاطر	١٣-١٤	١٧٧
﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾	البقرة	١٦٤	١٨٠
﴿ولا يخشون أحدا إلا الله﴾	الأحزاب	٣٩	١٨٥

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديث	الصفحة
"كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"	٢٨
"كان الله ولم يكن شيءٌ غيرُه، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذِّكر كلّ شيء، وخلق السماوات والأرض"	٣١
وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ"	٣٧
وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقَ السماوات والأرضِ بخمسينَ ألفَ سنة"	٥١
وعن عبادة بن الصامت قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ أولَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، ثم قال: اكتُب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة"	٥١
وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً"	٦٢
قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: "يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ"	٧٣
عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلّم على الصّفا، فجعل ينادي: "يا بَنِي فِهْر، يا بني عَدِيّ" -لبطون قريش- حتى اجتمعوا فَجَعَل الرّجُلُ إذا لم يستطِع أن يَخْرُجَ أَرْسَلَ رسولاً لِيَنظُرَ ما هو، فجاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيش، فقال: "أَرَأَيْتَكُم لو	٧٣

الصفحة	طرف الحديث
	أخبرتُكم أن خيلاً بالوادي تُريدُ أن تُغيرَ عليكم، أَكُنتُم مُصَدّقيّ؟" قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صِدقاً، قال: "فإني نذيرٌ لكم بين يدَيْ عذابٍ شديد" فقال أبو لهبٍ: تبّاً لك سائر اليوم، ألِهذا جَمَعْتَنا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾ [المسد: ٢]
٧٦	سُئلت أم سلمة: يا أُم المؤمنين ما كان أكثرُ دعاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عِندَكِ؟ قالت: كان أكثر دعائه: "يا مُقَلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك". قالت: قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك "يا مُقَلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك"؟ قال: "يا أُمّ سَلَمة إنه ليس آدَميّ إلا وقلبُه بين أصبُعَين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ"
٧٨	فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: لمّا كان يومَ حُنَين، آثر النبيّ صلى الله عليه وسلّم أُناساً في القِسْمَة، فأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ مائةً من الإِبِلِ، وأعطى عُيَيْنَةَ مثلَ ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثَرَهُم يومَئذٍ في القِسمة، قال رجلٌ: والله إن هذ القِسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها وَجْهُ الله، فقُلتُ: واللهِ لأُخْبِرَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُه، فَأَخْبَرْتُه، فقال: "فمن يَعْدِلُ إذا لمْ يَعْدِلِ اللهُ ورسولُه، رَحِمَ اللهُ موسى قدْ أُوذِيَ بأكثرَ من هذا فصبر"
٧٨	فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: لمّا كان يومَ حُنَين، آثر النبيّ صلى الله عليه وسلّم أُناساً في القِسْمَة، فأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ مائةً من الإِبِلِ، وأعطى عُيَيْنَةَ مثلَ ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثَرَهُم يومَئذٍ في القِسمة، قال رجلٌ: والله إن هذ القِسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها وَجْهُ الله، فقُلتُ: واللهِ لأُخْبِرَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُه، فَأَخْبَرْتُه، فقال: "فمن يَعْدِلُ إذا لمْ يَعْدِلِ اللهُ ورسولُه، رَحِمَ اللهُ موسى قدْ أُوذِيَ بأكثرَ من هذا فصبر"
٧٩	ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنه قال نهاية قصّة موسى والخضر عليهما السلام: "يَرحمُ اللهُ موسى، لَوَدِدْنَا لو صبر حتى يُقَصَّ علينا من أَمْرِهِما"
٧٩	فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كُنْتُ أنا لأسرعتُ الإجابةَ، وما ابتغيتُ العُذر"

طرف الحديث	الصفحة
قال: "لقد عجِبتُ من يوسُفَ وصَبْرِهِ وكَرَمِه، واللهُ يَغْفِرُ له، حين أتاه الرسول، ولو كُنْتُ مكانَه ما أجَبْتُهم حتى أشترِطَ أن يُخْرِجوني. ولقد عجِبتُ من يوسفَ وصبرهِ وكرمِه، والله يغْفِرُ له، حين أتاه الرسول، ولو كنتُ مكانَه لبادرتُهُم الباب، ولكنّه أراد أن يكونَ له العُذْر"	٧٩
وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ"	١١٥
جاء في الحديث: "من بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نسبُه"	١١٦
في الحديث القدسي جاء فيه: "يا عبادي إنَّما هي أعْمالُكمْ أُحْصِيها لكم، ثم أُوَفِّيكُم إيَّاها، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرَاً، فَلْيَحْمَدِ اللهَ ومَنْ وَجدَ غيرَ ذلك، فلا يَلُومَنَّ إلا نفسَه"	١١٦
قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّم: "إنّ للهِ أهْلِينَ من الناس" قيل: من هُم يا رسولَ الله؟ قال: "أهلُ القرآنِ هُم أهلُ اللهِ وخاصَّتُه"	١٢١
وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا"	١٢٢
فعن أبي الدَّرداء رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: "قال الله: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾، فأمَّا الذينَ سبقوا فأولئكَ يدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، وأمَّا الذين اقْتَصَدوا فأولئك يُحاسَبونَ حِساباً يسيراً، وأما الذينَ ظلَموا أنفُسَهم فأولئكَ الذين يُحبَسونَ في طولِ المَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الذينَ تَلافاهُمْ بِرَحمَتِه..."	١٣١
عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله "أَعْدَدْتُ لِعبَادِيَ الصَّالِحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشرٍ، فاقْرَؤُوا إن شِئْتُم ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة: ١٧]"	١٣٦
فعن سهلِ بن سعد الساعدي قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "موضعُ سَوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها"	١٣٧

الصفحة	طرف الحديث
١٣٩	وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم قال: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: "فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"
١٣٩	وعن عبد الله بن عباس، أنَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: "اتَّقوا اللهَ حَقَّ تُقاتِه ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتُم مُسلِمون"، لو أن قَطرةً من الزَّقومِ قُطِرَت في دارِ الدُّنيا لَأَفسدَت على أهل الدنيا معايِشَهم، فكيف بمن يكونُ طعامَه"
١٣٩	جاء في حديث احتجاج الجنة والنار أن الله يقول للنار: "إنما أنتِ عذابي أُعذِّبُ بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار، فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ، ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللهُ من خلقه أحداً"
١٤٧	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ"
١٦٥	في الحديث: "وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"
١٧١	لقوله صلى الله عليه وسلم: "حُبِّبَ إليَّ النساء والطِّيب، وجُعِلَت قُرَّةُ عيني في الصلاة"
١٧١	فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة على ميقاتها"
١٧١	عن جابر رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: "إن بينَ الرَّجُل وبين الشِّرْك والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاة"
١٧٦	عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل" قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: "قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء"
١٧٦	وجاء في حديث: " إنه من لم يسأل الله يغضَبْ عليه"
١٧٦	في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدعاء هو العبادة" ثم قرأ: "﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾ [غافر: ٦٠]"

فهرس الأعلام